

للرجال فقط...

”عندما يتحدث هو!“

سها سيف الدين

عنوان الكتاب: للرجال فقط (عندما يتحدث هو)

الكاتب: سها سيف الدين

رقم الإيداع: 2018\21682

الترقيم الدولي: 978-977-6056-59-6

تصميم الغلاف: أحمد الصباغ

تدقيق لغوي وتنسيق داخلي: الكاتبة والروائية هناء عودة

شهرزاد للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

القاهرة

هاتف: 01091744511

shahrazadpub@gmail.com



جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي إقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية تعرّض صاحبها

للمساءلة القانونية.

عندما يتحدث هو.....

الإهداء

إهداء ...

إلى كل من دعم موهبة وليدة لأجل أن ترى النور..

إلى أهلي وأصدقائي ..

إلى تلك التي ربتني لأراقب من حولي، وأهدتني قصص الآخرين لأتعلّم منها ..

إلى صديقتي وبنات جروب شخايط وردية ، أنا مدينة لكم بأكثر من الكثير ..

وشكر من القلب إلى الرائعات ..

نهي طلبة ، صابرين الديب ، مروة جمال

أنشرف بكوني تلميذة لأفضل ثلاث معلمات..

وحين تصبح الصديقة ملاذاً آمناً فشكراً " رحاب جمال "

وأخيراً ..

شكراً لأبطال قصتي، فقد تعلمت الكثير من أخطاءكم ...

حين تتحدث حواء بلسان آدم ..
ليلتزم الجميع الصمت ويُنصت بخشوع ..

" هناء عودة "

مقدمة

للرجال فقط!

أيمكننا حقاً رفع ذلك الشعار أن هناك شيئاً حكراً على الرجال وحدهم؟ هل فقدتم عقلكم؟، بالطبع لا!، حواء لن تسمح أن يكون هناك شيء خاص بآدم وحده، أين المشاركة؟، المساواة؟، حقوق المرأة وكل ما يمت لثناء التأنيث بصلة؟ هن لن يسمحن أبداً بذلك، فلا يمكن لحواء أن تسمح لآدم بأن يكون متفرداً، مميزاً، إلا إن كانت هي السبب!

ألم تسمع بمقولة أن "وراء كل رجل عظيم امرأة"؟؟ لكن هن لم يخبرنك أبداً أن وراء كل رجل محطم امرأة، وراء كل جريمة امرأة، ووراء كل ألم عاناه رجل كانت هناك امرأة! تمتدنون أنتي عدو للمرأة؟ وكيف أكون وهي الأم والزوجة والأخت والصديقة والإبنة، ولكن ماذا عنا نحن معشر الرجال؟ ألسنا الأب والزوج والأخ والصديق والإبن؟! فإن كن هن نصف المجتمع فنحن النصف الآخر..

تريدون الإنصاف؟ حسناً نحن نعيش في عصر المرأة، حيث أضحي هذا المجتمع مجتمع أنثوي متعفن، أنصف المرأة وقهر الرجل، لكن حواء دوماً عادلة، فهي تركت مجالاً للرجال وحدهم، للرجال فقط وليس كل شيء، فبطبيعة الحال فبنات حواء قنن الأمر، الجرح حكراً على الرجال، القسوة، الخيانة، الإستغلال، الغضب، القهر، الظلم، كلها صفات برع بها الرجال وأضحت حكراً عليهم، أصبحت صفات خاصة بالرجال فقط دون غيرهم!

دعوني أحدثكم عن القصة من وجه نظر مختلفة، من وجه نظر رجل، وأعدكم أنها ستغير وجهة نظركم أيضاً!

التوقيع / آدم

من وجهة نظرها هي كانت مقدمة سخيفة، كاتب يحاول أن يكون "عميقاً"، ويسعى لجذب الانتباه، صياغة جيدة، جذابة نوعاً ما، لا تنكر!، لكنها ليست بالأفضل فقد مر عليها الكثير، أفضل منها لكن شيئاً ما جذبها لتكمل، ربما وعده للقارئ أن يغير وجهة نظره، أو ربما لأنه إختار أسوأ توقيت بالنسبة لها ليدافع عن الرجال، فهي تكره كل ما هو مذكر خاصة بعد فشل قصة حبها وخطبتها التي إستمرت ثلاثة سنوات.

من هي؟!

رحاب مجدي الشافعي، ٢٥ عاماً، آنسة وتعمل بلجنة القراءة لإحدى دور النشر الكبرى وحظه العاثر أو حظها هي أوقع بتلك الرواية بين يديها لإبداء رأيها فيها وكلما تجولت بين الصفحات وتعمقت في القراءة كادت أن تمزق الورق الموجود أمامها، ورأيها النهائي..

رواية لا تصلح للنشر!

لا تمت للأدب بصلة!

ولا تستحق القراءة!

وبالتالي مرفوضة!

الرفض؟؟

توقعه، لكنه لم يتوقع رسالة متهورة أرسلتها لحسابه الشخصي، وكان ذلك فخواها: " نصيحة!، إن أردت أن تصبح كاتباً دعك من إحداث الضجيج، سلط الضوء على ما يستحق، لا تتحدث عن عقد شخصية خاصة بك في رواية!، إن أردت مهاجمة المرأة على الأقل كن منصفاً واعترف أنك معقد تحتاج لطبيب نفسي لا لدار نشر!".

إبتسم وهو يقرأ السطر الأخير، بدت له حواء لا يمكنه أن لا يراها بين سطور رسالتها وغاضبة للغاية بينما هو تعلم أن يكون بارداً كبرودة قهوته التي نسيها كعادته فقرر أن يتجرعها باردة ، ورشف رشفة منها قبل أن يطبع:

"ممكن تهدي!"

بالطبع لا يكتب مثل تلك الرواية إلا شخص بارد!

" اللي حضرتك كاتبه ده مش أدب، دي قلة أدب!"
هي خرجت عن شعورها تماماً وتذكر ذلك ولا تستطيع التوقف، فقد انفلت الأمر
من بين يديها!

" خلي بالك، إنت كده بتجري فيا، كل ده لاني قلت الحقيقة"
" حقيقة! اللي في دماغك ده وهم، عقدة إضطهاد لازم تتعالج منها"
يكاد يراها تصيح بين أحرف كلماتها ولا تدري أن غضبها يسعده!
"حوا متغلطيش"

ضيق عيناها وهي تنظر إلى الرسالة على هاتفها، بدت لها تحذير!
"أنا مش حوا، وروايتك مرفوضة!"

إتسعت إبتسامته ولازال محافظاً على هدوءه..

"لا! هتتنشر وعندكم وانت بنفسك هتثني عليا!"

غرور، حماقة، كبرياء!، كلها صفات يتميز بها كل رجل، لا فارق، كلهم سيان!
كزت على أسنانها غاضبة وقبل أن ترد أنها رسالته:

"قابليني! يا تقنعيني يا أقنعك، ووقتها تقرري!"

هو يضع الأمر بين يديها، وهي مترددة، رفضت الرواية وانتهى الأمر، الكلمة العليا
لها، فما الذي يجعلها تقبل بعرضه؟!

والإجابة معروفة، إنه الفضول الذي قتل القطعة والذي جعلها تقبل بأن تقابله غداً!

حصل على إنتصاره الأول وتركها حائرة، فكعادتها تندفع وتعود لتلوم نفسها..

حمقاء!

صاحت بين جنبات نفسها وهي داخل حجرتها بعد يوم طويل من العمل، إتجهت
للسرير وكادت أن تنام عندما وجدت ورق الرواية قابع على مكتبها فقررت أن تعيد
القراءة، فأمسكت بالورق وأخذت تقلبه، تخطت المقدمة "اللوزعية العميقة"
كما تهكمت واتجهت إلى ما بعدها...

النساء رقيقات، النساء حاملات، النساء كالفراشات، النساء لا يكذبن، النساء لا
يخدعن، النساء دوماً هن الضحية، كذب محض كذب، النساء مخادعات، النساء
كاذبات، النساء يكسرن قلبك ويكفين، والأدهى تكون المواساة من نصيبهن!
هن الحوريات البريئة ونحن الوحوش الكاسرة، عالم مخادع وحان الوقت ليروا الأمر كما
يراه الرجل!

فبين لا رفضها رجل..

"أنا محدش يقولي لأ!، هتيجي لي راکعة!"

طلب نفذه رجل..

"إنتِ طالق!"

طلب قدمه رجل..

"أنا طالب إيد بنتك يا عمي!"

حماقة إرتكبها رجل..

"أنا آسف!"

وتحطم قلب رجل..

"خسارة كل لحظة حب حسيتهام مع واحدة زيك!"

كانت حكاية خمس رجال من أبناء آدم حصدت البطولة بحياتهم بنات حواء!
وحتى غضبها لم يمنع سلطان النوم الذي غشى أجفانها فنامت، والورق بين يديها،
وفي الغد ستلقاه، وفي الغد ستقرأها كما لم تقرأها من قبل، حتى ولو كانت قد
أصدرت حكماً مسبقاً!

الفصل الأول

عشق النساء حرب لا قبل لك بها ولن تخرج منها أبداً منتصراً..
القاعدة الأهم في قاموس النساء..
حواء لا تقبل الهزيمة وتتعدد أشكال النصر!

النساء يبحثن عن الأمان ويعشقن الرجل الخطير، العاثر، المخادع، معادلة غريبة تعيشها حواء التي تتحدث عن أهمية الأمان وأنه أهم وأقوى من الحب، ثم ماذا؟! حواء تعشق من يشعرها بالأمان ثم يأتي الخطير العاثر، المغامر المجنون، صاحب الجانب الغامض الخفي والمثير فيستحوذ على كل الإهتمام وتتعلق قلوبهن رغم أنهن يعلمن نهاية القصة ولكن دوماً يبحثن عن نهاية مختلفة!

ومن نلوم هنا سواهن؟، ربما يمكننا لوم القصص الخيالية، فهي من أقنعتن أن الوحش يقع في غرام الجميلة وحبا له يعيده سيرته الأولى فيتحول إلى أميرها الرقيق مرة أخرى وتصدمن الحقيقة، العاثر يظل عابثاً وهو خير مثال!

- مؤمن يا مجنون!

قالتها وهي تضحك بينما هو يسير بالسيارة بأقصى سرعة، سيارته الرمادية اللون، اللامعة على أحدث طراز، لون كان يكرهه، ولكن الآن حياته أضحت رمادية، فقد مضى عهد الأبيض والأسود منذ زمن!

يزيد من السرعة وقلباها يهدير بعنف لكنه يرقص فرحاً، فكل حواء تعشق المغامرة!

- وقف عشان خاطري

زاد معدل الخطر وبدأت تخاف وهي ترى سيارات الطريق السريع وهو يسير في عكس السير ليلاً وترى في كل سيارة قادمة إرتطام مروع وحادث مميت، صاحت بإسمه في رعب وأجاب عابثاً:

- تعالي في حضني وأنا أوقف!

ألقي بعرضه بوقاحة يتقنها وهي تحب وقاحته ولو لم تعترف، حدثت به غاضبة، أي مجنون هو؟!

لكنها تعشق الجنون، ذلك الشعور الذي يتسلل بداخلها ليزيح الملل ويقدم لها المغامرة على طبق من حب، ملامحها عابسة ومن داخلها تبتسم بخجل وتردد مجنون وهي تحب ذاك الجنون وتلك النظرة الشقية بعينه، رفعة حاجبيه طالباً منها أن تستجيب لطلبه لستمع بدلال وتهتف:

- إنت إتجننت!

- ماشي! نشوف الجنان على حق!

وانطلق وجهها لوجه مع شاحنة مسرعة وهي تصيح به ليتوقف وبناءً على طلبها ضغط مكابح السيارة لتدور دورة كاملة قبل أن تتوقف وهي تصيح وتغلق عيناها في خوف في إنتظار الكارثة، وفتحتها ببطء لتجد نفسها بين أحضانها، رفعت وجهها لترى إبتسامته العابثة ويرى هو ضعفها، فهي ترتجف خوفاً من موت كاد أن يكون محققاً وحصل على هدفه، هي بين ذراعيه!

- ما كان من الأول

- انه.....

ولم تكمل جملتها فهو إبتلع باقي حروفها بتملك وسيطرة تامة يحترفها، ورفضت رفضاً واهياً، همسة رافضة ويد تحاول دفعه بوهن، رفضاً تقنع به نفسها أنها قاومت لكنها ضعفت أمام رغبته، بينما هي تطبق مبدأ "يتمنع وهن راغبات"!

هي أرادت المزيد وبشقة غرامياته كان لها ما أرادت!

من هي؟!

هي امرأة بقائمة نسائه، لا يهتم اسمها ولا أي تفاصيل سوى تفاصيلها هي، وجه ملائكي، خصلات ثائرة وجسد كتماثيل الرومان وهو كل ما يهتم من هو مثله، إمتلاك فتنها وهي لم تمنع فهو سيتزوجها!

وهل حواء بتلك السذاجة لتصدق أن رجل منحه كل شيء سيتزوج منها؟! بالطبع لا!، لكنها تقنع نفسها، فهي لا يمكنها الاعتراف أن الرغبة بينها كانت متبادلة، عندها لن تكون هي الضحية.

إقتربت منه وأسندت ذقنها لكتفه فإلتفت إليها يعلم ما ستخبره به جيداً فهي عليها أن تطرح سؤالها الأهم:

- مؤمن، إحنا هنتجوز مش كده؟

حقاً تسأله إن كان سيتزوجها أم لا؟ ربما كان عليها طرح ذلك السؤال من قبل!

- واللي حصل بينا مش جواز؟

نظرت إليه بدهشة وتحركت تجلس أمامه عندما قرر أن يراوغ كعادته:

- هما زمان قبل المأذون وكل الورق كانوا بيتجوزوا إزاي؟

- إنت بتهزري!

صاحت غاضبة وكادت تغادر السرير عندما جذبها من ذراعها:

- إيه؟ عايزة تتطلقي؟

رفعت حاجبها بدهشة، عن أي طلاق يتحدث؟، هي ليست بزوجته لكن صفعها عقلها بالحقيقة، إن لم تكن زوجته فلم تقف بغرفة نومه لا يسترها سوى شرف سرير كانت تشاركه إياه منذ دقائق؟ والإجابة صفتان لا ثالث لهما إما زوجته أو عاهرتة؟

إختاري حواء الوصف الذي يناسبك!

وعليه إستساغت كذبه، فهي "زوجته"، هكذا تقنع نفسها وقريباً ستصبح كذلك رسمياً، فهو لن يتمكن من تركها والإستغناء عنها.

وتناسست أن آدم ملول بطبعه وما أن يملها حتى يبحث عن أخرى، فالفقصة مثيرة
والبداية دوماً مميزة، إلى أن تبدأ في المطالبة بحقوق ليست لها، فهي ستطالبه بأن
يلتزم تجاهها، أن يجعل إرتباطهم رسمياً، ألا يعاملها كفتاة ليل ترضي رغباته فقط رغم
أنها حقيقتها!

والأدهى أنها ستطلب منه أن يكون لها وحدها، جارية ستطالب بالحرية بعد أن
ملكته نفسها، فالإنسحاب سيكون الحل الأمثل، لكنه لم يفرغ منها بعد!

إرتدت ملابسها لتغادر وتعود إلى منزلها وتركنه يتذكر كم تمتعت وكيف كان طريق
الوصول إليها، الجميع إعتقد أنها صعبة المنال لكنه كان يرى نظراتها ويدركها جيداً،
كانت صيداً ممتعاً للغاية !

نظر إلى الساعة وضرب جبهته بيده، فهو نسي مواعدها تماماً، سيدة قلبه الأولى!
بدل ملابسها بسرعة واتجه إلى سيارته يسير بها بسرعة، فهو لم يكن هادئاً، بل لم
يعد هادئاً!

"مؤمن محسن الصاوي"، الفتى ذو الأخلاق الرفيعة أو كما كان يلقبه أقرانه "الشيخ
مؤمن"، فالتهم كان رفيقه طوال سنوات الثانوية والجامعة، فالجميع يدرك من هو،
الفتى التقليدي للغاية رغم أن ملامحه لم تكن تقليدية أبداً، فهو وسيم بخصلات بنية
فاتحة وعيون تلاءم لونهما لون شعره وتختفي نظراته خلف نظارة طبية، ملامح رجولية
بوسامة وهدوء يعكس هدوءه الداخلي، فهو متصالح مع نفسه، ولكن السؤال الذي
يؤرقه دوماً ..

لم لا يمكنه أن يجد فتاة أحلامه؟! أو بالأحرى لم هو ليس بفتى أحلام إحداهن؟!
ويكاد يجن لمعرفة سبب إنجذاب بنات حواء للرجل العاثر متعدد العلاقات، تنجذب
للمغرور، المتبجح، الوق، الغامض، ذلك الذي يجرحهن ويكسر قلوبهن ويعود ليطلب
الساح فيسأحن وتعاد الكرة مرة أخرى، هو رأى القصة تتكرر مراراً أمام عينيه،

الشاب الوق العاثر يتلاعب بالفتاة الجميلة الساذجة وهي تقع في غرامه أما هو فمرفوض ربما لأنه واضح، لا يخدع، لا يكذب، لا يراوغ، لا يتقن الكلام المعسول ولا فن كسر القلوب، ففي نظرهن هو مل بملاحه الهادئة وملابسه المنظمة ونظاراته التي لا يتخلى عنها، ببساطة لا يصلح ليكون فتى أحلام إحادهن ولا بطل قصة حب مشتعلة!

هو إعتاد أن يكون الهاديء، الخلق، هو كان مؤمن!
إنترعته من أفكاره سيارته التي تعطلت في منتصف الطريق..

- وشك فقر يا بومة!

خرج من السيارة محاولاً إكتشاف العطل ولا فائدة، لكن خدمه حظه فهو على بعد شارعين من الميكانيكي الخاص به، فقرّر أن يحاول معها حتى وصلت بالفعل لورشة "أنس لتصليح السيارات".

خرج من السيارة وصاح منادياً:

- أنس، انت يا ابني ... أنا مستعجل

وتحت إلحاحه خرج من أسفل إحدى السيارات شاب في أواخر العشرينات، جسد رياضي، عضلات بارزة بفعل العمل لسنوات، ملامح رجولية خشنة، لكن نظرة عينيه التي تشبه العقيق الأسود وتماشى مع خصلات شعره السوداء القصيرة تحمل طمأنينة غريبة وملامحه تحمل قدراً كبيراً من الوسامة، يغطيه الشحم من أثر العمل

- إنت على طول مستعجل، من إمتى وانت مش مستعجل؟

حرك عينيه مستنكراً، فهو وأنس نشأت بينهما صداقة غريبة لا علاقة عمل بين ميكانيكي وزبون، فقد أصبحا صديقين في فترة قصيرة.

أنس قصة شاب بنته الحياة وصقلته هومها، توفي والده وهو في الإعدادية وترك له شقيقتان، أم، ديون ومطالين بها وانتهت فترة المواساة بمرور أيام العزاء وواجه الدنيا وحيداً، مزاحق، بل على أعتاب المراهقة، والهموم لم تكن لترحم، وحداثة سنة لم تكن لتشفع، وغاظة القلوب هي السمة السائدة.

فعندما يتحدث المال يصمت كل شيء!

القليل فقط من تنازلوا عن ديون والده لهم لكنهم فوجئوا برده:

- أي حد ليه فلوس عند الحاج زين السعدني الله يرحمه دين في رقبتي!
حولته وفاة والده إلى رجل يُعتمد عليه، ولم يكن أمامه خيار آخر، تخلى عن كل شيء
ليدير ورشة والده لتصليح السيارات وقد برع في ذلك، فهندسة الميكانيكا كانت
حلمه الذي ودعه واكتفى بدبلوم صناعي حصل عليه بعد سنوات عديدة من التأجيل
وبالنهاية هو رب العائلة الذي حقق نجاحاً مبرهاً في مجال عمله وبدلاً من ورشة واحدة
أصبحت عدة ورش، مال وفير، شقة فخمة، سيارة حديثة ودقة قلب لجارة كانت
دوماً لها السيطرة على قلبه، لطالما رآها مختلفة عن أقرانها، لم تكن تشارك فتيات
شارعهم اللعب ولا يراها غير مهندمة أبداً رغم أن حالة أهلها المادية ضعيفة خاصة في
وجود أربعة بنات هي تتوسطهم، لكنها كانت مختلفة حتى عن إخواتها، كانوا يلقبونها
وهم صغار بالأمية المغرورة وقد أضحت أميرة أحلامه، "بسة"، كانت ولا تزال
سبباً لرسم البسة على وجهه.

- يا مؤمن إرحم نفسك، المكنة إنت بتضغط عليها جامد، الفرامل سايبة وعاليز تغير
بوجيهات وطقم كاوتشات جديد، إنت كنت في حلبة سباق؟
اتكأ على السيارة قبل أن يغمز بعينه ويشعل لفافة تبغ مجبياً:
- وفزت

يعلم قصده جيداً، فهو أخبره بكل شيء والعاث لا يوقفه شيء!
- مزة يا أنس إنما إيه فرصة بنت اللذين، لا وتضيع عليا بس على مين صاحبك
ميتخافش عليه!

أغلق غطاء السيارة وطالعه مستنكراً

- كل ده وميتخفش عليك؟ لا واضح، يا ابني ده حرام
ألقي بلفافة التبغ من يده ودهسها بقدمه قبل أن يتهم
- اللهم قوي إيمانك يا حاج أنس، بقولك إيه ما تيجي أباصيها لك؟!

رفع حاجبه بدهشة واتجه يمسك بمعداته قبل أن يجيبه وهو ينزل أسفل السيارة:

- مبحبش المستعمل

إنفجر مؤمن ضاحكاً من تعليق صديقه وحاول السيطرة على ضحكاته وهو يراها تدخل إلى الشارع، عيون سوداء لامعة بأهداب طويلة وبشرة صافية كالأطفال لكنها خمرية مسكرة وخصلات شعرها الأسود المموجة هربت إحداها من الأسر فسقطت على وجهها، ورغم أن ملابسها كانت محتشمة لكنه يقسم أن أنوثتها لا تخطؤها عين..

- بص اللي جاية هناك، دي على الزيرو، اللي معاها بقى مش متأكد!

تعدت وقاحتها الحد فخرج أنس لينهره كعادته لكن صدمه ما رأى، هو يتحدث عن أثنائه، حواء خاصته ونظرة عينيه التي إنطلقت بشرر حارق تركت العابث أمامه حائراً، فتنحى قبل أن يقر بما فعل:

- أنا عكيت باين كده، تخصك؟

- خطيبي!

أجاب بتملك ذكوري، هي خاصته منذ الأزل، بل هي ولدت لتكون له، يتذكر يوم قرر أن يتقدم لحببتها، كانت قد أنهت الثانوية العامة بمجموع يؤهلها لدخول كلية الطب لكن ضيق ذات اليد منع ذلك، لا زال يتذكر لمعة عيناها وهي تخبر شقيقته بنجاحها وأحلامها وهو يراقب فرحتها من غرفته ولأول مرة يستجمع شجاعته ويحدثها:

- مبروك يا دكتورة

إبتسمت بنجل عندما عاجلتهم أخته بالرد:

- فال حلو أهوه يا ستي

نظرات خجولة ولا تجيب عندما نادى على أحد العاملين معه والطلب واضح:

- عايزك توزع شربات على الحتة كلها حلاوة نجاح الدكتورة

سعيد بالفعل، سعيد لدرجة لا يتوقعها، وعكس حواء، آدم لا يستطيع الكذب ولا تزييف سعادة لا يشعر بها، بل يود إسعاد كل من حوله، لكن الأمر انقلب، فكما شهد فرحتها كان شاهداً على دموعها يوم رآها تغادر منزلهم ودموعها تهمر دون توقف

وحائر هو أيتبعها أم لا؟! فهو يعلم أنها لن تحدثه، حواؤه تكتم أسرارها جيداً ودموعها وضعفها لا تظهره فإن رآها بأكية فالأمر جلل بالفعل!

- أبوها رافض يدخلها الكلية، ما هو كان معاه حق، أربع بنات، يجهز أختها الكبيرة وكلية طب مصاريفها كثير وهو مش حمل كل المصاريف دي!

مبدأ شقيقته المفضل، المال أولاً، هكذا كانت علا حتى في تعاملها مع زوجها، فالمال يأتي أولاً وعليه هو يعيش بغربة لمدة خمسة سنوات!

لكنه لا يهيمه أمر المال إن كانت تلك مشكلتها فهو مستعد لدفع الثمن، لكن كيف؟! هو لا يمت لها بصلة، والصلة بالنسبة إليه قريبة كقرب دقات قلبه له.

آدم عندما يعيش، يعشق بصدق وهو غارق لا يود النجاة ونجاة أحلامها تمثلت به عندما تقدم لوالدها بطلب واضح وصریح:

- أنا طالب إيد بنتك يا عمي!

وطلبه لا يُرفض، فوالدها يدري من هو، شاب ذو أخلاق ومركز مالي مريح سيضمن لها حياة سعيدة بينما هي كرهته لحظة تقدم لحطبها، هو من جاء ليقضي على أحلامها، لكنها جلست معه تحت إصرار والديها، لا يجد كلاماً وهي تود أن تطرده

- آنسة بسمه، أنا، إنتِ عرفاني من زمان و....، أنا هأحقق لك كل اللي إنتِ عايزاه.

إبتسمت بتهكم، فخلعها الأوحاد رحل وستنتهي بشهادة الثانوية العامة متزوجة من شخص يحمل دبلوم صناعي بالكاد حصل عليه!

- أنا هأخليكي تكلمي طب زي ما إنتِ عايزة!

رفعت عينها إليه ولمعة عينها واضحة فإبتسم لسعادتها:

- مش عايز غير إنك تكوني مبسوطه، أنا بحبك يا بسمه

نظفها دون وعي، فهو يحبها منذ زمن، أمام الجميع هو صلب، صلد ربما جلف أو قاسي حتى، لكن أماتها الأمر يختلف، يعاملها كوردة رقيقة يخشى جرحها فوافق على كل ما

تطلب، لا زواج إلا بعد خمس سنوات، ستعمل كطبيبة، ودون أن تطلب

كل مصاريفها تكفل هو بها، حتى أنه عرض أن يشتري لها سيارة لكنها رفضت
فبالنهاية هي تستغله في الوصول لهدفها، فهي لا تحبه ولا تعتقد أنها ستفعل يوماً!
قاسية يا حواء!

فتح غطاء سيارة مؤمن وأوصل بعض الأسلاك قبل أن يغلقه بعنف ويشير إليه
لينصرف، غيور بل عاشق!
- أنا آسف مكننتش أعرف

- إمشي!

أوماً برأسه وغادر لتتجه هي وصديقتها تجاهه:

- البشمةهندس أنس، روفيدة صاحبتى، عريبتها عطلت قريب من هنا
أخبرته ليشعر بالسعادة، فهو يبتهج عندما تشركه في عالمها، فهو اقتطع جزء من وقته
لدراسة اللغة الإنجليزية ليستطيع مجاراتها!

- أوي أوي، الهانم تؤمر ده كفاية إن بسبوسة واسطتها
إبتسمت بتوتر ونظرت لها صديقتها بدهشة فهي لم تخبر أحد أنه خطيبها، ببساطة
هي تخجل منه!

الرجل يعشق! نعم يعشق أكثر من المرأة التي يمكنها أن تحقق إستقلالاً كاملاً دون رجل، لكن يظل الرجل باحثاً حتى يجدها وما أن عشق كانت له الأم بعد أمه. وهكذا كانت "مها" بالنسبة له، هي زوجته وأم ولده وأمّه بعد فقدانه لأمه، وهي زوجة رائعة فهي تعد وليمة للغداء من أجله، فهي تعشق جلوسهم لمائدة الطعام معاً، زواجهم كان عادياً للغاية، زواج تقليدي..

إيجاب ... قبول

وقصة عشق بعد زواجهم..

فعمره يعشق كل ما بها وهي كذلك، وكأن ملامحهم إمتزجت، فمن يراهم يؤكد الشبه الكبير بينهم، فالحب يمزج ملامح العاشقين، فكلاهما يحمل عيون بلون البندق وملامح شرقية وسيمية، بشرة خمرية واختلفت الخصلات، فشرها هي أسود حالك وهو يعشق لونه، فلا تنسى يوم أهداها مشبك شعر على شكل نجمة

- شعرك زي الليل ودي النجوم في سماه

تبتسم بسعادة ولم تتخيل أن تعيش تلك السعادة يوماً، تزوجت من عمره لأنها بسن الزواج ولأنه شخص مناسب ولكن الأمر تعدى ذلك والليلة كان حفل عيد مولد صغيرهم، ذكرى أسعد يوم بحياتهم.

دخل إلى المنزل ليحدها بالمطبخ فاحتضنها لتلتفت

- حسيت بيك من أول ما دخلت أصلاً

قبل وجنتها وأخرج علبة من جيبه لتتظر إليها وتفتحها لتجد خاتماً

- كل سنة وانت طيبة

إتسعت إبتسامتها وهي تنظر لعيناه

- بس ده عيد ميلاد يزن

- وانت اللي جبتي لي يزن، هديتك ليا، ولو حد يستحق هدية النهاردة فهو إنت وطول ما أنا عايش هاأفضل أجيب لك هدية في عيد ميلاده، وعيد ميلاد ولادنا اللي لسه هيجوا كان.

ضحكت وهو ينظر إليها يتأمل جمال ملامحها التي يعشقها، هي تزداد جمالاً ورغبته بها
لا تفتر أبداً وقد قرأتها بعينه
- أنا ورايا تحضير حفلة عيد الميلاد كلها
جذبها إليه بعث وهو يهمس
- عشان الهدية يبقوا اثنين
هو عاشق مجنون، لم تعتقد أنه سيكون كذلك يوماً، لم تعتقد أنها ستعيش إحدى
الروايات التي أدمنت على قرائتها وهي مراهقة تعيش وسط خيالها الرومانسية لكن
الروايات ليست بعالم آدم أبداً!

- هتجوزها يا ماما!

قرار أنهى به خلافه مع والدته حول الفتاة التي يعشقها، تلك التي ترك خطيبته ذات الأخلاق الرفيعة من أجلها، وبدأت رحلة المشاكل اليومية التي لا تنتهي مع أسرته بل وصل الأمر لبعض أصدقائه ومن يهمهم أمره، فهكذا كان حال عامر مع حبيبته، هو عاشق أعماه حبها عن كل شيء سواها، عن تحذيرات الجميع، فلا يهم شيء سوى حبها وكلمة والدته تتردد بعقله:

- متنفعكش، دول ناس غيرنا

- بحبها

واحب له سلطانه الخاص، سحره وشيطانه الذي ما إن إستحوذ حتى عميت العيون وُصمت الأذان وتوقف العقل تماماً!

- الناس شايفيني وحشة بسبب أهلي، مش ذنبي، محدش بيختار أهله.

وبكت وآه منها دموع حواء!

فدموعها كانت أشد تأثيراً من تحذيرات الجميع، ووعد قطعه بصرامة، هو لن يتخلى عنها، عشق أم عناد؟! لا يدري! فهو كان دائماً وأبداً عنيداً وكلما إزداد رفض الجميع، إزداد إصراره وتعلقه، حتى عيد مولد ابن أخته لم يذهب إليه لكنه متعلق بالصغير جداً وهاتفته:

- ما رحتش؟

- لأ

أجاب بضيق ليستمع لصوت تنهيدها بالهاتف:

- أنا مش عايزة أبقي حاجز بينك وبين أهلك، مش هأبقى مبسوطه وانت بعيد عنهم.

يكاد يفقد عقله هي تدفعه لبرهم وهم يتحدثون عنها كأنها سليلة الشياطين!

- مش عايز حد يكلمني يا هدير، مش ناقص وجع دماغ.

- هما معذورين برضو، انت تستاهل أحسن مني!

معزوفة حواء المفضلة في اللعب على المشاعر، النساء ماهرات في عزف تلك المقطوعة التي تمس القلب وتصيب الهدف دون أن تخطيء!

- روح عشان خاطري وبوس لي يزن كمان، أنا بحبه لأنه شبه خاله.
ولا يمكنه الرفض، رفض إتصالات والدته، أخته وزوجها لكنها طلبت بركة جعلت منه طفلاً صغيراً أمامها والإجابة مطيعة للغاية:

- حاضر يا ستي، إنتِ تؤمري!

- بحبك

أغلقت صفقتها بالكلمة السحرية وتركته مبتسماً سعيداً، سيذهب طالباً منهم ألا يحدثه أحد في الأمر فهو لا يريد ما يشوش على أحلامه وقصور الهواء التي يبنها، حيث هو الملك وهي مفضلته المطيعة !!

أغلقت الرواية بعصية شديدة، فيكفيها الأعمال المتكدسة على رأسها، لكنها لن تتنازل عن لقاءه رغم تردددها، وبمرور الدقائق قررت أن تتراجع، هي لن تقابله، هو لا يستحق، فهو مجرد حاقد على المرأة، يعاني من عقد نفسية، وبينما هي على وشك أن تنصرف وجدته يقف في الخارج مستنداً لسيارة!

توجه نحوها وقطع طريقها:

- آنسة رحاب ؟

طالعه بدهشة عندما قدم نفسه لها:

- آدم!

إتسعت عيناها في دهشة بل صدمة، هو أتى إليها، بل جاء يتحداها!!

فغرور حواء قد أنساها أن البداية دوماً لدى آدم!

الفصل الثاني

"تفاحة آدم" معضلة في حياة النساء!

تجد الكثيرات يتحدثن عن عشقهن لذلك الجزء البارز بالرقبة المسمى بتفاحة آدم، وهل يعلمن سبب التسمية؟

هناك اعتقاد قديم بأنها جزء عالق بحلق آدم حين أكل من الفاكهة المحرمة، فهي تذكير بالأستمتاع لحواء، لا تصدقها ولا تفعل ما تقوله، فهي من أخرجتك من الجنة وربما لا تريدك أن تعود إليها مجدداً، وهي تحبها لأنها تذكير بأول إنتصار حققته على آدم!

دخل إلى ذلك السكن الذي إستأجره مع مجموعة من أصدقاؤه، بل رفقاء غربته، جمعهم ظروف واحدة من الابتعاد عن الأحبة والسعي وراء لقمة العيش وهو هنا من أجلها وليس لأي سبب آخر، لطالما كان راضياً كل الرضا عن عمله كمعلم للغة الإنجليزية بإحدى المدارس الابتدائية وبالطبع كان للدروس الخصوصية نصيباً من دخله، فراتبه الحكومي سيكفل له أن يكون من ساكني العشوائيات بمجدة، فلم يجد حلاً آخر، لكنه لم يكن يغالي في طلب المال من التلاميذ بل وأعطى بعضهم من ثمن الحصص لأن أهله غير قادرين، وبالنهاية هم أطفال وكانت هي تصيح غاضبة:

- ليه هنتبناهم؟

إبتسم بحسرة، فهي كعادتها تجرح ولو دون قصد، فقرارها الأول كان لا أطفال حتى يستطيعوا بناء مستقبلهم وباب النقاش مغلق حتى إشعار آخر!، وبالرغم من ذلك أتت إجابته تحمل طبعه الهاديء المعتاد:

- مش قادرين يدفعوا يا علا، أخرجهم قدام زمايلهم؟

عقدت يدها إلى صدرها، فهي تكره طبيته تلك أو كما تدعوها سذاجته، فهو يسهل إستغلاله ومن هم مثله لم يعد لهم مكان بتلك الدنيا التي يأخذ كل فرد فيها ما تطله يده حتى ولو كان في يد غيره!

هي طموحة وهو قنوع، وفي عرف حواء قناعة الرجل كسل، إستسلام، ضعف،
حواء تمقت ضعف الرجل، تتحمل القاسي، الغاضب، الغيور لكنها لا تتحمل وجود
الرجل الضعيف، فهي الكيان الضعيف وإن أنكرت ورفضت، لكنها من داخلها تحب
ذلك!

تركية لن يفهما آدم ممّا حاول، وبالنهاية جاء العرض الذي كاد يرفضه لكنها تمسكت
به كأنه قارب النجاة:

- إنت لازم توافق يا منير!

طالعها بدهشة، بل شعر بألم في قلبه هي تطلب منه الرحيل:

- إنت عازاني أسافر يا علا؟، أنا مش هينفع أأخذك معايا!

- مش مهم، المبلغ ده هيامن لنا حياتنا كلها، هنغير الشقة لشقة أكبر وفرش أحلى
وعربية ونعيش بقي يا منير!

ورافض لكل ما تقوله، هو لم يعتد البعد ولا يستسيغ الغربة لكنه وعدها بأن يحقق
أحلامها.

وها هو يخرج بقايا خبز بارد وجبن أبيض، بعض اللقيات التي يدخلها لجوفه بلا شهية

لأي شيء، وينظر إلى راتبه الذي سيرسله لها كحال الخمس سنوات الماضية!

إبتاعت الشقة التي تريد والسيارة التي كانت تتطلع إليها وكل ما أرادت ولازالت تصر

على أن يبقى!

هي لا تكنفي ممّا فعل!

- مغالطة فظيعة! على فكرة حوا مخرجتش آدم من الجنة ودي أول نقطة عندي إعتراض عليها، الإثنين أذنبوا فنزلوا الأرض لكن كعادتك لازم تكون الست هي اللي غلطانة!

وهو يستمع دون رد ولا تختفي الإبتسامة من على وجهه أبداً، فهما يجلسان معاً منذ أكثر من ساعتين و لكنه لا يزال يتذكر صدمتها لرؤيته:

- إنتِ عدوانية!

- وإنتِ معقد!

وضع عصير البرتقال من يده ونظر إليها ملياً:

- قولتيها قبل كده، عارفة إنتِ مشكلتك إيه، إنتِ مقتريش الرواية من الأساس، حكمتي من قبل ما تقري، إنتِ اللي عندك مشكلة مع الرجالة وإلا مكنتيش بقيتي بكل التوتر ده، لو واثقة من نفسك المفروض تبقي هادية! - قصدك باردة؟؟

إهانة مبطنة إبتلعها بإبتسامة متهمكة جعلتها تشتعل حنقاً:

- آنسة رحاب أنا سهل جداً أخطأك وأكلم مدير الدار وممكن أعمل لك مشكلة في شغلك بس أنا مش هأعمل كده!

لوت فيها بتهكم أثتوي خالص وتمتمت بنبرة ساخرة:

- كرم أخلاق منك!

- لا خالص، إنتِ بالنسبة لي بقيتي هدف، هدفي إني أغير وجه نظرك، أنا مش عايز شهرة، أنا عايز أغير فكر لو واحدة بس من بنات حوا، إقتنعتِ هأبقى أنا وصلت لهدفي!

طالعته بدهشة ولا تنكر أنها أعجبت بذلك المنطق، فهي ترى ما وصل إليه المستوى الأدبي مؤخراً من حالة التزدي والروايات التي تعتمد على الرومانسية الحاملة أو الفجاجة والتي تكاد تصل لمستوى الأفلام الهابطة، فالأمر من الناحية الأدبية وفقط،

وهنا تظهر عادة حواء المراوغة، ففي الحقيقة هي أعجبها التحدي، الجرأة، اللعبة بأكملها تروق لها وترى نفسها منتصرة بنهايتها:

- بس لازم تأخذ في إعتبارك إني ناقدة لاذعة!

- واضح!

أجابها وهو يحاول كتم ضحكاته فالتحليل المبدئي لشخصيتها شقية ... عفوية ... منطلقة وتعشق التحدي، وبالفعل قررت أن تعود لقراءة بدأتها ليلة أمس واستكملتها بالمواصلات العامة!

ومرور الأيام لم يعد يحتمل، فلماذا يجمع المال إن كان لا يريده؟، لا يستطيع الإستمتاع به، ولا يجد للحياة طعماً ولأول مرة في حياته قرر الفرد، ألا يخضع لرغباتها ويسمعها تلك الكلمة التي لم تعتد أن تسمعها منه "لا"، ولم يكن خضوعه ضعفاً بل عشقاً لا يقتنع به بنو جنسه وتستغله بنات حواء بمهارة، فما إن سقط آدم في خطيئة العشق حتى طرد من جنة الراحة إلى حجم الغرام ونيران الهوى، وهو رغم عشقه قرر أن يعترض، رافض، ساخط، وقرر أن يعود إلى كل ما ترك:

- أنا تعبت يا علا، ٥ سنين و٤ شهور و١٢ يوم عديتهم باليوم والساعة!
إحمر وجهها غضباً وصاحت به:

- بنأمن مستقبلنا ولا عايز ترجع تحسب مرتب الشهر هيكفي ولا لأ؟
ولا تدري أنه كان يرى دوماً نصف الكوب الممتلأ، كان يرى في كفاحه مغامرة، في كسبه لقوت يومه وسعيه نحوه حياة، يشعر أنه بشر لا آلة لإخراج المال كما هو حاله الآن، هي لا تدري أنه يتمسك بآخر ما بقي له من نفسه التي أضاعتها غربة السنوات فغابت ضحكته، ثقلت أناقسه وما إعتاد أن يفرحه لم يعد كذلك:
- نفسي ارجع لك يا علا، اترمي في حضنك.

نبرة مرهقة، تعب من كل ما حوله بالفعل وأتاه ردها ببرود:
- خلاص إنزل أجازه!

وبرودتها تلك تقتله فلا يجد رداً، لكن وجه آخر بدا عليه الغضب بل كان يشتعل حقناً، وما أن أغلقت الهاتف حتى انفجر بها:

- ما ترحمي الراجل يا علا، كفاية عليه سنين الغربة وانتوا بقيتوا مستورين والحمد لله
ويا ستي يوم ما تحتاجي حاجة هتلاقيني سداد.

- أنا لا عايزة أحتاج لا منك ولا من غيرك، الغربة اللي بجد غربة الحوجة ومد الإيد، لما يبقى نفسك في الحاجة وانت مش طايها، عايزني أجي اشحت منك يا أنس؟
إتسعت عينيه في صدمة من حديثها فهي شقيقته، كيف لها أن تتحدث بتلك الطريقة بل وتعتبره غريباً، لا تريد أن تمد يدها له!

هي شقيقته مسؤوليته حتى لو تزوجت، ستظل دوماً في كنف حمايته ورعايتها
واجباً عليه لكنه نطق بما جال في نفسه:
- إنتِ الكلام معاك مفيش منه فائدة، الله يكون في عون جوزك!
وغادر وتركها في داخلها تلعن الرجال وسيطرتهم، فهي لن تسمح أن تكون اليد العليا
بحياتها لأي رجل!

وعلى الجانب الآخر كانت حواء أخرى بأحلام بسيطة، منزل متواضع ياحدى الحارات الشعبية وعشق تخفيه لسنوات والحب سرّاً أسمى درجات العشق، دقات القلب إرتبكت وهي تستمع لصوت سيارته، تستطيع تمييز الصوت ولو وسط آلاف السيارات والسبب أنها تشعر بوجوده فور أن يدخل إلى شارعهم، وهو غاب لمدة أيام فإطلقت ناحية النافذة وفتحها قليلاً تختلس النظر لتراه يصف السيارة ويترجل منها لتتسع إبتسامتها مع كل خطوة يخطوها، هي غارقة بعالمها الوردي ولم تستفق سوى على نظراته لها وإبتسامة عابثة رأتها هي ساحرة لكنها أربكتها فكأنه يخبرها أنه رآها فأعلقت النافذة بسرعة جعلته يضحك واتجه إلى أعلى بينما هي وضعت يدها على قلبها تحاول تهدئة ضرباته التي تهدر بعنف!

- نورا!

إلتفتت لصوت والدتها وحاولت أن تظهر أقل إرتباكاً:

- بتعملي إيه؟

- بنشر الغسيل

أول كذبة ساذجة خطرت ببالها، ساذجة، بريئة، لا تجيد الكذب ولا إخفاء مشاعرها، والدتها تعلم وتراقبها وتتجاهل، وأحياناً تغضب، فهي تخشى عليها كسرة القلب ووجعه!

- هو فين الغسيل؟!

نظرت حولها وكادت تلعن نفسها لغباها المعتاد، فكذبة صغيرة لا تستطيع إتقانها لكنها تهربت وهي تتجه إلى المطبخ وتقول:

- في الغسالة

وما إن وصلت حتى نسيت ما حضرت لأجله ووقفت تنظف الأواني وهي تتذكر ما حدث معها عندما كانت لا تزال بالثانوية، طالبة مجتهدة، طموحة، تعشق المواد الأدبية وتريد أن تدخل كلية الآداب قسم اللغة العربية، حلم متواضع كحياتها وقديماً كانت آمنة تسير بالشوارع بلا خوف ولا قلق لكن سرعة مرور السنوات أطاحت

بالأخلاق فصارت لا تأمن الفتاة حتى بشارعهم، فهي في طريقها لمدرستها بزي المدرسة ولم تسلم من المعاكسات من شبه ذكر يستضعف أنوثتها فأسمرت خطاها ليسرع ورائها ولحظها العاثر انعطفت بشارع خالي ليدرك أن الفريسة وقعت والحظ خدمه فجذبها من ذراعها لترتجف وتسيل دموعها لكن قبل أن تمتد يده إليها وجدت من يجذبه بعيداً عنها لتتنظر إليه ولا تدري لم منحها نظرتة الأمان، فهو رأى الموقف وتبعهم لتتأكد ظنونه من نظرة ذلك الذي يسيل لعبه وهو يسير خلف تلك التي بدت كعصفورة رقيقة.

سباب، صياح، شجار، وبالنهاية انسحبت هي عندما تجمع الناس لفض الإشتباك لكن اسمه اخترق قلبها....
"مؤمن"!

- لسانك ميجيش على لساني! لسه فاكّر إن ليك أم؟؟
- قالتا بغضب وهي تجلس على الأريكة فنزل على ركبتيه أمامها كطفل صغير مذنب لا يتقى سوى رضاها وهو بالفعل كل ما يصبو إليه:
- حقك عليا يا ست الكل بس إنت عارفة إن كان عندي شغل ولازالت غاضبة حتى قبل رأسها فإبتسمت له:
- أبوه كده ضحكة زوزو القمر!
- إنت طالع مين؟، ده حتى المرحوم أبوك مكنش بيعرف يأكل بعقلي حلاوة زيك!
- ضحك وجلس بجوارها يسند رأسه إلى كتفها:
- مالك يا مؤمن؟
- مفيش حاجة متقلقيش عليا
- قال تلك الكلمات قبل أن يتوجه لغرفته واتجهت هي تعد طعام الغداء، قلقة هي بشأنه منذ مدة ليست بالقليلة فهو تغير كثيراً، تشعر بذلك ولو حاول جمده أن يخفي الأمر، عينيه تحمل الكثير من الكلام، الأسرار، هناك شيء ما خلفه!
- منها لله اللي كانت السبب
- تمتت وهي تعد الطعام و تنظر لغرفته المغلقة كحياته تماماً فكتابها المفتوح أضحي صندوق أسرار!

وهو من ضمن أسرارها التي لا يعلم أحد عنها شيئاً حتى قررت تدارك غلطته الفظيعة أمام صديقتها لتخبرهم أنه خريج كلية الهندسة قسم الميكانيكا وورث تلك الورشة عن والده ونسجت من خيالها قصة عنه إستخدمت فيها ما أرادت من حقائق وأضافت ما ودت من أكاذيب لكنها لم تتوقع أن تراه أمامها بجامعة! - بسمة!

ناداها فأغمضت عيناها قبل أن تلتفت، فهي توقعات أن تراه كما إعتادت مغطى بالشحم وملابس العمل، فإلتفتت غاضبة تكاد تنفجر لكنها وجدته متأثقاً ومن يراه لا يصدق أنه هو من يعمل بالورشة التي تكرهها كثيراً، لكن غضبها على حاله، فهي لا تحب أن يفاجئها بتصرف غير متوقع، حياتها مرسومة، مخططة ولا تخرج عن النظام الذي وضعته لها وهو الخلل بنظامها المثالي، لكنه خلل تحتاجه، خلل لا بد منه:

- صباح العسل على عيون الجميل

قابلته بنظرات حاققة وضيق عيناها:

- أنس ... ممكن بلاش الطريقة دي، إيه اللي جابك؟

نبرتها غاضبة وهو لم يتوقع تلك المقابلة أبداً وهي لا تدري عن من تقف بالخلف تراقب الموقف بل تحديداً تراقبه هو، رفعت نظارتها الشمسية فوق رأسها ورمقته بنظرات إعجاب قبل أن تتقدم نحوهم:

- إيه ده يا بوسي مش تقولي إن البشمنهندس جاي

- أصل أنا كنت عاملها لها مفاجأة

نظرت إلى صديقتها التي تحاول أن تبدو طبيعية، والغريب أن مقابلتها هي له كانت أفضل من مقابل خطيبته التي حولت دفة النظرات لها قبل أن تقرر التخلي عن آخر محاضرة وتغادر:

- أنس ممكن نروح، أنا مصدعة وتعبانة!

- طبعاً، تحبي نوصلك يا آنسة روفيدة؟

بضع دقائق بجوار الوسيم و لتذهب خطيبته المستاءة للجحيم!، لكن بسمة قطعت عليها الطريق:

- روفيدة معها عربيتها!

إبتسمت محاولة تدارك الموقف:

- الصراحة يا بشمهندس من يوم ما صلحتها وهي رجعت أحسن من الأول بس الفرامل حساها ثقيلة هبتي أجيبها لك الورشة!

وكعادته أخذته حاسة العمل وربما شهامته المعتادة في كل الأحوال وقدم عرضه:

- وعلى إيه أنا أبص لك عليها دلوقتي!

واشتعلت من بجواره أكثر مما هي عندما توجه مع صديقتها نحو سيارتها ووقفت هي تراقب الموقف، يتحدثان وصديقتها تقترب وتبتسم وهو يبتعد وتفكيره منصب على العمل وكالعادة تلطخت يداه وملابسه وابتسمت بتهكم!، لن يتغير، لا يمكنه أن يكون فارس أحلامها ولو لساعة كاملة!

- جري كده

أعادت التجربة لتشير له بإبهامها وهي داخل السيارة قبل أن تترجل شاكرة:

- تسلم إيدك يا بشمهندس، بس قميصك إتبهدل جداً، أنا آسفة!

نظر إلى قميصه ويداه قبل أن يجيبها:

- ولا يهيمك أنا متعود على كده

واتجه نحو خطيبته التي استقلت السيارة ليجد وجهها محمراً من شدة غضبها ونظرت إلى ملابسه:

- عاجبك كده؟

وزفرت في ضيق لينظر إليها، هي تتدلل وهو أعطاها الحق في ذلك:

- الهانم قاعدة تهزر وتضحك وانت....

قطعت كلماتها وهي ترى إبتسامته التي تبعثها كلمة واحدة كان سعيداً بها:

- بتغيري؟؟؟

تغار! خاطر لم يخطر ببالها حتى هي، فقط تكره طريقته في الحديث والتي قد تفضح كذبتها ولكن فليعتقد ذلك، فهي لفت وجهها بعيداً عندما أمسك بذقنها وأعاد وجهها إليه:

- حقك عليا يا بسبوسة

إبتعدت بنظرها وانطلقا معاً حتى وصلا إلى منزلها لتجد سيارة فارهة باللون الأحمر القاتم تقف أسفله وكادت تتجاوزها عندما أوقفها وفتح باب السيارة:

- عربيتك!

إتسعت عيناها في دهشة وهي لا تكاد تصدق ما ترى أمامها، سيارة فارهة بل سيارتها:

- عربيتي! دي غالية أوي

وضع المفاتيح بيدها وهي لازالت تحت تأثير المفاجأة:

- أنا بخاف عليك من بهدلة المواصلات

إلتفتت تنظر إليه وهو يتطلع لعينيها بنظرات عاشقة وابتسامة:

- وبعدين مفيش حاجة في الدنيا أعلى منك

دهشة، صدمة، مفاجأة، سعادة وذنوب...

مشاعر تتضارب بداخلها، أحياناً تود أن تحبه لكنه لا تراه فتى أحلامها، لا ترى سوى الورشة وعمالها ومستواه التعليمي الذي لن يرق لها يوماً، هي طيبة وهو دبلوم صنايع!

- لسه زعلانة؟

حركت رأسها نافية فهي تكاد ترقص فرحاً واتجهت إلى مدخل المنزل لتصعد عندما تبعها يناديها فإلتفتت وهو يقترب ويمنع نفسه عنها فلطالما أراد أن تكون له، لكن الضمة محرمة والقبلة محرمة، هي قرية بعيدة، ملكه وليست له:

- أنا كلمت عمي إننا نكتب الكتاب

وهنا كانت صدمتها الحقيقة فعقد قرانها منه خطوة لم تحسبها ولم تفكر بها وعقلها
يخبرها لم لا؟ هو يحقق لها كل ما أرادت، هو طيب، على خلق، هو يعشقها ويولي
كل طلباتها، ضائعة بين أفكارها وهي تصعد السلم ودخلت إلى المنزل لتحقق بها
والدتها:

- إيه اللي على وشك ده؟

إلتفتت تنظر إلى المرأة لتجد لوناً أسود على وجهها من أثر لمستته ليصرخ بها عقلها
مجدداً.....

هو ..

هو ...

هو ميكانيكي!

وحواء لها فيما تعشق مذاهب، فمنهن من تعشق المال، الذهب، السلطة، وميادة
تعشق جبالها، تراه وسيلة لكل ذلك، لكن لعبة القدر كانت مختلفة وهي ترى أنها
ضحية، فقد تم دفن ذلك الجمال بزواج تتوق للتخلص منه، وتسعى لذلك!
وقفت تستمع لمكالمة شقيقتها مع عامر وعندما لمحها هدير أغلقت الهاتف:
- واقفة عندك كده ليه؟

فابتسمت بسخرية:

- بسمعك يا حنية، عجبتيني يا بت، عارفة تلفي الواد وعامله خاتم في صباغك،
تربية أمك نفعت!

نظرت إليها غاضبة من حركاتها وهمزاتها وقررت أن تضع الحقيقة بوجهها:
- أنا بحبه

إنطلقت ضحكات الأثوية بالغرفة تلفت أنظار من الشارع، فالنافذة مفتوحة ومنزلهم
بالطابق الأرضي لتتجه هدير نحو النافذة وتغلقها:

- بقولك إيه يا ميادة ما ترجعي لجوزك أبو عيالك وترحمينا
حركت فمها يمينا ويساراً بحركة تهكمية:

- جوزي! يا اختي بلا خيبة، خليني ساكنة من يوم ما تعب يا حبيبتني وهو ما
يفرقش عنك كده في حاجة ومن قبلها وحياتك، دي جوازة الهام بس هقول إيه؟
هتحمسي بالغلابة اللي زينا إزاي وانتِ بترسمي ع فلقة القمر ده؟ طول بعرض، طول
عمرك محظوظة يا بنت محاسن!

لم تصدمها كلماتها فهي اعتادت وقاحة شقيقتها، بل تلك الشقيقة هي إحدى مآسيها،
لكنها تبعتها وهي تضع ملابسها بالدولاب:

- قولي لي يا بت محصلش بينكم حاجة؟

أغلقت الدولاب بقوة والتفتت إليها:

- ميادة جلي عن دماغني

- بيتقى حصل

وكأنها ستجعلها شغلها الشاغل اليوم، فقررت أن تنصرف من المنزل بأكمله، هي تتوق إلى اليوم الذي ستغادره بلا رجعة، فارتدت ملابسها لتغادر عندما وجدت مأساتها الأخرى!

سمر شقيقتها الأصغر، والتي تمت خطبتها لشاب يعمل بإحدى الدول العربية ويبحث عن عروس، زواج سريع، تمت الخطبة في أسبوع واحد سافر بعدها راضياً تماماً عن عروسه الجميلة بحق، وهي وافقت، مركز مالي مرموق وسيسافر ليتركها لتعيش حياتها وما إن لمحتها تتجه إلى الخارج حتى قالت:

- إنتِ رابحة فين؟

- في داهية!

كانت إجابتها قبل أن تصفق الباب خلفها لتغادر وتتمنى أن لا تعود مجدداً! بريئة، تختلف عنهم، لا تستطيع وضع نفسها بتلك الحانة، فلا يمكن أن تعيش وسط مستنقع دون أن تتلطح!

وهو يود أن يخطو إلى داخل مستنقعها، بل عشقه يقوده نحوه بكل قوة ولا يرى سوى سعادته معها وكلماتها له:

- مينفعش يا عامر! اللي انت عملته غلط كبير

قال زوج شقيقته الذي قرر التدخل بعد إنفجار الأوضاع وزوجته التي وجدها تبكي ولا تدري ما عليها أن تفعل:

- أنا قلت لهم هأكلم أبوها قالوا لي إنتِ حر وأنا حر!

وعندها صاحت به شقيقته غاضبة:

- يعني إيه حر؟ ملكش كبير؟، البنات دي متنفعش وطوب الأرض قال كده، انت مش شايف عيلتها؟

- الفقر مش عيب و احنا مش أغنيا أوي يعني

نظر إليه مندهشاً:

- إنت مصدق اللي إنت بتقوله؟، متضحكش على نفسك، الموضوع لا فقر ولا غنى وانت عارف، شوف مين جد ولادك وجدتهم وخالتهم!
- وهو يعني ذنبها؟
يدافع عن عشقه، عن حبه لها وعنبا بكل ما أوتي من قوة:
- ومش ذنبنا، إنت عايز تدخل واحدة زي دي عيلتنا؟
جدال طال ولا حل، فبعد ساعات من النقاش هو على رأيه، هي لا ذنب لها، سينتزعها بعيداً عن عالمها، هو فارسها ومنقذها و كلما زاد رفضهم زاد إصراره، فبالنسبة لآدم كل ممنوع مرغوب!

وبالنسبة لها كان هنالك ممنوع واحد و أمر آخر يؤرقها غير شقيقها ولا تعلم كيف ستخبره بالأمر، فمنذ ولادة طفلهم وهو رافض لعملها، لكن الفرصة المعروضة عليها لا تعوض وعقلها يصرخ بكلمة واحدة "أخبريه!"
حواء لحولة بطبعها لكن لا ذنب لها في إلحاحها فعقلها لا يتركها دون أن تنطق:
- عمرو، أنا عايزة أشتغل!
إلتفت إليها يطالعاها بدهشة بينما هي مرتبكة تنتظر رده، لكن الصمت تام!
وصمت آدم لم يكن يوماً بهين!

إن أردت إمتلاك حواء فعليك بالمغامرة، فقط قدمها لعالم لم تراه سابقاً!
فهي خطت إلى النادي الليلي بجواره تنظر إلى كل ما حولها ولم تتوقع أن تراه بعينها
يوماً بل تتواجد به!

- أنا أول مرة أجي ديسكو
نظر إليها مستنكراً وكذلك نبرته:
- ديسكو؟! أدخل يا سمر!
جلسا على الطاولة وهي تتابع كل ما حولها بشغف وعيناها تلمع، ووضع النادل
كأسين أمامهم:

- خمرة!
قالتها وهي تضرب صدرها بيدها بينما تتم هو:

- الله يحرقك!
عاد إليها مجدداً:
- دي فودكا يا حبيتي، إشربي ولا ملكيش فيه؟

ضحكت وهي تمسك بالكأس:

- لا الصراحة أنا أخرى البيرة!

- بيئة!

تمت مجدداً وهو يراها تتجرع الكأس تلو الآخر وملاحظها تمتعض من الطعم اللاذع لكنها
تجرب مجدداً، هي مغامرة كوجودها معه بالسيارة، كإستسلامها له، كخطبتها
واستمرارها في علاقتهم، كوجودها الآن هنا!
هم أخبروها أن تستمتع بحياتها وها هي تفعل!، ولنعترف أن حواء أكثر براعة في اللعب
على كل الحبال لو أرادت!

- مؤمن، قوم نرقص

ويعلم أن رقصها سيكون كارثة لكنها فاجأته ببراعتها في الأمر فهي تعشقه، ترقص كأنها
تدوس الأرض بلا أهمية وتطرح أي هموم أرضاً!

وبعيداً كانت تجلس على البار تتابع الموقف بأكمله، تمسك بالكأس وتتجرعه بهدوء بين شفتيها المحضبتان بحمرة قانية وعيونها الرمادية التي رسمها الكحل الأسود بخطورة تساوي خطورة نظراتها، خصلاتها الذهبية انسدت بخفة وتموج على جانبي وجهها وشعرت به يزيح تلك الخصلات فإبتسمت وهي تنظر إلى الفتاة التي لا تزال ترقص هناك:

- ذوقك بلدي أوي!

- إنتِ شايقة كده؟

أومأت برأسها ونظرت إلى الفتاة بنظرة متفحصة:

- بس مؤهلاتها كويسة!

إبتسم لها وهو يقترب هامساً:

- هتفضلي طول عمرك سافلة!

وابتسامه وازت إبتسامته واقترب كان أكثر من إقترابه وهمست في أذنه يتمهل:

- عشان كده متقدرش تستغنى عني، أنا في دمك

خطت ما أرادت وكادت تغادر عندما أمسك بها يلفها إليه:

- مليكة،

قاطعته وهي تضع إصبعها على شفتيه:

- ليلة سعيدة يا حبي!

و قررت أن تغادر لكنها توقفت لتعود إليه:

- بابا عايز يشوفك!

طالها بصدمة، والدها؟!

والدها هي بالتحديد؟!

الفصل الثالث

البداية!

كلمة نمر بها كثيراً في حياتنا، بداية الحياة، بداية الرحلة، القصة، العشق، وحواء تود دوماً أن تكون البداية لدى آدم!

فالبداية مبادرة، والمبادرة مواجهة، والمواجهة مسؤولية، شرح وتبريرات وأعذار، أسباب ونتائج، قائمة لا تنتهي وهي تكرها كثيراً، فعندما تكون البداية لحواء ينتفض آدم غاضباً أو على الأقل يملي شروطه كما هو الحال الآن!

- إحنا إتفقنا من بعد ما يزن اتولد إن مفيش شغل!

قرار واضح وإتفاق مسبق لا يجيد عنه، عندما أبدت إعتراض هاديء:

- بس يا عمرو أنا الفرصة المعروضة عليا متنعوضش وبجد هتفرق في مستقبلي المهني. مستقبلي المهني الذي أودعاه مئواه الأخير في آخر نقاش بينها لكنه لم يكن يدري أن أحلام المرأة تجد طريقها دوماً للحياة وتعود مجدداً للمطالبة بحقوقها في تكوين ذاتها بعيداً عن كونها زوجة وأم، دوران رائعان لكن حواء تبحث عن التميز ونهاية الجدل كانت بسماحه لها بالعمل مع قائمة من الشروط:

- يزن أول الإهتمامات ومش هنجيب له دادة!

- حاضر هوديه عند ماما وأرجع أخده بعد الشغل

- ثانياً البيت يفضل زي ما هو وواجباته مطبوعة!

- أكثر من الأول كمان

- وأنا.....

قاطعته وهي تقترب بدلال تتقنه كل أنثى، لكن الحب يزيد الأنثى إغراءً، فتلك النظرة بعينها تجعل دفاعات آدم كلها تنهار:

- إنت أهم حد بالنسبة لي، حبك ليا ورضاك عني بالدنيا كلها!

واستسلم لتبدأ هي في ممارسة دورها على أكمل وجه، تدور كهقارب الساعة لتثبت أنها امرأة عاملة ناجحة، أم محبة وزوجة مثالية، أما هو فيتوقع إنها راها في أي وقت لتترك العمل وتعود زوجته، له بلا أي شريك فبالنهاية هو لا يمكنه أن يكون رجل كهف من العصر الحجري فيرفض عملها لذا راهن على إنها راها وعدم قدرتها على القيام بالدورين ونسي أن حواء إن أرادت فعلت وتعدد المهام بالنسبة إليها أمر لن يدركه آدم أبداً، فهي صباحاً تعمل بكد صارمة، حازمة تسعى لإثبات نفسها وبعد الظهر هي زوجة تعتني بيتها وطفلها وفي الليل عاشقة تتوجه ملكاً لكل لياليها.

وبداية نجاحها كانت إبتسامته هو عندما جلست بجواره على الأريكة يوم إجازتها وأسندت رأسها إلى صدره كأنها طفلة تحتمي به فقبل خصلاتها لترفع وجهها إليه:

- تعرفي إنك سوبر ؟

ظهرت الدهشة على وجهها و لم تفهم كلماته أو ما يعني!

- أيوه سوبر وومان، كنت متوقع إنك بعد ما تشتغلي بشوية هتيجي تقولي أنا تعبت وقررت أقعد لكن لقيتك بتنجحي في اللي بتعمليه، إنت عارفة إني حاولت أصعبها عليك... كنت خايف شغلك ياخذك مني!

أحاطته بذراعيها ودفنت وجهها بصدرة أكثر وهي تهمس:

- أنا مفيش أي حاجة ممكن تأخذني منك

والبداية عمل وافق عليه، أتقنته وتفهمها بل أصبح يدعمها لكن لم يلتفت أي منهم إلى أنه يغار!

حواؤه تواجه المجتمع، تتعامل مع آخرين غيره وآدم يفهم بني جنسه جيداً، فليست كل نظرة كغيرها وليس كل إطرء من باب المجاملة والبعض يتخطى حدود التعامل فتخطها هي مجدداً بحزم لكنه أضحى يشتعل، ولتواهي حواء نيران غيرته بل حممه البركانية!

أغلقت الرواية وزفرت في ضيق...

- كلهم كده لازم يكسر نجاحها لأي سبب

وكانت تتمتها عالية لدرجة جعلت والدتها تسميها فتساءلت:

- مالك يا رحاب؟

- ها، لا مفيش يا ماما

واعتادت والدتها تلك الهمهمات والتوبيخ والتفريع لشخصيات غير موجودة، فإبنتها عاشقة للقراءة، غارقة بعالم الروايات واختلط شغفها بالعمل فأكمل الجنون!

- شريف اتصل و....

وقاطعت والدتها قبل أن تكمل:

- ماما من فصلك مش عايمة أسمع إسم النبي آدم ده تاني!

وانطلقت لغرفتها تتظاهر بنوم غاب عنها وكل ما مر بها من ذكريات يتردد في عقلها، فقررت أن تعود لمهرها مجدداً، والرواية بين يديها!

إنتشرت أشعة الشمس بداخل الشقة الفارغة من خلال واجهتها الزجاجية عندما خطت إلى داخل الغرفة بهدوء تنظر إليه وهو نائم بسريره واتسعت إبتسامتها اللاهية وهي تقترب!

حواء يالها من ساحرة، فللنظرة سحر والكلمة تعويذة آسرة أما القبلة فهي لعنة ما إن تملكك لا تغلتك وما إن تسقط بها حتى ترفع راية الإستسلام، هي فقط بداية ما إن سقطت بها تكون نهايتك!

وهي جمعت كل السحر، فقد إستيقظ على قبلة منها ففتح عينيه بهدوء ليتأكد أنه لا يحلم وعندها وجدها تبعد قليلاً ويواجه نظرة عينها بينما هي أمامه تجلس على السرير تطالعه بإبتسامتها المغوية واقتربها المهلك:

- صح النوم يا باشا!

وكان جنون تام، علاقتها التي لا يفهمها ولا يسعى لذلك، فهي غريبة وفك رموزها معضلة لا يمكنه حلها، ولو حاول في كل مرة يصل لنتيجة واحدة واضحة لا تقبل الجدل، هي فقط مليكة!

- باين عليها كانت ليلة طويلة، إحكي لي!

غمزة شقية لتسع عينيه في صدمة، بعد كل تلك المدة لازالت قادرة على إدهاشه بل وإثارته، هي لم تكن يوماً كغيرها ولن تكون، وبحركة خاطفة جذبها بين ذراعيه لتبتسم - أحكي لك إيه؟! إنت هتجنيني، مبتغيريش أبداً؟

حركت كتفها بلا مبالاة فهي لا تغار:

- أنا مبجكش وانت عارف كده!

صريحة، وحقّة، واضحة، جريئة، بل مليكة!

دوماً تذكره بطبيعة علاقتها التي لم تكن تلك بدايتها أبداً، وكاد يغادر عندما جذبته إليها بنظرات جريئة، هي تريده ولا تخفي رغبتها، فحياتها بلا قواعد تماماً، هي تفعل ما تريد، إن خطر شيء بيالها تنطق به، إن أرادت شيئاً تأخذه، وامتدت ذراعيها تطوقان عنقه:

- بس ده ميمعش.....!
- ولم تكمل جملتها، بل البداية كانت من نصيبها بجرأة معتادة ووقاحة لا مثيل لها لكنه بدا غاضباً فابتعد وكاد يغادر...
- عندي شغل
- أخبرها لتقترب أكثر ونظراتها أجراً من كلماتها ولمساتها أكثر وقاحة، فقط كلمة واحدة أنهت بها الأمر:
- يتأجل
- واكمل السحر ليسقط معها في تعويذتها الآسرة التي تجيد إلقاءها وامت حواء سيطرتها بفتنة تملكها وتعلم كيف تستخدمها بإحتراف وتلك لم تكن البداية، فالبداية كانت بجامعته وانتهاء إختبارات نصف العام، إتجه ليغادر، ليوافقه صديقه:
- مؤمن، رايح فين؟
- هروح أنام، حاسس إني هنام سنة
- وانضم صديق آخر لهم:
- إنت يا ابني هتفضل قفل كده على طول؟ ما تيجي نفرش شوية، ده آخر يوم إمتحانات!
- فكر في الإنضمام إليهم لكن المذاكرة كانت قد أنهكتهم تماماً..
- يا ابني أنا نفسي آخذ السرير بالحضن!
- أنا نفسي آخذ حافة ثانية بالحضن!
- وعينا زميليه لم تكونا مصوبتان نحوه، فقد جذب نظرهما جمال متوحش لم تتوانى عن إظهاره وجاء تعليق أحدهم بالجملة الأشهر:
- أموت أنا وأعيد السنة!
- تمم مستغفراً قبل أن يرد:
- لا ما إنت هتعيدها إن شاء الله بطريقتك دي!

- شيخ مؤمن حل عن دماغي، تصدق يا عماد أنا غلطان إني قلت لك هاته معانا ده عيل كئيب!

كئيب، ممل، رتيب، معقد، بل وصل الأمر أحياناً لإتهام أقرانه له "إنه ملوش في الصنف"!

وتعجب كثيراً من مبدأهم، هل عليه التحول لكائن تتحكم به شهوته ويسيل لعابه أمام كل ما هو مؤنث حتى يثبت لهم أنه رجل؟!

أن يهين بكلمة وربما يتعدى الأمر للمسمة هو يراها إهانة، فعلاقة الرجل بالمرأة أسمى من مجرد رغبة وشهوة بل سكن، مودة، رحمة، احتواء وأمان ومغفل هو حين إعتقد كل ذلك!

رفض تام صدمه للغاية، فهو قد حضر لمنزله لمقابلة والدها، فتحت الباب لتجده
أماتها:

- عامر!

- وحشتيني

إبتسم بسعادة وهي لازالت تحت تأثير الصدمة:

- إنت جيت ليه؟! أقصد إيه اللي جابك؟

إتسعت عينيه في دهشة من أسئلتها، إرتباكها وتوترها:

- إهدي، أنا جاي أقابل عمي وأطلب منه إيد أجمل بنت في الدنيا كلها!

وضاعت نظراتها بنظرته ولم يستفيقا سوى على سؤال شقيقتها:

- مين يا هدير؟!

صاحت من الداخل لتهمس هي له:

- إمشي!

أغرب طلب ممكن من وجه نظره، يخبرها أنه سيتقدم لخطبتها فتطلب منه الرحيل

وهو لا يدري عن ما يدور شيئاً، بل عميت عينيه تماماً!

- مفيش

صاحت قبل أن تهمس له:

- إمشي يا عامر عشان خاطري

- إمشي إيه، هدير إنت عايزاني ولا لا؟!

نظرت إلى الأرض و تجمعت الدموع بعينها:

- إنت جاي لوحك، مفيش حد من أهلك جاي ولا هييجي عشان هما شايفيني بني

آدمة وحشة ومينفعش أذك من أهلك، إرجع لهم وانساني وبكرا هتلاقي اللي

تستحق إنها تكون مراتك أم ولادك ويكونوا راضيين عنها!

وتركنه في صدمته قبل أن ينطق واتجهت للداخل لتجد شقيقتها تبتسم فحاولت

تجاهلها واتجهت لغرفتها.

- لعبتها صح يا بنت محاسن!

إبتعدت بنظرها تنظر إلى اللاشيء، فبالنهاية هي لعبة قمار وحظ، فإما أن تخسر كل شيء ويسير في طريقه بلا عودة يتزوج من أخرى وينجب أطفالاً ويلتقيا صدفة فيتجاهل كل منها الآخر و يسير في طريقه يضحك من لعبة الأقدار أو تربح رهانها وتتروجه كملكة بحضور الأهل والأصدقاء، هي لن تكون منبوذة مما حدث! وهنا نصل للقاعدة الأهم، الرجال بلا قلب محض خرافة، فقلب كل رجل بيد امرأة تحميه أو تحطمه، هو خيارها، أما قلب حواء فهو ملكها تمنحه أو تمنعه هو أيضاً خيارها وعلى الحب السمع و الطاعة.

"وصلتي لفين؟؟"

رسالة وصلتها على حسابها الشخصي فردت بهدوء:

"لعامر وهدير، مش عارفة حاسة هدير محيراني، مش معقول هي واخواتها بإنعدام الأخلاق ده؟ إنت ظالم الست بجد، مطلعها كل مرة في نماذج سيئة!"
"موجودة و لا لأ؟!"

وضعها بخانة اليك، يحلم، بالطبع هي مراوغة!

"في ناس كويسة"

"على فكرة مش نماذج الستات بس اللي وحشة عندك مؤمن"

ظهر على ملامحها الإستياء:

"مش حابة أتكلم عنه، بالنسبة لي شخصية لا تستحق الإهتمام!"

وظهر بعض الضيق على ملامحه وهو يتابع شاشة هاتفه ويتحرك بمطبخه ليعد القهوة الصباحية، لكن رسالتها التالية أسرت إنتباهه:

"على فكرة أنس وبسمة مفيش فرق كبير بينهم، الاتنين بيحققوا حلمهم، الفرق إن أنس بيحقق حلمها مع حلمه لكن حبه عاميه، عمره ما شاف معاملتها وطريقتها معاه، حبه هو اللي ضيعه مش هي".

وانتظرت رده طويلاً، وبدا لها أنه طبع رداً وحذفه، ربما أكثر من رد حتى وصلتها كلمته المقتضبة:

"متتسرعيش!"

- ماشي يا عم المتأني!

تمت وعادت إلى عملها وهي تقاوم أن تقرأ البقية، لكنه متطلبات العمل أولاً، فرحاب مثال للمرأة القوية المستقلة التي لن تضع لقلبها الأولوية!

والقلوب تتحكم ولها البداية والنهاية ولنا فقط أن نخضع، وقلوبها لم يعد بيدها لكنها تتعاش مع الأمر، فيوم تتناساه ويوم آخر تراه في أحلامها، لكن اليوم مختلف عن أي يوم آخر، هي بغرفته وكيف وصلت إلى هنا؟! البداية منذ ساعات قليلة...

كانت تسير بشارعهم عندما رأَت والدته، خطواتها ثقيلة لدرجة أن كادت تسقط فأسرعت إليها تمسك بيدها:

- سلامتك يا طنط ليلي

دوار عاصف يعصف بالسيدة وتبدو متعبة للغاية:

- معلش يا نورا يا حبيبتي وصليني للبيت

وبالفعل أوصلتها لمنزلها حيث يقع قلبها وأدخلتها إلى غرفتها لكنها فوجئت بها تكاد تفقد الوعي ولم تجد حلاً سوى نداء شقيقها الصغير وطلبت منه أن يذهب لإحضار الطبيب.

- مالها أم مؤمن يا نورا؟

تساءلت والدتها بقلق عندما أجابتها متوترة:

- مش عارفة يا ماما، ربنا يستر

وهي من داخلها ترتعد خوفاً على السيدة أمامها، تعلم مدى تعلقه بأمه بعد وفاة أبيه، فماذا إن أصابها مكروه؟!

- متعرفيش رقم إينها؟

حركت رأسها نافية، فهي بتلك السذاجة، تعشقه لسنوات ولا تمتلك حتى رقم هاتفه، بل أحياناً تتساءل إن كان يدري عن وجودها على قيد الحياة!

ولا يدري ما به ؟

فقط شعور بعدم الراحة والحيرة، فهو بداخل المكتب ينظر إليه بتهكم، هو لا يريد تلك الوظيفة، هو مهندس إتصالات عبقرى ومقتنع تماماً بعمله لكن والد مليكة يعرض عليه وظيفة بشركتهم ورغم كل شيء هو لا زال رجل شرقي!

لكنها فرصة عائدها المادي كبير والأهم ستختصر سنوات كثيرة من العمل والجهد، فالإنضمام لشركة الجارحي له مكاسبه!

وكأنها شعرت بما يجول في عقله فأحتضنته تسند رأسها لظهره:

- متفكرش كثير، فرصة كبيرة

إبتعد عنها و إلتفت يواجمها:

- أنا مش هأقبل الوظيفة دي، آسف!

ضحكت منه وهي تحرك رأسها مستنكرة:

- أنا ممها حاولت معاك مش هتتغير، ببساطة dad كان بيدور على مهندس إتصالات كويس ومستر محمود اللي رشتك، الموضوع كله إننا كنا بنتغدا سوا، وقلت لهم إننا أصحاب، أنا مليش علاقة بالشغل ومؤهلاتك فيه متهمينش!

قذفت كلماتها في وجهه وهي ترفع حاجبها بشقاوة ليستسم رغماً عنه:

- بقولك إيه هتعيش دور الكتيب براحتك قوله إنك مش موافق وتعالى نروح نتغدا في أي حنة، أنا جعانة من الصبح!

هتفت وهي تلف ربطة عنقه حول أصابعها بعبث وقاطعها طرقات على الباب فجذب ربطة عنقه من بين أصابعها ودخل والدها:

- ها يا بشمهندس عجبك المكتب؟

وكادت تضحك من توتره وتلك النظرات التي بادلها إياها قبل أن يجيب والدها وتسحبهم دائرة العمل وهي تطالعه بإبتسامة، هي تحب ما حولته إليه، بل كيف جعلت منه نسختها الخاصة وملكيته وأخيراً إنتبه والدها لوجودها:

- مليكة، هتيحي معايا ؟

حركت رأسها نافية، وخرج والدها لتدخل مديرة مكتب مؤمن الجديدة تحدّثه وهو لا ينظر إليها لكن مليكة هي من كانت تتفحصها، وما إن غادرت حتى إلتفتت هي إليه وكررت السؤال:

- ها إيه رأيك؟ عجبك المكتب؟

وتبادل النظرات بينهما، بدا واضحاً ليبتسم بسخرية:

- إنتِ مش ممكن، الشغل ملوش علاقة بأي حاجة ثانية

وأجابته بضحكة قبل أن ترتدي معطفها وتقرر المغادرة وبقي هو عندما وجدها تدخل جذعها من الباب وتصيح به:

- حلو المكتب، إنتِ الخسران!

أشار لها أن تنصرف فغادرت وتركته مبتسماً لجنونها، لكن ذلك الشغل الجاثم على صدره منذ الصباح لا يفارقه!

- مؤمن!

إلتفت لصوتها مجدداً ورفع عينيه إليها و تلك المرة غاضب من مقاطعتها المستمرة:

- إيه؟

- بحبك!

لم يسمعها، بل قالتها بحركات شفتيها فقط وياغواء قاتل، وغادرت بالفعل تلك المرة لتتركه للذكريات!

والبداية كانت غير متكافئة، يراها نجمة عالية وتراه حجراً ملقى على الأرض، فلا النجوم تنزل على الأرض ولا الأحجار ترتفع إلى السماء لكننا نظل نحلم وتخيّل أن "الحب يصنع المعجزات"!

يا لها من حراقة!

عنيد صفة قليلاً ما تختبرها به، فبعد شجارهم أضى لا يجيب على إتصالاتها والسبب سيارتها الجديدة، هي لا تجيد القيادة إذاً فلا بد لها من تعلمها، وأخبرته أنها ستذهب لمدرسة لتعلم القيادة فكان رده حاضراً:

- لأ -

- لأ ليه يعني يا أنس؟

قالتها بإعتراض كبير عندما طرح البديل الجاهز:

- عم محمود بيوصلك كل يوم الجامعة ويرجعك وبيطلع له بقرشين!

وهو منذ أن أحضر لها السيارة وهو متمسك بتلك الفكرة ولن يحيد عنها!

- وفيها إيه يعني لما أسوق العربية؟

- فيها إن هتلاقي اللي بيرخم واللي يعاكس ويهدلة السواعة، أنا جبتها لك ملكك

وإسمك بس أنا معنديش حريم تسوق.

حريم!

رفعت حاجبها معترضة على أسلوبه، هذا ما تكرهه وتراه رجعي ومتخلف وزلة لسانها

كانت غير محسوبة:

- إنت مش هتبطل أسلوبك البلدي والرجعي ده؟

- رجعي! بصي يا بسمه أنا رجعي ومتخلف، أنا سي السيد كمان، عايزة تكوني

الست أمينة مش هخليك أمينة هخليكي ست الستات لكن أنا برضو سي السيد!

وانطلق غاضباً ووالدتها رأت ما حدث وحاولت إيقافه:

- رايح فين يا أنس إنت لسه قعدت؟

إلتفت لوالدتها وحاول أن يهدأ قبل أن يجيب:

- معلنش إفتكرت حاجة مهمة!
وغادر دون أي كلمة لتوجه لها والدتها سهام النظرات وتبدأ في وصلة التوبيخ:
- إنت محدش عرف يريكي، في واحدة ترد على خطيها كده؟
صمتت ونظرتها غاضبة، فهي تشعر أنها سبجنته، نعم هي وافقت بمحض إرادتها بل
إمتنت لكل ما فعل وربما لو لم يكن هو ما هو عليه لكانت قصة حبها رائعة.
- خليك مصدرة له الوش الخشب لحد ما يسليك، واحدة غيرك تحمد ربنا، إنت مش
حاسة بالعز اللي إنت فيه؟
وغادرت لتتركها تواجه حقيقة ما ستفعل لو تركها، فالعواقب وخيمة وعليه حواء يجب
أن تتصرف والبداية إتصالات هاتفية متتابعة ورسالة:
"أنا آسفة يا أنس"، ويكاد يسمع صوتها الرقيق يردد إعتذاراً مصحوباً بإسمه، ورنه
هاتفه بإسمها فأجاب لتقول:
- كده يا أنس بتسيني وتنزل؟ وكان مش بترد عليا؟ ده اليوم الوحيد الأجازه اللي
بعرف أقعد معاك فيه!
نبرة أنشوية رقيقة عكس تدمرها الطبيعي وهو يعتبره دلالاً ومالكة قلبه يحق لها الدلال
لكنه لن يلين بسهولة:
- أصل أنا رجعي!
- أنس بجد أنا آسفة جداً بس الإمتحانات موتراني جداً، حقتك عليا، عارف انت
ورطنتي في كذبة مع بابا اللي كان مستنيك عشان تتكلموا في كتب الكتاب؟
تحاول أن تبدو رقيقة، معذرة وتمسكة به!
- بسمة إنت موافقة فعلاً على كتب الكتاب؟
والسؤال محوري ومهم وربما قاتل لكل أحلامها إختارت الماطلة واللعب على
مشاعره:
- طبعاً موافقة، أنا بحبك!
وحواء تعتق الميكيفيلية مذهباً، فالغاية دوماً تبرر الوسيلة!

وغايتها كانت جمع أكبر قدر من المال وهو عاند وعاد، يقف الآن أمامها ليخبرها:

- أنا فسخت العقد يا علا ورجعت نهائي!

بساطة هو لن يكذب، لن يراوغ، سيخبرها بالحقيقة كاملة، لكنه لم يتوقع ردها في أكثر السيناريوهات قتامة:

- طلقني!

صدمة!

كان ما شعر به الجميع هو الصدمة، أختها، والدتها وأخيها الذي دخل تواء من الباب، لكن صدمته هو كانت الأقوى!

- إيه الكلام اللي بتقوليه ده يا علا؟!

إعترضت والدتها ليجيب هو بحسرة:

- هي دي حمد الله على السلامة ؟

وكاد أن ينصرف عندما تقدم أنس نحوه وهو يوجه سهام نظراته الغاضبة نحو شقيقته:

- حمد الله على السلامة يا منير، ليك وحشة

- الله يخليك يا أنس ، معلى أنا مضطر أمشي لأن

متلعثم وربما يبحث عن عذر بل هو مصدوم من رد فعلها:

- تمشي إيه ده بيت الحاج زين، بيتك، وإلا نسيت ؟؟

يذكره بصدقة، عشرة وعمر قضاء معهم كأنه فرد من أسرهم وحب حمله لها في قلبه:

- ما تعملي للراجل لقمة يا أم أنس

أخبر والدته لتومئ برأسها وتتصرف إلى المطبخ على الفور، فولدها أئذ موقف كاد أن

ينفجر.

- أنا تعبت يا أنس بجد تعبت، تعبت غربة وعلا

- علا محتاجة تشد عليها شوية، مش كل طلباتها مجابة، لازم تفهم وتعرف إن الحياة

مشاركة، هتفضل تديها لحد إمتى ؟ وهي ادبتك إيه ؟

رغم منطقية كلامه وحديثه الذي ربما كان يوجهه لنفسه أكثر منه لا يعلم لم لمست
كلماته وتراً في داخله لكنه تراجع ينهر نفسه، فبسمته ليست مثل شقيقته، بسمه
راضية، قنوعة ولا يضر القليل من الطموح!
معه الأمر مختلف، فشقيقته تزوجت بعقلها، يعلم ذلك جيداً لكن بسمه تحبه، هي
أخبرته أنها تحبه!

- أنا مش عايز غير إنها تكون سعيدة بس دايماً محسساني إني مش قادر أسعدها!
شعور يفهمه، يعايشه، ممّا فعل ببساطة لا شيء يرضيها!
وكان إرضاء حواء غاية لا تُدرك!!!!

راضية، هي راضية بكل ما تقدمه لها الحياة وأملها الوحيد الذي تدعو به ليل نهار أن يرق قلبه لها، كانت تجلس بجوار والدته على السرير بعد أن أخبرهم الطبيب بتعرضها لنوبة إنخفاض في السكر وعليها أن تهتم بدوائها وغذائها أكثر وهي بالفعل قلقة، تعاملها كوالدتها وليس فقط من أجله، فهي امرأة طيبة للغاية، ربه ورعته يتيماً وهي تقدرها لذلك.

- نورا، أنا ها روح أشوف أبوك وارجع لك وبالمرّة أخليه يكلم مؤمن -
- لو معرفش يوصل له أنا هبات معاها

أومأت والدتها برأسها، وهي غادرت الغرفة إلى الصالة تطالع الشقة من حولها واستقر نظرها على غرفته حيث وجدت قدمها تقودانها إلى هناك، وقتت تنظر لتفاصيل الغرفة المنظمة للغاية، هي تعلم أنه منظم، تعشق تفاصيلها التي تشبه تفاصيله، هنا يجلس وينام، يبتسم ويضحك وبتلك الشرفة يفكر، هنا عالمه الخاص وهي تقف وسط ذلك العالم، إقتربت تتلمس وسادته بيدها، أرادت أن تحتضنها لكنها جئنت!

أل هذا الحدي هي ضعيفة في عشقه؟!

أم أنها تخشى أن تزداد تعلقاً، غرقاً في حب بلا أمل، لمحت زجاجة عطره فأمسكت بها ونثرت القليل من رذاذها، عطره المفضل الذي لا تخطؤه وربما تدمنه حد التيه، حد قاداتها خيالها للشعور بذراعيه يطوقانها، يمس باسمها، بعشقها و.....

- ماما

كان صوته حقيقياً تلك المرة ونداؤه لوالدته عندما دخل من باب الشقة لينتزعها من أحلامها وتستدعي إنتباهها عندما أسقطت زجاجة العطر أرضاً من فرط إرتباكها لتتحطم!

الفصل الرابع

إن أردت التحدث عن الأسرار فحواء دوماً حاضرة، حواء يراها الرجال ثرثرة وتكثر بينها وبين صديقاتها جلسات النخبة ، فالنساء لا يمكنهن الإحتفاظ بسر أبداً! لكن هناك دوماً تلك الكلمات التي توقفت على لسانها، تلك الجملة التي علقته بحلقها، ذلك السر الذي إحتفظت به بقلها، تلك القصة التي لن ترونها يوماً مهما طال الزمن!

الحب كالعطر تنتشر ذراته في الهواء ولا يمكنك السيطرة عليها وهي أسقطت الزجاجة من يدها في توتر وإرتباك وخرجت من الغرفة مسرعة كأنها لص يخشى أن يتم الإمساك به بالجرم المشهود، لكنها تجمدت مكانها وهو ينظر إليها في دهشة ... فتاة بمنزله! بل أمام غرفته وهي تود أن تختفي من أمامه، تتبخر فلا يكون لها وجود! - إنت مين؟!

إبتعلت لعبها بصعوبة وفتحت فمها ليخرج صوتها بكلمة واحدة - أنا

توقفت بعدها تحاول أن تجمع شتات نفسها المبعثرة ما بين توتر وخجل وحب، فنبضات قلبها كانت الأعلى، ووجتها مشتعلة بحمرة قانية تناقض بياض بشرتها واللمعة بعيونها العسلية، فإقترب مبتسماً نجبث: - إنت إيه؟! حرامية؟!

حركت رأسها نافية وهي تحت تأثير نظراته العابثة تود الهرب ومتجمدة مكانها.. - نورا

همست بصعوبة وإرتباك، تبدو إليه كمن إرتكب جرماً ولا يدري أنها فعلت، فالسقوط في هوى من هو مثله جريمة بعالم العشق وقلها مذنب ينبض له مع سبق الإصرار والترصد!

- نورا ده الباسورد اللي دخلتي بيها من باب الشقة مثلاً؟

يشاعها فترتبك أكثر وتهرب من أسر عينيه للنظر أرضاً، لا تدري ما عليها أن تقول
سوى أنها نطقت بما حدث:

- طنط ليلي تعبت و.....

وانتهى العيب وكل شيء، ففور أن ذكرت مرض والدته تبدل تماماً!

- ماما، هي فين؟

- في أوضتها

إندفع لغرفة والدته ليجدها نائمة وتبعته هي بهدوء تنظر إليه، بدا لها كطفل ضائع،
ذلك العابث أمامها تحول لخائف يرتعد، نزل على ركبتيه بجوار سرير والدته وشعرت
بالشفقة عليه فجاهدت ليخرج صوتها:

- هي كويسة بس الدكتور قال محتاجة تاخذ بالها من أكلها ومن دوا السكر لإنها
أهملته.

ولم يلتفت إليها حتى، فهو يطالع والدته النائمة ويبدو عليها الإرهاق والتعب، لا يمكنه
تحمل خسارتها فهي دنياه كلها، هي دنيا مختلفة كأنها أتت من عالم آخر، لطالما أخبرها
إن كانت نساء الدنيا كلها مثلاً لربما إنصلح حالها وهي ترد أنه يراها كذلك فقط لأنها
والدته، والدته التي ربته يتيماً، رفضت الزواج من بعد والده وتحملت مسؤوليته
وحدها ولازالت إلى الآن تعمل وترفض أن تمس أمواله فهي تدخرها من أجله!

إنفت ليجد الفتاة قد غادرت، بل في الحقيقة هربت فلا يمكنها البقاء!

هي عالقة بين ما تريد وما تقدر عليه، تريد أن تعترف بحبه ولا ينطق لسانها، تريد أن
تواسيه وتخبره أنها معه، ويوقفها كل شيء بينها، بل إن لا شيء بينها وتلك الحقيقة
تجمدها وتوقفها مكانها!

دخلت من باب الشقة لتجد والدتها على وشك الخروج:

- إيه اللي رجعت؟

- مؤمن جه فمشيت، هبقى أروح أطمئن عليها بكرة

أومأت والدتها برأسها وربتت على كنفها، هي ترى الأمر بعينها وتدركه لكنها لم تكن
لتتحدث، كنتاجها صامتة فحواء تدرك وحدها صعوبة الجهر وإن كانت تتمناه، تتمنى أن
يكون لها الحق في الجهر به، ألا يكون عليها أن تبقى سرّاً، سر تذكره بعقلها ويداعب
قلبها كل ليلة فتنام لترى نفسها عروسه في أحلامها فقط!

أحلامها وطموحاتها هي التي تتوقف عليها حياته، لكن حان الوقت لطموحه هو وأحلامه ووصلة تويخ من أخيا كانت من نصيبها لتصر على العودة لمنزهم، فهي لن تبقى ليقتص عليها أخيا المزيد من مواعظه!

- علا، أنا فعلاً مبقتش قادر أبعد

- خلاص يا منير، اللي حصل حصل ... ممكن بقى تفكر هنعمل إيه؟

إقترب منها وهو ينظر إلى عينيها، يحبها منذ زمن رغم تلك القوة التي تظهر بها أمام الجميع، يراها من داخلها خائفة، تخفي دوماً رغبتها وما تريد..

- نفكر دلوقتي! إيه يا بنتي إنتِ فاكراي حجر، أنا مش هعرف أفكر في أي حاجة دلوقتي غير في القمر اللي قدامي!

إبتسمت، تحب نظرات العشق بعينه وكيف أنها صاحبة السطوة على قلبه وتعشق تلك السيطرة التي تجعلها تتدلل أكثر، ودلالها يروق له، فآدم يعشق ذلك الدلال والإبتعاد والتمتع فتمنحه بعدها لذة الإمتلاك أو ربما هي لذة الإلتصار المزيف، منحتة ما أرادت أن تمنحه إياه وكفى، وأبقت البقية الباقية سرّاً لها وحدها!

إلتفتت للنائم بجوارها واعتدلت جالسة تتذكر يوم علمت بخطبته لها...

- عريس، أخو إبتال صاحبك

إتسعت إبتسامتها الحجولة، فأخيراً أثمرت كل محاولاتها للفت نظره، هي تحبه وأصرت أن تصل لقلبه، تتذكر تفاصيل اليوم كله زينتها وفستانها، توترها وذلك الشعور الأشبه بالفرشات التي تطير بمعدتها عندما وصل الضيوف وكل تلك المشاعر لا تعبر عن مدى صدمتها عندما رأته!

- اقعدى يا عروستنا، بسم الله ما شاء الله زي القمر من حظك ونصيبك يا منير وضعت ما بيدها وجلست ضائعة تستمع لتعليقات والدته ووالدتها والحديث الدائر، غافلة عن نظرات عشق إختلسها ناحيتها بينما هي تطالع الأرض ولم يكن للخلج علاقة بالأمر بل صدمتها التي حطمت كل أحلامها فهي لم تتوقعه هو، بل أخيه!

- أقول لمنير إيه؟

تساءلت شقيقته وبدأ صمتها المريب يقلق الجميع:

- إنني ليه مقلتلش إن منبر عايز يتجوزني؟!

إقتربت منها وحركت كتفها بلا مبالاة:

- أنا معرفتش غير لما فاتح ماما في الموضوع بس يبحك أوي يا علا، أنا عمري ما تخيلت إنه يبحك كده!

وهي أيضاً لم تتخيل الأمر، الآن ضاع حلمها بسبب مشاعره التي تراها حمقاء، فمن سيتزوج من فتاة تقدم شقيقه لخطبتها!

- وافقي بقى يا لولو خلي فرحتنا تبقى فرحتين، أسامة كان هيخطب

إلتفتت إليها في صدمة عجزت عن إخفاءها، فشقيقه تقدم لخطبتها وهو سيخطب أخرى، لم تعد تحمل الأمر فأطاحت بكل شيء!
- رفضت!

أومات شقيقته برأسها حزينة لأجله وهي ترى ملامح الحزن على وجهه وغادر لغرفته لا يصدق أنه يعيشها لتلك الدرجة، أحبا وكسرت قلبه، شهور عاشتها في صدمة تامة على أمل أنه سيعترك خطيبته وسيلتفت لها وليهربا معاً لآخر العالم، فواء دوماً تتوقع من آدم أن يترك الدنيا ويكتفي بها هي وحدها، عشقها يكفيه عن أي عشق آخر، وجودها يجب أي وجود آخر، لمن سيحتاج وهي بجواره؟!

ألم يكن وحيدا حتى خلقت من ضلعه فأنهت وحدته وكانا وحدهما؟

هي تميل للوحدة وهو يمتقها بشدة وبالنهاية استفاقت من أحلامها الوردية وهي تقف بحفل زفافه تراه مع عروسه، وبقيت هي تحترق لكنها ما كانت تمنحه لذة إنكسارها ووجدت العقاب المناسب..

شقيقه المتعلق بها!

يحبها وتراها بعينيه..

وبعد محاولات شد وجذب تتقنها منحته الموافقة ليطير من السعادة، فيوم رفضت أرسل إليها رسالة واحدة:

"هتقدم لك تاني وتالت ومليون لحد ما توافقي!"
وما بين الموافقة والرفض وحدها تعلمه ووحدها تكتم سره، وحدها حواء قادرة على
عشق أخ والزواج من آخر!

لا يدري عدد الساعات التي بقي مستيقظاً بها حتى غلبه النوم كما هو بجوار سرير والدته التي إستيقظت لتجده على هذا الحال ، فارتجف قلبها لمظهره وربت على وجهه بحنان وهي تهمس بإسمه ليفتح عينيه ببطء قبل أن ينتفض:

- ماما! إنت كويسة ؟

- الحمد لله يا حبيبي ، متخافش

طمأنته لينهض ويجلس بجوارها.

- أنا كنت هموت من القلق عليكي ، أنا مليش غيرك

إحضنته ، فمها كبر تراه ذلك الطفل الصغير الذي ظل طوال عمره ملتصقاً بها ومعها وحدها يعود مختلفاً ، مسحت دموعه كادت أن تغادر عينيهما:

- قوم نام بقي في أوضتك وأنا هأقوم عشان أروح المدرسة

وكادت أن تغادر السرير لكنه أوقفها!

- لا يا حضرة الناظرة! حضرتك أجازة النهاردة لحد ما أخذك ونعمل كل التحاليل

والدوا في مواعيده وده غير قابل للنقاش!

- أنا لو قعدت هتعب يا مؤمن

- مفيش ملكة بتتعب ، إنت هتقعدي كده ملكة وأنا هنزل أجيب الفطار

وانطلق خارجاً إلى غرفته ليبدل ملابسه وما إن دخل حتى وجد زجاجة العطر

المحطمة فتذكر فتاة ليلة أمس ، لا بد أنها من حطمتها ، إبتسم وهو يحمل قطع الزجاج ،

لا يعرف سبباً لإبتسامته سوى أن تلك الفتاة بها براءة ما تذكره بمؤمن ماقبل حواء ،

وعلى ذكر حواء ، تذكر الأخرى يوم أهدتها له:

- الإزازه دي من باريس مخصوص!

- يا سلام!

إعترض وهو ينظر إلى الزجاجاة بتعجب مخلوط بحيرة!

- البرفيوم له سحر فظيع ، هو أحسن عنوان تكتبه لنفسك في قلب البنت ، في بنت

بتدوب فيك من ريحة البرفيوم بتاعك ، تشمه تتلذذ بيه وتبقى عندها لهفة تعرفك

من قبل حتى ما تشوفك، بيسكر، بيدوخ، بيغيب عقول كثير، ده شهبانيا العقل الباطن، بيفضل أثره موجود حتى بعد ما لحظة اللقاء تعدي ... إنت قدامك حاجات كتير تتعلمها!

أخبرته وهي تنشر العطر من حوله وتستنشقه بتلذذ مغمضة العينين مرآحة الملامح وكأنها بدنيا أخرى لها تفاصيل تخصها وحدها، بدت له مجنونة، هي بالفعل مجنونة منذ أن عرفها، لكن جنونها لذيد، جذاب، غريب ومخيف، وناداه من دنياها وهو يشناق لرؤية لمعة عينيها التي تأسره:

- إنت بتعملي معايا كده ليه؟

سألها لتقرب تدور من حوله فتنتشر سحر رائحتها بالمكان، تسكره كما قالت عن سحر العطر وهي تهمس بنبرة خطيرة خافتة:

- يمكن تكون عاجبي!

أيقظته من ذكرياته قطعة زجاج جرحته فابتعد إلى الحمام يغسل يديه، وهي منذ الصباح تحاول غسل يديها لتضيق تلك الرائحة التي علقت بها من أثر العطر، لكنها لم تنجح فغادرت لتحضر طعام الإفطار واتجهت للإطمئنان على والدته.

تصعد درجات السلم بنفس السرعة التي كان يهبطها بها وإصطدام وشيك تفاداه ليقفا وجهاً لوجه ولا يدري لم كل مرة يراها بها يود مشاغبها، ضيق عينيه يتذكر إسمها:

- نورا الباسورد

تمسكت بقوة بالأشياء التي تحملها بين يديها:

- ده اسمي

- حلو على فكرة

أخبرها لترفع وجهها إليه فتجد نظراته تحديق بها وسريعاً ما هربت من عينيه وكادت تصعد ليوقفها، يمين ... يسار، في كل مرة يتحرك معها يعيق طريقها وبالنهاية وضع ذراعيه على جانبي الحائط!

- من فضلك

همست بهدوء لتتسع إبتسامته!

- من إيه ؟ مسمعتش

- من فضلك

قالتها بصوت أعلى ليتظاهر بعدم السمع!

- مش سامع، عليّ صوتك

- من فضلك!

صاحت بها تلك المرة ليشير لها أن ترفع صوتها أكثر وأدركت أنه يتلاعب بها!

- لو سمحت أنا جاية فطار لطنط ليلي وجاية أطمئن عليها

إقترب أكثر لتراجع..

- وابن طنط ليلي معملتيش حسابه؟، يتحرق؟، يجوع مثلاً؟

لم تجبه! فقط نظرت للأرض وبقيت صامته فأفسح لها المجال لتمر بجواره بهدوء لكنه قبض على ذراعها بحركة مفاجئة وجذبها إليه:

- إنتِ كسرتي إزازه البرفان إمبارح، محدش قالك متمسكيش حاجة مش بتاعتك؟

عينها تواجه عينيه وتود الهرب ولا تستطيع فالجريء في مواجهة الخجولة التي تكاد تسقط فاقدة لوعيتها أمامه وثواني مرت بطيئة قبل أن يحررها لتنتطلق إلى شقة والدته وهو يتابعها مبتسماً!

خجولة بدرجة كبيرة، وجنتيها تتحولان إلى الوردي بشكل سريع، يشعر أنه لا زيف بها، لكنه توقف طارحاً تلك الأفكار أرضاً!

حواء كل ما بها مزيف ابتداءً من رموشها الصناعية ومروراً بقلبها المتحجر، أما عن قلبها فهو ينبض بقوة وقسوة على صدرها المثقل بعشقه.

توقفت أمام باب الشقة تهدأ من تسارع ضربات قلبها، فلمسته جعلت شرارة تمر بكل جسدها وجرأته أخافتها لكنها كانت غارقة بعيناه..

توقفي! توقفي عن حبه وعن الغرق بكل تفاصيله! فإلى أين سيؤدي بك ذلك الطريق؟!

السؤال الذي يتردد بعقلها، فإن تركت لقلبها قيادة الأمور، إلى أين ستصل؟! - مالك يا حبيبتى ؟
- سألتها والدته لتنتبه أنها كانت شاردة
- مفيش يا طنط، إنت عاملة إيه دلوقتي ؟
- الحمد لله يا حبيبتى، ربنا يخليك يا نورا، عارفة أنا كان نفسي يبقى عندي بنت زيك.
- إبتسمت إليها وربتت على يدها:
- طيب ما أنا بنتك أهوه ولا ما أنفعش ؟
- ده إنت زي القمر
وجلستا لتناول طعام الإفطار، فهي منذ أن إنشغل عنها وأصبحت رفيقتها التي تختفي قرب وصوله، لكن تلك المرة كانت مختلفة، فقد عاد يحمل الطعام وكلتاهما جالسة.
- خيانة بتأكلي من غيري
- إنت إتاخرت
جلس متجاهلاً نورا تماماً ووالدته تطالع التوتر البادي على ملامحها وفجأة ناداها:
- نورا، إعملي لنا شاي!
- مؤمن! دي ضيفة عندنا
نهرته والدته لينظر للمرتبكة بعث..
- لا ضيفة إيه؟ نورا متعودة على البيت وتدخل تدور فيه وتكسر حاجات!
وفجأة إنتفضت وقد طفح بها الكيل:
- أنا آسفة! بس أنا كنت قلقانة على طنط والإزاة وقعت غصب عني
لما كنت بدور على الدوا!
ولا تدري لم بدأت في ذرف الدموع وهي تقص عليهم ما حدث قبل أن تغادر، ولا مته نظرات والدته!

- أنا كنت بهزر والله، وبعدين هي اللي غلطانة وبتعيط، صنف بنات حوا ده كله
واحد، أسهل حاجة عندهم الدموع!
غادر لغرفته غاضباً، هو كان يشاغبها لكنها وصلت لغرفتها لتتهار في البكاء، تبكي من
أجل زجاجة عطر كسرتها!
والأمر يتعدى ذلك بكثير، النساء دراميات بطبعهن ييكن لآثفه الأسباب، لأنهن
يخفين أسباباً أخرى للدموع، أسباب تبقى طي الكتان!

وهي ودت أن تبقية طي الكتان لكنها فشلت، فالليلة عقد قرانهم لتصبح زوجته وهي متوترة وحائرة وانعكس ذلك عليها فأضحت عصبية للغاية فلا يمكن للطبيبة اللامعة التي ستصبحها يوماً أن تصبح حرم الأسطى أنس الميكانيكي!

ساخطة على زينتها وفستانها وشقيقاتها ومنزلها وكل شيء ونوبة صراخها توقفت أمام والدتها التي أمرت شقيقاتها بالخروج، ووقفت أمامها وبدون أي مقدمات واجهتها بالحقيقة:

- إنتِ النهاردة هتبقى مراته، مبقتش لعبة يا بسمه ولا يومين تعديهم لحد ما تسيبيه بعد ما تتخرجي!

نظرت لوالدتها في صدمة، هل ظنت حقاً أنها لا ترى؟، أنها عميت مثله، هو الحب أعماه بينما هي أنثى مثله، بل أدرى الناس بها!

- ماما، أنا.....

- لآخر مرة بقولها لك، أنس طيب وابن حلال، شاركي وبيحبك، إرضي بنصيبك! وغادرت لتتركها تتخبط بين نصيبها وما تتطلع إليه، من أرادت حقاً، من هو أهل لها، "قاسم الوكيل" طبيب شاب ابن أستاذها، أنهى رسالة الماجستير ويحضر رسالة الدكتوراة، لبق، أنيق، وسيم والأهم مكانة إجتماعية مرموقة وهي لمحت إعجاباً بعينه منذ أن رشحها والده إليه لتساعده.

- دكتورة بسمه شاطرة جداً يا قاسم وهتساعدك

إبتسم لوالده بهدوء ليغادر ويبقى هو معها.

- معلش بابا صعب شوية

إبتسمت وهي تحرك رأسها نافية:

- دكتور مختار طيب جداً

إبتسم لها بوقار، وقادته إلى حيث مكتبه، بل ساعدته في تحضير جدولته وكل ما يحتاج، بالنسبة لها هو حلم يمنعها عنه تلك الحارة التي تسكن بها وحلقة ذهبية بإصبعها، لكن اليوم ستجعل الأمر رسمياً!

توقفت لتقيم الأمر كله، لا دخل لمشاعرها بالأمر، كانت محقة عندما إختارت مجال الجراحة وعليها الآن أن تختار!

- بسمه يا بنتي، إنتِ موافقة تتجوزي أنس؟

سألها عمها الذي أتى للحصول على موافقة العروس قبل عقد القران، فأجابت بهدوء - موافقة!

موافقة منحتها تحت شعار عصفور في اليد، فما كانت لتترك ما في يدها من أجل حلم بعيد المنال.

تعلت الزغاريد وهي تقف بالشرفة، فما أن أخبرها أنه سيتجه لإستقبال والدته وشقيقه حتى إندفعت للشرفة لتراه، فلم يجمعها به أي لقاء منذ مدة طويلة ورغماً عنها يبقى ذلك الشعور بداخلها الذي لا يمكن وصفه، لا هو بحب ولا كراهية، فعندما دخل كان سلامها بارداً مع الجميع وكادت تنصرف عندما لاحظت غياب زوجته.

- أميرة فين؟ مجتث ليه؟

تساءلت بتهكم فهي تتعمد دوماً التقليل من شأنها!

- كان نفسها تيجي بس عند والدتها، بدايات الحمل تعبها شوية.

أجاب لتتسع عيناها في صدمة وتحاول السيطرة على غيرتها، بينما إحتضنه منير بسعادة:

- مش تقول يا ابني إنتِ، ألف مبروك

- عقبالكم يا حبيبي

قاتلها والدته لتتصرف غاضبة من أمهم، وتبادل الجميع نظرات متوترة وابتسامات مفروضة على الشفاه، تبعها ليجدها عادت للشرفة غاضبة وقبل أن يتحدث صاحت:

- عاجبك كلام أمك؟ قصدها إني مبخلفش!

وضع يده على كتفها يحاول تهدأتها:

- هي متقصدهش يا حبيبتي وبعدين دي حاجة بتاعت ربنا، حد قالك إني عايز عيال؟

ولازالت على غضبها وكما اعتادت أن تخرج غضبها به:

- على العموم يا حبيبي قول لأهلك إني مش معيوبة، أنا زي الفل وتبطل تلقح عليا بالكلام!

وانصرفت لتتركه لا يدري ما عليه أن يفعل، أيجد شجاراً أمام الجميع أم يظل صامتاً؟

ولكن إلى متى يستمر صمته وتحمله؟

يجها لكنه أضحي يتساءل إن كان الحب وحده كافياً؟!

- أيوه طبعاً كفاية إني بجبك يا هدير، إنت عايزة إيه ثاني؟
سألها وهو يحدثها على الهاتف فأجابته بأسى:
- عايزة زي اللي إنت وسطه دلوقتي يا عامر، إنت في كتب كتاب صاحبك، هناك في أهله وأهلها وأصحابهم.
- وطلبها مشروع للغاية لكنه ممزق بين رفض أهله لها وحبه الذي لا يبدو أن أحداً يهتم به، بل وصل الأمر بأن يقصوا على مسامعه جمل من عينة:
- "ما تنشف و تخليك راجل"، وكأن الرجل لا يمتلك قلباً ولا يحق له العشق!
- خلاص، أنا هتصرف
- مش فارقة، أنا خلاص تعبت
- وأغلقت الهاتف بوجهه ربما لأول مرة منذ بداية علاقتهم لكنها سئمت الأمر، الجميع يراها أقل منهم وهي ليست كذلك!
- مالك يا بنت أمك؟
- نظرت لوالدتها مطولاً، منذ متى تسأل عما بها؟ ألا تأمرها دوماً فتطيع، ألم تكن السبب في ضياعها وضياع شقيقاتها؟ لكنها لا تهتم لهن
- ما تردي عليا يا بت، أنا مش بكلمك
- مفيش
- أجابت ببرود تام لتبدأ في سرد المعلومات التي لديها..
- هو الواد بتاعك مش ناوي يجي يتقدم لك؟
- لا مش جاي أهله، شايفين إننا نسب ميشرفش
- واشتعلت والدتها في حق منتفضة:
- ليه بقي إن شاء الله؟ طيب وحياتك لأجيهم لك لحد هنا يطلبوا إيدك وأرفضهم ويرجعوا ثاني!
- أقسمت بحق وابنتها تطالعها بإستنكار، تعلم أن والدتها قادرة على فعل ذلك وأكثر لكنها سئمت الأمر واللعبه كلها بل ربما سئمت الحياة.

- كلميه قولي له إني عايزة أقابله
ورغم كل شيء ستستمتع لوالدتها مجدداً، عاشت بظلمها، تستمع إليها، كانت لا ترى، لا
تسمع، لا تتكلم، فقط تكتم أسراراً ضاق بها صدرها.
وهو كذلك يطالع هاتفه ويشعر أنه يختنق لكنه عاد للحفل وقرر أن يلقي التحية على
أنس ويغادر.

- إنت هتمشي دلوقتي يا عامر؟!
- أسيبك لعروستك بقي يا كبير، ألف مبروك عقبال الفرح
هنأه وغادر مقررأ أنها ستكون له، فلا شيء سيبعده عنها بينما الآخر عينيه تبحث
عنها، عندما شعر بمن يريت على كتفه..

- عينيك فضحك يا برنس
ضيق عينيه يحرق به غاضباً فرفع يده كمن يستسلم:
- أنا جاي مسالم أهوه
ضحك مؤمن منه واحتضنه..

- مبروك يا عريس، دخلت القفص الذهبي رسمي
- عقبالك لما تهتد
غمز بعينه واتسعت إبتسامته:
- إنسى، أنا كده تمام أوي، باركت لك وأطير
- إنت لحقت؟

إقترب مؤمن منه هامساً:
- يا ابني انت عايز تطرد أهلك وأهلك وأنا أحب أبقي خفيف!
وكم كان محقاً، فهو يود من الجميع أن يذهبوا ليبقى هو وهي فقط وحدهما، فالיום هي
زوجته.

إستمعت لصوت زوجة أبيها تصبح بإحدى الخادومات، بينما هي ترفع خصلات شعرها وتنتظر لقميصها الذي كشف عن ظهرها العاري ليظهر الوشم "العقرب الأسود" الذي رسمته على ظهرها وابتسمت برضى عن شكله قبل أن تنتجه إلى الأسفل.

- لما أنادي عليكِ تيجي تكلميني فوراً!

تلعثت وهي تجيبها:

- بس ست مليكة

قاطعتها تصبح بغضب:

- مفيش ست في البيت ده غيري!

ترجلت من على السلم وهي ترتدي معطفها:

- ست الحسن والجمال طبعاً أmaal لفيتي دماغ الراحل إزاي يا كريمة؟!

تقدمت منها غاضبة تكاد تفنك بها والأخرى تبتسم بتهكم وصححت كلماتها بتحدي

- كاريمان

إتسعت إبتسامتها وهي تشير إليها:

- لا كاريمان ده بعد التجميل يا كوكي بعد النفخ والشد والتكبير، بس ياريت متنسش

أصلك ... الواطي

كادت تصفعا عندما أمسكت بيدها تضغط عليها بقوة وتغرز أطرافها بها:

- إياك ترفعي إيدك تاني!

واقتربت تهمس في أذنها:

- بدل ما أحكي اللي شوفته في الجنيّة وصورته كان!

إتسعت عيناها في رعب وابتلعت لعابها بصعوبة والأخرى تبتسم بانتصار قبل أن

تمسك بوجهها بين أصابعها:

- طول ما إنت هادية وبتسمعي الكلام هكون لطيفة معاك يا قطعة، إطلعي إلبي

واستني جوزك زي الشاطرة!

وأومات برأسها وانصرفت من أمماها بمنتهى الطاعة بينما هي أمسكت بهاتفها تتصل به:

- انت فين؟! إنزل هنسهر إحنا والشلة كلها!
أمرت وأمرها مطاع، فالملكة تجمع الجميع وتعلم أنه سيكون هناك وبالفعل ما إن
دخلت إلى الملهى الليلي حتى لمحته، كان ينتظارها وهي تركت الجميع وتوجهت نحوه:
- هأقتلك

همست ليحرك الكأس من أمامه ناحيتها فتجرعته دفعة واحدة:

- معاكى مسدس؟

إبتسمت قبل أن تقترب منه:

- الترابيزة اللي على شالك ورا الشقرا اللي هناك هي الرهان!
إلتفت ينظر إليها يقيم الموقف وانتبهت لنظراته فأشاحت بوجهها بعيداً:
- أسبوعين!

- ١٠ أيام مفيش غيرهم!

ظل صامتاً قبل أن يجذب مليكة من يدها حلبة الرقص، وبالنسبة لها الأمر لعبة أو
جنون، وربما هوس، بينما بالنسبة له فالأمر تعدى ذلك بكثير، لذة إنتصار يحققها
ويثبت لنفسه بكل مرة أنه كان محق وكل منهن تستحق ما ينالها!

النساء دوماً يبحثن عن الإنتصار مهما كان عدد الضحايا لا يهم، فكل ما يهم هو
الحصول على نتيجة مرضية لهن، شاهد الأمر يتكرر مراراً، كلهن أنانيات ومن لسن
كذلك إستثناء قاعدة لم يعد موجوداً!

ولم يمر وقت طويل حتى كانا بغرفة الجلوس، دخلت ليقف أمامها يطالعها زيتنها
وشعرها وعيناها، أمسك بيدها يحتضنها بين يده:

- مبروك يا بسبوسة

همس وهو يضع سواراً ذهبياً بيدها ورفعت عيناها تقابل عيناها، للحظة شعرت أنها
قادرة على حبه، قادرة على المحاولة، فهو يستحق رغم كل شيء، يستحق أن تحبه
بصدق!

- فرحانة؟

أومأت برأسها وأخفضت بصرها قبل أن تهمس:

- ربنا بخليك ليا يا أنس

رفع وجهها إليه يتأمل ملامحها:

- إنتِ لو تعرفي أنس دي بتعمل فيا إيه مكنيتش قولتيا!

حركت أهدابها بخجل قبل أن تنظر لعيناها:

- أقولك إيه؟ أقولك حبيبي؟

وحروف تلك الكلمة جعلت قلبه يرقص فرحاً، هي من تمنّاها أن تكون حبيبته

ولم يرد سوى عشقها:

- أوعدك إني هأخليك أسعد واحدة في الدنيا دي كلها، عينيك الحلوة طول ما أنا

عايش هتفضل تضحك وعمر الدموع ما هتعرف لها طريق...

تنظر إليه بدهشة يخالها إعجاب لا يمكنها أن تنكره، فكيف لمن هو مثله أن يكون

بارعاً بانتقاء تلك الكلمات التي تمس مشاعرها؟

- أنا مش عارفة أقولك إيه؟

- متقوليش، أنا عازمك على العشا برا

وانطلقا معاً ليحول يومها الذي كرهته الليلة لن تنساها، فهو حجز المكان بأكمله من

أجلها، وهي تشعر أنها بحلم، المكان مزين بالبالونات التي تملأ الأرض والزينة على

الجدران وكعكة مميزة، لم تمنى يوماً أكثر من هذا.

- مبسوطه؟

سألها لتومئ برأسها..

- لسه في مفاجأة كان!

إتسعت عيناها بسعادة كأنها طفلة صغيرة في أرض الألعاب، ونغمت أغنيتها المفضلة إنسابت في الأجواء، جذبها بحركة خاطفة لتجد نفسها بين ذراعيه، أحاط خصرها بيده وتشابكت أصابع يده الأخرى مع يدها لأول مرة، كانت فعلياً بين ذراعيه، لأول مرة يدرك معنى أن يضمها إليه وتشعر هي بقربه لتلك الدرجة تواجه عينيه وتراها عن قرب، ترى لمعة العشق بهما وذلك الحنان الجارف الذي تنطق به نظراته إليها، تشعر أنها في حلم وهو يرقص معها وتتساءل متى تعلم أن يرقص بذلك الإحتراف فهو إقترب بدرجة مهلكة لأعصابه ومخيفة لها أو كان يجب أن تكون، لكنها تعترف أن وجوده لا يحفها سوى الأمان، تعلق نظراتها به ورغم أنه أراد إمتلاك شفيتها والحصول عل أول قبلة بينهما لكنها أجفلت ليطلع قبلة على وجنتها!

- بحبك

كانت الهمسة التي أنهى بها رقصتهم والكلمة التي ظلت تتردد بعقلها طوال الليل وتلك الإبتسامة لا تفارق وجهها رغم أنها، فالיום إستطاع أن يكون فارس أحلامها، أغلقت عيناها وقررت أن تستسلم للنوم دون تفكير، اليوم لها وغداً له حديث آخر!

والغد كان يحمل مشكلة جديدة...

فهو فرض الأمر عليها، تقدمت في عملها واندجت وسط مجتمعها الجديد، فهي شعاة النشاط، فأضحت أمينة أسرار الجميع وبدأت المشكلات تطفو على السطح والأهم علاقتها بزملائها التي رفضها تماماً، فإن إتصل أحدهم بها من أجل أحد الملفات إشتعل غضباً وغيرة!

بالنسبة لها الأمر في إطار العمل وبالنسبة له فليذهب عملها للجحيم!

والشجار المعتاد ليغادر صافقاً الباب ويتركها تتخبط

لا تدري ما عليها أن تفعل، بل ماذا سيفعل حين تخبره عن ما أخفت عنه منذ أيام!
"سفرية لمدة أسبوع لدي!"

وهي وافقت !!!

الفصل الخامس

هل فكرت يوماً فيما تريده حواء؟! إن أردت أن تعرف ما يريده شخص فعليك أن تعرفه، ونصيحة إياك أن تحاول معرفة النساء أو فهمهن، فأنت ستقتضي عمرك كله تلهث وراء سراب، وتبحث عن معضلة كونية لا تفسير لها ولا حل!

ببساطة حتى حواء لا تعي ما تريده ولا يمكنها فهم نفسها، في الليل تقرر أن تصبح ربة منزل وصباحاً تجدها تخطط لمشاريع تغييرها في الظهيرة، حتى لو كان روتينها اليومي ثابتاً فما يدور بداخلها مختلف تماماً، إن جمعت لها أموال الدنيا ستطالبك بالحب، بالرومانسية، و سترفع شعاراً واحداً: "عايزة ورد يا إبراهيم!"

أحضر الورود فستلعن ورديتك، وتخبرك أن الحب لا يشتري الخبز والمال هو الأهم وربما تحولت أزهارك لمرثي!!

في عالم الرجال الأمور سهلة بسيطة للغاية دون تعقيدات حد فهمهم للألوان الأساسية فقط وما دونها شكليات، أما حواء فهي ترى اللون بدرجاته، وربما أعطتك لوناً جديداً، مبدعة، متجددة، لكنها ساخطة حانقة، تفتقر للرضا حتى عن نفسها، هي تريد كل شيء!

"يا بينتك يا شغلك يا محما، إختاري!"

يخبرها ولا تستطيع الإختيار، فشعورها بالنجاح واستقلاليته يغمرها وأضحي التوازن أمراً مستحيلاً ولو حاولت، فالأمس تأخرت في العودة بسبب إجتماع هام،

واليوم نامت من شدة إرهاقها وتركته وحيداً، وبالطبع لأمها عندما مرض صغيرهم
وأتهمها بالتقصير وطرحت حلها على الطاولة:

- نجيب شغالة

أخبرته في محاولة يائسة فهي تعلم الرد مسبقاً:

- أنا مش متجوزك عشان أجيب شغالة!

جملة ذكورية اشتعلت بها الأثني في داخلها التي رفضت أن يضعها بخانة الخادمة، هي
زوجة هل تزوجها فقط لخدمته؟!

- وانت اتجوزتني عشان أبقي شغالة ليك ولإبنك؟

ولو كان الغباء رجلاً لما أجاب بهذا الرد:

- وتكوني تحت أمري وقت ما أنا عايز، وإن كان عاجبك يا مها...

- لا مش عاجبني يا عمرو

وانصرف ليتركها تضرب رأسها بالحائط، لكن الحقيقة أنه غادر قبل أن يرتبك حماقة
أكبر ويهدم كل شيء، وكالعادة ليلاً بأكية وفي الصباح جالسة على مكتبها، لكنها اليوم
كانت مرهقة، رفعت خصلات شعرها بيدها عندما انتبهت لها صديقتها:

- مالك يا بنتي ؟

- مفيش يا سارة، أنا كويسة

حدقت بها غير مصدقة، فملاحمها توحى بحزن وحيرة شديدين، حتى إنصرفت للمنزل
والدتها:

- المشاكل بيني وبين عمرو بقت كثير أوي يا ماما

- قلت لك يا مها مسمعتيش كلامي

تدرك الأمر تماماً، والدتها ستبدأ في سرد معزوفتها المفضلة عن أن عملها غير مهم وأنها
تتدلل، لا يمكنها أن ترى أنها تحقق ذاتها وكيانها، فجوة بين نساء العصر الماضي ونساء

هذا العصر ولا تدري أيهن محقة وأيهن مخطئة؟!

دق جرس الباب فاتجهت لتفتحه و تصيح بفرحة:

- غرام! -
- إزيك يا مها؟ -
إحتضنتها بقوة، فإبنة الحالة بمشابة الأخت قد عادت بعد سنوات، إبتعدت وتركته
تدخل وهي تصيح:
- ماما مش هتصديقي مين؟ -
إتجهت ناحية خالتها التي سلمت عليها بحرارة وجلست تقص عليهم قصة عودتها مع
زوجها رجل الأعمال الشهير الذي كانت له زوجة ثانية بعد وفاة زوجته لكنها بالكاد
تحتمل حياتها معه:
- وانتِ مستحيلة ليه؟ -
- فلوسه يا خالتو، إنتِ عارفة إني اتجوزت ممدوح بعقلي -
كانت مها تطالعها بصمت، تتذكر يوم وافقت غرام على الزواج منه والسبب "عريس
جاهز"، فرصة لا تعوض ويكفيها مغامراتها العاطفية سابقاً، فالحب بالنسبة لها شيء
والزواج له حسابات أخرى!
بينما الأخرى إختارت الحب ومازالت تعاني منه..
- وانتِ ماللك؟ -
سألتها لتجيب والدتها بدلاً عنها:
- متخافقة مع عمرو وهو معاه حق -
طالعت مها والدتها بضيق بينما الأخرى ضحكت منها:
- خالتو لسه بتشهد له مهما عمرو عمل، بالنسبة لها إنتِ اللي غلطانة -
إعترضت خالتها مستنكرة:
- أنا يا غرام؟! -
- ما خلاص يا ماما أنا خدت أجازة بدون مرتب، أصله متخافق بسبب شغلي.
نظرت إليها غرام بتهكم:

- وانتِ خدقي أجازه عشانه، طول عمرك خاية، له حق يشوف نفسه عليك طول ما
إنتِ شبيك لبيك بين إيديه

ورغم تلك الكلمات التي ألقته على مسامعها بقي حبها له عائناً..

هو يجيها، يقدرها، وهي عليها أن تتحمل!

وعاد إلى المنزل ليجده على أكمل وجه، الصغير نائم وهي أعدت العشاء وجلست
تنتظره..

- حمد الله ع السلامة

لازال غاضباً فأجاب بهدوء:

- الله يسلمك، غريبة يعني مش محتاسة وسط الورق ولا نائمة لإن عندك إجتمع
مهم!

إبتلعت تهكمه وإتهاماته المبطنة بهدوء وابتسمت:

- قلبك أسود بس أعمل إيه؟ مبعرفش أسيبك زعلان

- لسه واحدة بالك إني زعلان؟

أخبرها وهو يتجه إلى الداخل، عنيد وهي بالكاد تسيطر على أعصابها:

- خلاص بقي يا عمرو، أنا أخذت أجازه عشان أرضيك

إلتفت إليها وظل صامتاً، هي بالفعل فعلت كل هذا من أجل إصلاح خصامهم لكن
بالنسبة له الأمر تعدى مجرد الخصام أو الشجار، هو أصبح له شريكاً في زوجته،
شريك يحصل على الإهتمام الذي يريد أن يستحوذ عليه كاملاً!

- وبعد الأجازه ما تخلص نرجع نلف ثاني في نفس الدايرة

ومع تلك الجملة إنتهى ضبط النفس لتصبح به غاضبة:

- أنا مبقتش عارفة أرضيك إزاي؟

وغادرت الغرفة غاضبة، تتذكر كلمات إبنة خالتها، هو بالفعل يتدلل، يعلم أنها تعشقه
فيستغل مشاعرها ولا يمكنها أن ترضيه مهما فعلت، هو يريد لها خاصته

التي لا ترى في العالم سواء ولا تخرج من فقاعته، وقررت أنها ستفعل ما تراه مناسباً
وكان التهور سيد الموقف فأمسكت بالهاتف وقررت:

- سلوى اقطعي لي الأجازة!

واسمع إلى كلماتها وهو يتجه ناحيتها لمصالحتها فعاد أدراجها، هي لن تفعل إلا ما يرضيها
هي!

- والله أنا اللي محتاجة أجازة!

تمت رحاب وهي تغلق الرواية وأخذت تدون ملاحظاتها التي ستواجهه بها:
"من قال أن نساء الرواية مخطئات، ليس كلهن بالطبع، هدير متأرجحة تريد الخروج
من عالمها البشع، يجذبها وتحاول النجاة لكن كالعادة نحن نحكم الأشخاص بما عليه أهلهم
وذوهم وكأنه كان إختيارها، بسمة تصارع طموحها وتحاول أن تحب شخصاً خارج ذلك
الطموح، هي حقاً تحاول لكن مشاعرنا لم تكن بأيدينا يوماً، إستغلال عاطفي يقابله
إستغلال مادي، في النهاية هي إختارت أن تكون زوجته!
مها امرأة ذات طموح ولكنها لا تستطيع الموازنة وعمرها يريد لها ملكيته الخاصة ...
متمك!

علا تعاني مشكلة إختيار خاطيء، وفاة والدها وضائقتهم المالية جعلتها ترى أن المال
هو الأهم، أخطأت عند الزواج من منير وهي أحبت شقيقه، كان عليها ترك الأمر
كله!

نورا حمقاء مسكينة ستدفع ثمن السقوط في عشق الشخص الخطأ!
بالنهاية نساء الرواية لسن مخطئات، سيد آدم ورجالها ليسوا ملائكة!"
أرسلت الرسالة وهي تشعر بنشوى إنتصار وجاءها رده الذي انتظرت به بشغف ليعترف
بأنها كانت الأجدر والأحق ووجه نظرها الأقوى، والرد:
"إنّ بتتكلمي بالفصحى ليه؟"

أرادت إلقاء الهاتف وربما لكم وجه آدم لو كان أمامها لكنها لم تستطع سوى أن تجيب

"بحسب إني بقدر أشرح بها أكثر وبعدين إنت كاتب المفروض تقدر اللغة!"
"شايقة إن حجبك قوية"
"أنا بقول الحق"
"منحازة! ومليكة؟!"
"مريضة نفسياً"
"دي تقريبا ضيعة مؤمن"
"مؤمن ضيع نفسه"
سجال رسائل لا ينقطع، وكلاهما قادر على الرد والجدال وكل منها متمسك بوجهة نظره!
"إنت فين؟"
سؤال شخصي ودوماً ما تجد نفسها تتوتر أمام الأسئلة الشخصية!
"في الدار"
طبعت بخجل وتردد لتأنيها إجابته:
"كويس، أنا بقيت قدامها!"
هل تنعته بالجنون؟! أم اللامبالي؟! ربما الوصف الأخير هو الأكثر دقة!
- رحاب، في واحد مستنيك في مكتبك.
أخبرتها صديقتها لتومئ برأسها اللامبالي، وصل ببروده المعتاد، توجهت لمكتبها وفتحت الباب لتتسع عينها في صدمة!
- إيه اللي جابك هنا؟!
- رحاب
قالها بهدوء وهو يتوجه نحوها، فتراجعت وهي تعض على أسنانها بحقن:
- إطلع برا ومش عايزة أشوفك ولا بالصدفة!

والحق بداخلها يتصارع ومشاعرها تقاتل لتتجمع الدموع بعيناها، دموع لم ولن تمنحه يوماً حق رؤيتها تسقط أمامه، فبعض النساء يرين دموعهن غالية ولا يجب ذرفها من أجل من لا يستحق!

- إسمعيني!

تعرفه جيداً وتذكر طباعه فقررت هي المغادرة، حملت حقيبتها وانصرفت ليلتها وبجراً إعتادها وكرهتها جذبها من ذراعها:

- بطلي جنان واقفي اسمعيني، أنا هشرح لك كل حاجة!

نفضت ذراعها من قبضته وقبل أن تتقدم خطوة وجدته أمامها، عيناها توترت وهو ينظر لمن يقف خلفها وفجأة تحولت نظراته إليها:

- طنط بعتنتي أذكك من الشغل

وانصرفت معه متجاهلة نداء الآخر باسمها وفور أن إبتعدت توقفت قليلاً..

- وقفتي ليه ؟

- التمثيلية الهلابة دي مش هتخيل عليه، ده شريف خطيبي ... كان خطيبي، عارف كل قرايينا فمش هيصدق إنك قريبننا!

- يفرق معاك يصدق أو لأ؟

سألها بهدوء لتنسحب من أمامه لكنها عادت أدراجها:

- من فضلك متدخلش في حياتي الشخصية تاني، أنا مش شخصية من ضمن شخصياتك وروايتك، ممكن تخلي أي حد تاني يقرأها، دور على دار تانية أو حتى قدعها للدار تاني وأنا هبعد عن طريقك ولا كيني شفتها!

وغادرت وسط صمته التام، ظلت تسير طوال الطريق تسترجع سنوات كانت تعيش بها بعالمها الوردي الذي تحطم بسبب رجل!

هي مجروحة ولو إدعت القوة وحاولت أن تنكر، كم من الرسائل وصلت لها تفها تخبرها أنه يخونها، وتجاهلت فهي تثق به و لن تدع أحداً يفرق بينهم، حتى ذلك اليوم الذي وصلت صورته مع أخرى، حاولت إنكار الأمر لكنها كانت صورته، وأتت النهاية التي

حاولت تجنبها منذ البداية، جمعت أهله وأهلها في وليمة ضخمة أُقيمت للإحتفال بتحديد موعد الزفاف ورغم ألم قلبها كان قرارها أمام الجميع عندما خلعت محبسها من يدها ووضعتته على الطاولة ليعم الصمت المكان:

- أنا آسفة يا جياعة، بجد آسفة، بس مش هتجوز خاين!
ورغم التوتر على وجهه ونظرات أهله وأهلها التي تركزت عليها:

- رحاب، أنا مختكيش

- إوعى تنطقها!، متكذبش ولا على إيه، انت كذبت كثير أوي وأنا صدقت لحد ما شفتك بعيوني، انت فين يا شريف؟ أنا في الشغل وأكون أنا قاعدة بتفرج عليك وانت قاعد مع واحدة تانية لدرجة إنك مش بتأخذ بالك إني ببقى في نفس الكافيه، باسوورد موبايلك مكننش صعبة عليا إني أوصل لها واتفرج على غرامياتك، معجباتك كثير هما كفاية عليك...

وانصرفت لتترك الجميع ما بين صدمة وخيبة أمل، وربما كان كلاهما، لكن كسرة القلب كانت لها وحدها!

- آنسة رحاب!

وانتبهت على صوت بواب عمارتهم يناديها فهي تسير على غير هدى:

- إنت رايحة فين يا بنتي؟

إنتبهت أنها تجاوزت منزلهم لكنها لم تعترف بخطأها فأجابت بهدوء:

- السوبر ماركت يا عم مدكور، مش هتهوه عن بيتنا يعني!

قالتها بتهكم تألم له قلبها فهي بالفعل تاهت منذ مدة!

تاهت عن نفسها ولم تعد تجد الطريق!

التبع، ذلك القاتل البطيء الذي يعيشه الرجال لسبب غير معلوم البتة وهو يكره التبغ لكنه مدخن، خاصة عند أوقات التوتر والتردد!

البارد دوماً متردد في محادثتها، حساسها أمامه ويتردد في مراسلتها، فلا زالت تلك الدموع التي علقت بأهدائها تشغله، دموع كبرياء وتمرد رغم الألم الذي ظل حبيس مقليتها ولن تسمح له بالمغادرة!

عنيدة!

صرخ بها عقله لترسم إبتسامة على شفثيه، أما هي فقد كانت ضائعة وسط ذكرياتها، فقد كانت تنظر إلى سقف حجرتها ودموعها تتساقط عندما دخلت والدتها فأخفتها كعادتها وجذبت الملف من على الكومودو بجوار سريرها:

- إنتِ لسه بتقري؟! إرحمي عينيكي

كان تعليق والدتها قبل أن تغادر وتنفس هي الصعداء لتنتظر إلى ما في يديها، لتجدها الرواية فقررت فتحها وإكمالها والأمر لا يتعدى التسلية، هي لن تقتنع برأيه ولن تجادله مجدداً فالأمر إنتهى بالنسبة لها!

هو في النهاية آدم وكل آدم خائن، هكذا كانت تراه!

أما هي فلم تكن تراه حتى، لا ترى إلا أن يكون لها طفل، لن تقبل أن تنتصر عليها زوجة أخيه مرة أخرى، فمنذ أن علمت بحملها وأضحى شغلها الشاغل أن تحصل هي الأخرى على طفل!

- أنا بجبك إنتِ ومش فارق معايا الولاد، يحوا براحتهم

- بس أنا عايزة يبقى عندي ولاد، ولا عاجبك أهلك والناس لما يقولوا عليا مبخلفش، وقتها هتكون مبسوط ولا هتتجوز عليا عشان تخلف ما هو حقك و....

وضع يده على شفثيها ونظر إليها بحب:

- أنا إتجوزتك إنتِ يا علا لإني عايز علا نفسها، لإني بجبك

ولأول مرة يجد نظرة إنكسار بعينها وهمس إختنق ببكاء:

- بس أنا عايزة أبقى أم!
والجملة طغنت قلبه فأحضنها لتتعلق به وتبكي رغماً عنها في نوبة مشاعر إجتماعها،
إحتياج، رغبة، أمومة فطرية في داخل كل أنثى، وفي النهاية كان القرار، سيذهبون
للطبيب الذي طلب منهم إجراء بعض التحاليل.

- يعني الدكتور قالك إيه ؟

تساءلت والدتها لتجيبها:

- طلب تحاليل و لسه نتيجتها

وأثناء حديثهم دق جرس الباب ففتحته الأخت الصغرى لتجد فتى يحمل حلة رسمية:

- البشهندس أنس باعتها

حملتها وتجاهلت نظراتهم لتضعها بغرفة شقيقها وتبتسم بحزن، هو حقاً يعشق بسمه،
أرسل الحلة ولم يظهر، فهو يعلم التعليقات التي ستمطره بها والدته فهي ترى أنه يدلل
خطيبته وهي لا تستحق الدلال!

هي لا تستحقه!

وكان ذلك رأي والدتها أيضاً التي صاحت بها:

- والله إنتِ ما تستحقه

طالعتها بغضب وأبعدت وجهها تحاول إبتلاع كلماتها لكنها فشلت لتلتفت:

- خطوبة بنت الدكتور بتاعي يجي معايا ليه؟!

- لإنه جوزك

والكلمة أشعلتها غضباً فهم يطلبون منها أن تقدمه للجميع، الأسطى أنس!

لكن الأمر تعدى ذلك هي لا تريده هو بالتحديد أن يعلم أي شيء عن عقد قرانها
وارتباطها، "قاسم"، نظراته، تلميحاته، وذلك الغزل المبطن الذي يليقه على مسامعها
على هيئة شكر وامتنان وهي ترى ذلك وتدركه جيداً، حواء إحساسها لا يكذب
أبداً، تلك الإبتسامة المغازلة والنظرات العابثة التي تختفي خلف نظارته الطبية لم تكن
لنخطئها عيناها وتجاهله لحقيقة إرتباطها أكبر دليل وتحول يوم أحلامها لكابوس

ستضع محقق أحلامها أمام فتى أحلامها وتبقى هي عالقة في المنتصف ولا حل، بينما هو يتحضر ليليق بها، فقد دخلت شقيقته الصغرى لتجده يحلق ذقنه، فوقفت تتأمله وتشعر بالشفقة عليه، فرغم صغر سنها وعذرية قلبها الذي لم يمسه العشق يوماً تراه يعذب شقيقها:

- شكلك زي القمر على فكرة
إبتسم إليها وعيث بغرتها وهو يتجه لغرفته، وتركها بين أفكارها تدري ما يدور برأسه، بسمة لا تراه أهلاً لها وهي لا تريد جرح قلبه، هو من رباها بعد وفاة والدها، وكان لها الأب والسند.

توجهت للغرفة لتجده كالعادة كلما إرتدى حلة يصارع ربطة العنق، تعلم أنه يكره تلك الرسميات لكنه يفعلها من أجلها!
توجهت نحوه وأمسكت بربطة العنق تلفها ببراعة..
- حلوة كده

- إنتِ قرودة يا عيوش
إتسعت عينها في دهشة وابتسمت من تعليقه:
- متشكرة يا بشمهندس ده جزائي
واتجهت لتغادر لكنها توقفت تستجمع شتات نفسها، عليها أن تصارحه، على أحد أن يجبره:

- أنس، متسمحش لحد يقلل منك إنت كبير أوي، أحسن من ناس كثير!
ويعلم لما ترمي، فخل ربطة العنق وجلس على السرير عندما جلست بجواره تطالعه بصمت وتلك التهديدات الحارقة التي تغادر صدره..

- هي معاها حق، هي دكتورة وأنا...
توقف لثوان قبل أن يكمل إعترافه:
- أنا دبلوم صنايع
وإرتسمت على ثغره إبتسامه موجوعة لكن نظرات أخته بقيت على حالها:

- أوعى تقلل من نفسك لو هي مش بتحبك بكل حاجة فيك يبقى متستاهلش!
وعجز عن الرد، فمن داخله لازال يخشى، وظل صامتاً لثوان قبل أن يعود للعبث معها:
- مش فاضل غير المفعوصة الصغيرة اللي تتكلم عن الحب، قومي اريطي لي النيلة دي
تاني!

ورفعت حاجبيها بإستنكار وفعلت ما طلب منها والإبتسامات مفروضة والكلمات
مرفوضة، فكلاهما آثر الصمت وكفاهم ما باحا به!

- رأس شيطان؟!
تساءلت والدته ليومئ برأسه..
- يومين مع أصحابي، إنت عارفة زحمة الشغل وقلت فرصة أطلعها معاهم.
لا تريده أن يذهب لكنها مؤخراً لا تمنعه عن شيء..
- وبعدين أنا اتطمنت عليك واسمها إيه دي بتاخذ بالها منك
حدقت به بلوم فالفتاة حقاً كانت ترعاها بالأيام الماضية..
- مؤمن بطل تخرجها حرام عليك دي بنت رقيقة
إبتسم لوالدته وقبل رأسها:
- محدش رقيق غيرك إنت يا قمر
- طيب بلاش تروح بالعربية عشان خاطري
ربت على يدها بحنان..
- متقلقيش أنا وأصحابي هنريج بعض في الطريق، بس أي وقت تحسي إنك تعبانة
كلميني هتلاقيني عندك في ثواني
وإحتضنها قبل أن يحمل حقيبتها ويتجه للخارج، وكعادتها تراقبه من خلف النافذة
ويلمحها ويتجاهل، لكن تلك المرة وجدته يقترب من نافذتها فتراجعت لكنه فاجأها
بالطرق على النافذة فتصاعدت ضربات قلبها وأتت والدتها:

- مين اللي بيخبط على الشباك؟!
إرتبكت أكثر وإزداد إحمرار وجهها لتزداد طرقاته فتتجه نحوه والدتها لتفتحه ووجدته
أمامها:

- أنا آسف يا أم نورا بس أنا حبيت أشكركم على اللي عملتوه مع والدتي
- لا أبداً لا شكر على واجب، الجيران لبعضها والست ليلي طول عمرها ونعم الحيرة.
إبتسم بوقار ونظرة خاطفة على من تقف في الخلف تود الهرب:
- أنا مضطر أسافر يومين لو ممكن آنسة نورا تبقي تتظمن على والدتي، أنا آسف،
بس إحنا ملناش حد في القاهرة

ورغم أنها أرادت صفعه وإغلاق النافذة بوجهه لكنها تعاملت بلباقة:
- طبعاً مفيش مشكلة أنا هتظمن عليها بنفسي
شكرها والتفت لينصرف وتنفس الحائرة من خلفها الصعداء لكن والدتها نادته:
- بشمهندس مؤمن

عاد إليها مجدداً لتطالعه قبل أن تلقي بجملتها:
- ياريت المرة الجاية تخبط على الباب
وكم كانت بارعة في إلقاء لومها وجعله في موقف محرج لم يملك معه سوى الاعتذار
- آسف!

إلتفت ليغادر ليجد نفسه وجهها لوجه معها تلك التي أخفضت بصرها وغادرت تدخل
أحد بيوت الحارة هرباً منه ولاحظ الجميع الأمر بينما هو غادر وتركها هي ووالدتها
ونظرات نارية تكاد تحرقها، فهي تخشى عليها وبشدة وما شاهداه للتو كان جزء من
ماضيه!

أما هي فلا تخشى شي، بل الخوف ليس بقاموسها، فهي لم تخبر والدها إلى أين ستذهب، فلو إنته لغياها سيئاتها وستجيبه إن سنحت لها الفرصة.
هي ترى حياتها وفقاً لقواعدها وما تريد وحاول إيقافها إن إستطعت!.
وصل بسيارته إلى منزلها ليجدها جالسة على حقيبة ملايسها أمام المنزل، ولم تعد تفاجئه عشوائية تصرفاتها ولا ملايسها، فبنطالها الأسود الممزق يلتصق بجسدها كأنه جلد ثاني وقميص فضفاض سقط عن كتفها.

- إتأخرت!

تجاهل تعليقها وحمل الحقيبة يضعها بالسيارة:

- مش كنا رحنا طيران وخلص

حركت رأسها بإعتراض:

- عايزة أبقى معاك في Road trip، وبعدين هبقى أسوق شوية وانت شوية!
صعدت إلى السيارة وطالعا لتبتسم وتضغط مشغل الأغاني لتنتقل النغمات بأعلى صوت وينطلق هو، وطوال الطريق كانت هي تتحرك على النغمات تنتقل من المقعد بجواره إلى المقعد الخلفي وتعود مرة أخرى!

- أنا لو مسافر مع طفلة كانت هتبقى أهدى من كده
أخبرها لتبتسم بعث وتقترب من الحلف تهمس في أذنه:

- انت عارف إن أنا شقية

حرك عينيه مستنكراً واشتدت قبضته على المقود وهي لا تهتم!

- هنعمل حادثة كده

حركت رأسها نافية وعينها لا ينتهي ليزيد من سرعة السيارة فجأة فترتد هي للمقعد الخلفي دون إرادة منها وتحقق به غاضبة وهو يراها من خلال مرآة السيارة:

- اتبقي على كده لحد ما نوصل

وضربة بكتفه كانت من نصيبه..

- بايخ

علقت قبل أن تتمدد في المقعد الخلفي وتخرج قدميها من نافذة السيارة واضعة إحداها فوق الأخرى وهو يطالعها بدهشة، لم يرى مثلها ولن يرى، فهي نسخة واحدة لا يجب أن تتكرر!

هي جمعت ما يكفي من الجراءة، وأثبتت أن الوقاحة لم تكن حكراً على الرجال يوماً!

تكرر طلبها له لعدة مرات، عاجزٌ هو بين رفض أهله وإصرارها ، وذلك العناد الذي لا تحيد عنه، حواء تنكره ألا تصل لهدفها وهدفها كاملاً، فأنصاف الحلول لا ترضيها، وها هو بمنزلهم كما طلبت والدتها، وهو من ظن أنه سيتحدث لوالدها كما هو المفترض لكنه لا يدري أن الكلمة الأولى والأخيرة لوالدتها، هي من تدبر الأمور وعلى الجميع السمع والطاعة، الكل يسير بإشارة منها ومن يحيد عن المسار المرسوم يلتقى غضبها، لكنها اليوم توقع به فترسم الوجه الهاديء، هي الأم التي تتحمل المسؤولية نتيجة أب متخاذل، هي المضحية، قصة تصلح لتصحيح وضع مهترئ وتجميله!

- بص يا ابني إحنا بنشتري راجل بس انت جاي ليه من غير أهلك؟

- أنا بس

لاحظت إرتباكها وقاطعته:

- أنا عارفة إنك بتحب هدير وهي كان وده مش عيب طالما دخلت من الباب بس يرضيك الناس يقولوا خدوه من أهله؟، وأنا مش هفضل معلقة بنتي ... الجمعة الحاية أهلك يشرفونا ويقرأوا الفاتحة!

تعلقت نظراته بهدير التي بدت حائرة، نظراتها تخبره أنه لا حيلة بيدها والأمر بين يديه، وهو قرر ولن يتراجع عن قراره، سيتزوجها ولو حاربهم جميعاً وأكثر المعارضين شراسة هي والدته لكن ليحاربها بسلاحها، هي تمنعه عن من يحب وهو سيحرمها من ما تحب!، فهو يدرك مقدار تعلقها به، فقرر أن يضغط بكل قوته، لم يعد إلى المنزل، أغلق هاتفه وغادر إلى الإسكندرية دون أن يخبر أحداً!

وكم ودت ألا تخبر أحداً، لكنها دخلت إلى الحفل متعلقة بذراعه وأرادت الهرب وجاءتها الفرصة عندما لاحظ أنه نسي هاتفه بالسيارة.

- بسبوسة هيب الموبايل وأرجع لك

إبتسمت وهي تومئ برأسها وغادر لمسح المكان بعينها وكل ما به يبرها، منزل فخم وحضور غاية في الأناقة، حياة أرستقراطية تتطلع إليها بشدة، وفجأة شعرت بأحدهم خلفها فالتفتت لتلتقي به!

- كنت هزعل جداً لو محتش!

إبتسمت وهي تتطلع إليه، وعيناه تركزت عليها عندما مر النادل بجوارهم فأوقفه وأحضر كأسين ناولها أحدهم لتبتسم يامتنان ويدور حديث هدفه القرب، ذلك القرب الذي لاحظته فإشتعلت الدماء بداخله وتوجه نحوها يحيط خصرها بيده ويجذبها إليه فأجفلت قليلاً لكنها حافظت على هدوئها وابتسامة ثابتة على وجهها لتقدمه إليه:

- دكتور قاسم معيدي في الجامعة وأخو العروسة

وقبل أن تقدم أنس مد يده إليه:

- بشمهندس أنس، خطيب الدكتورة

وجملته الأخيرة قالها بتملك وعيناه كانت تحذره!

- تشرفنا

صاغ كل منهما الآخر كأنها بداية لمباراة مصارعة وتحدي، فنظرات آدم يدركها آدم جيداً وتبادل النظرات كان واضحاً وحوار دار بينهما:

- وحضرتك مهندس إيه؟

- ميكانيكا

- وبتشغل؟

- بحب الشغل الحُر مش خنقة المكاتب، الواحد لازم يتفوق في مجاله مهما كان.

يتحدث بلباقة جعلتها تبتسم بسعادة وهي بجواره.

- عن إذنك
إستأذن وهو يمسك بيد بسمه ليرقص معها وهي تطالعه وعيناها تلمعان بإعجاب لمح
قاسم وأغضبه
- إنت هتكوني أحلى عروسة يوم فرحنا، أحلى كثير
أخبرها لتبتسم وتضع رأسها على صدره..
حواء تبحث عن السعادة، الإحتواء، الأمان، وتأمل أن يمنحها ما يكفي مما تريده،
إن كان هناك ما يكفيها!

- كفاية يا نورا!

قالتها والدتها وهي تجلس على سريرها لتعتدل نورا متعجبة

- كفاية إيه يا ماما؟!

- كفاية تتعلقي في حبال الهوى الداية وتسدي قلبك في الطل، الهوى يجيبه شال

ويمين ... مؤمن مينفعكيش

تبتلع دموعها هي أبقت حبها سراً لم ترد البوح به، ودت أن تتجاهله، لكن والدتها

تواجهها بحقيقة الأمر

- أنا مفيش من ناحيتي....

تتلعم وتبتلع دموعها فهي تود الإنكار ولا تقوى عليه!

- أنا أمك يعني بحس بيكي، بشوف نظرتك، فرحة قلبك لما بتسمعي عربيتة دخلت

الشارع، صوته وهو طالع ونازل قلبك بيدق مع دبة رجله على السلم وأنا مش عايزاكي

تتعذبي وتتوجعي على اللي مش ليكي

- غصب عني

وارتمت بين ذراعي والدتها ودموعها تنهمر دون توقف، عشقته ولم يراها، بل اليوم

رأته وجهاً لوجه مع من هربت من أمامه، تلك التي كانت يوماً تحمل حلقتة الذهبية

بيدها!

- مؤمن خطب ندى

سكين بارد ذبحها وتألّت في صمت، بل هنأت وهي تبتلع مرارة وجعها..

- مبروك ربنا يسعدهم

كان أتعس أيام حياتها، كانت تبكي ليل نهار دون أن تبوح بالسبب، بالكاد تمس

طعاماً وأصوات الزغاريد تطعنها بقسوة جعلتها تود أن يتوقف الألم والمواساة، كانت

جملة تردددها بداخل نفسها:

"هو سعيد لا بد من أنه سعيد وذلك يكفيها!"

هي عاشقة مزقتها وجع سعادته وألم حزن عاشه ولا تعرف تفاصيله، فأضحت حائرة لا تدري أيها تختار، لا تدري لم كُتب عليها عشقه؟! -

إنسيه

قالتها والدتها وهي تمسح على شعرها بحنان، والنسيان عزيز قد رحل وترك خلفه القلوب تئن وجعاً، فليته ينسى تفاصيل تضج مضجعه، حلقة تدور على الجميع ليأخذ كل منها نصيبه، وها قد جاء دوره، جرح كان، مجروحاً وحلقة الألم تستمر في دورتها.

إنفتت إلى المقعد الخلفي ليجدها قد راحت في سبات عميق، بدت بريئة للغاية وهي تنظ في نومها، يحسدها على قلبها المتحجر بقسوة جعلتها تروض الحياة لصالحها أما هو لازال ذلك النبض يؤلمه وهي علمته أن ذلك النبض يضعفه!

- لكل راجل نقطة ضعف إستغلالها واجب مقدس

كعادتها تلقي دروساً على تلميذها النجيب وهو يستمع بإهتمام ويبدو مسحوراً بكل ما تقوله..

- وانا نقطة ضعفي إيه؟! -

إبتسمت وهي تقترب تضع إصبعها على موضع قلبه وهمست:

- قلبك، شعور الضعف اللي تجاه أي دموع تشوفها، مستعد تسامح وتغفر وتبدأ من جديد

ورفعت عينها إلى عينيه، نظراتها الجريئة تقابل نظرات إرتباك يحاول أن يخفيها خلف قناع عبث كان مزيفاً..

- عينيك فيها شقاوة وحنية، خليط غريب يشد بنظرة واحدة ويا سلام بقي لما بتكلمهم بإبتسامة توقع أي قلب، نقط ضعفك هي نقط قوتك، السر كله في مشاعرك، في إيدك ولا في إيد غيرك.

كأنها تلقي عليه تعويذة تسحره مع كل كلمة تخيله بها شخصاً غريباً عنه، ربما شخصاً ود أن يكونه!

- وانتِ ليكي نقطة ضعف؟! -

إتسعت إبتسامتها وامتدت أناملها تعيث بأضرار قبيصة، تتناغم لمساتها المحسوبة بدقة مع نظرات عينها الجريئة وهمسها بنبرة حملت من الإغراء ما يكفي لإسقاط قديس: - إنت.

مجنونة، عابثة، لكنها على الأقل تواجه حقيقتها وتواجهه بحقيقته، جعلته يرى عالم النساء بشكل مختلف، لكن البداية لم تكن لها، البداية كانت لأخرى أرادها وسلبت ليه ووقتها كان شعاره أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم ولم يكن يدرك أننا نعيش في عالم من الطرق المتتوية!

ندى رقيقة، حاملة، جميلة، على خلق وأهلها حالمهم كحاله، فتقدم لخطبتها لتوافق على الفور، هو وسيم، على خلق، مستوى إجتماعي ومادي جيد ولن تطمح بأكثر من ذلك، يحتاج فقط لبعض التعديلات، ستجربها بعد خطبتهم وبالفعل حاولت، فبنات حواء يعشقن الجريء الوقح، وهو كان خجول مرتبك، يرسم الحدود ويعشقن من يتخطاها، وهو يحفظ حدوده جيداً، يُردن آدم ممتلك مسيطر وهو كان متفاهماً، أرادته عابث لكنها وجدته ملاً، يحذنها عن ما يصح ولا يصح، ما يجب ولا يجب!

هي لم تجد ما أخبرتها صديقاتها به، هو لم يسرق لمسة ولا قبلة، لم يغدقها بكلمات عشق خادشة تحمر لها خجلاً قبل أن تنهر وتهرب خجلاً لحجرتها لتبتسم، كل ما سمعت وقرأت راح هباءاً وتحطمت أحلامها وقصة عشقها الملتببة على صخرة واقعه الملتزم بكل شيء، فبدأت المشكلات تظهر على السطح أو بالمعنى الأدق بدأت بإختلاق أعذار تمكنها من الهرب من زواج تراه سيفشل لا محالة، وبالنهاية خالفت أمره بالذهاب لعيد ميلاد صديقتها فإستشاط غضباً مما فعلت، فكيف لها أن تذهب لعيد ميلاد مقام بلهوى ليلي؟! -

توجه إلى هناك ليحضرها وهو يستنكر كل ما حوله، فور أن رأيته حدثت به غاضبة عندما جذبها من يدها أمام الجميع:

- إنتِ إزاي تيجي مكان زي ده؟! ومن غير إذني؟! -

جذبت يدها من يده بحق وصاحت:

- وانت مالك؟! -

- أنا خطيبك يا هانم

صاح بها غاضباً لتخلع حلقتة الذهبية من يدها وتلقى بها إليه!

- كده خالصين يا مؤمن

طالعها بدهشة لكن دهشته تحولت لصدمة تامة!

- أنا مش هقدر أستمع معاك، إحنا منفعش بعض، أنا كان نفسي أعيش قصة حب

مع حد بخطفي، بص حواليك وانت تعرف الفرق بين الروتين والملل اللي إحنا فيه

وبين الحياة الحقيقية، انت ماشي على الخط بالظبط، كل حاجة بمحدود، كل حاجة

صح أوي لدرجة تخنق، متمسك بكل حاجة، لبسك وشكلك ونضارتك موديل النضارة

ده اختفى، أنا مقدرش أعيش في الروتين ده، مفيش ولا لحظة مجنونة، أنا حتى مش

عارفة أغير عليك، إيه يا أخي؟ قديس؟!، إنت حياتك ملة، غيرها عشانك إنما أنا

مبقتش قادرة أعيش الممل ده!

وغادرت وتركته ليقف مصدوماً من كل ما حوله، مما ألقت على مسامعه ودقائق

مرت ليدرك أنه وسط جمع يطالعه فغادر بهدوء دون كلمة واحدة وكلماتها تتردد بعقله

"بص حواليك وانت تعرف الفرق بين الروتين والملل اللي إحنا فيه و بين الحياة

الحقيقية!".

صح أوي لدرجة تخنق!

مل!

وأسبوع واحد وتمت خطبتها لأحد معارفهم والجميع يعلم قصته مع فتاة إهتمته بالزواج

العرفي منها وإنكاره لمن في رحمها!

ربما هذا هو من سمحها قصتها النارية التي تتطلع إليها، هي قررت أن تعيش حياتها

على حطامه ولم تهتم بما كسرت بداخله!

ويخبرنك أن النساء رقيقات، وحواء تعشق الحب العذري!

صحح معلوماتك ليست كل حواء كذلك، حواء تريدك عابثاً!
وقد كان لها ما أرادت!

فهو قرر الانتقام وضع صورته أمامها لتبتسم وتعلق:
- مُز

حرك عينيه بهكم ونهرها:
- مليكة!

- أكذب يعني، مين ده؟
طالع الصورة قليلاً قبل أن يجيبها:

- زوج خطيبتى السابقة
إندفعت ضحكاتها في المكان:
- لا حلوة، هات من الآخر

- عايز صور خيانة مفصلة تبقى عندها!

وطلب لن يكون صعباً بالنسبة لها، هي وعدته أن أحلامه أوامر ومن يطلب منها الإيقاع به عابث مغفل لا يتقن فن اللعبة، بل لعبه يسيل أمام أي جميلة، والأخرى إختارت العابث المغفل والنتيجة صور خيائته لها، واجهته بها ولم ينكر، طلب السماح والغفران لكن كسرة قلبها وكبريائها لا تحتمل، فعادت لمنزل أهلها بشارعهم، فرصته الذهبية وهو تلميذ نجيب لمعلمة بارعة يراجع تفاصيل خطته معها:

- أضعف حالات الست لما تتعرض للخيانة قلبها يبقى مجروح، مشاعرها، كبريائها وغرورها، أقل إهتمام وقتها بيلفت النظر ويوصل للقلب بس إوعى إهتمامك يكون مبالغ فيه، خليها مواساة وبعدها افق جنبها وساعدها وإبعد شوية وبعدها إرجع تاني وإبعد، بعدها بحجة إن الشغل واخذك هتلاقيا هي اللي بتدور عليك!
ولا يفهم المرأة سوى امرأة مثلاً فالبداية إدعاء صدفة وإصطدام:
- ندى إزيك؟

حدقت به لثوان، فهي لم تراه منذ زواجهما، تغير بل أصبح أكثر وسامة مع مظهره الجديد..

- مؤمن!

- أخبراك إيه؟! وإزاي طارق؟!

- هنتطلق

قالتها بأسى والدموع تملأ عيناها، ليبيدي تعاطفاً مزيفاً ومواساة خادعة وقلبها بدأ التعلق بالعباث، يبتعد فتنتظره بل تسأل عنه، إشغل البال والقلب واعترفت:

- أنا بحبك يا مؤمن!

قررت قرار لا رجعة فيه، هي تريد الطلاق وكل محاولات رَأب الصدع فشلت فالأمر تعدى السباح والغفران، هي سقطت بغرام غيره وستسقط بخيائته، فهي معه بوكر غرامياته..

- شقتك حلوة أوي

أخبرته بتوتر وهي تشعر بأنفاسه بقربها، فإلتفتت لترى نظراته أكثر، وهمست:

- مؤمن!

واللمسة التي ترفع عنها سابقاً رآها من حقه والقبلة التي لم يسرقها قبلاً إقتنصها دون تردد، هي من رفضته سابقاً بين ذراعيه وبكامل إرادتها، جاهزة لمنحه كل ما يريد ولم تمنع عندما أسقط عنها فستانها هاتكاً ستر لم يحق له ولم ترفضه، لا تبتعد ولا تدفعه بعيداً عنها، بل هو من إبتعد ينظر إليها بالكاد ترتدي ما بقي من ملابس تكشف أكثر مما تستر!

إتسعت إبتسامته بتهكم:

- إطلعي برا!

طالعته بدهشة عندما اقترب وكلمته طعنت كرامة انتهكتها بمحض إرادتها:

- مش عايزك

عينيه تمسح جسدها، تطالعها كجارية بسوق النخاسة، زاد من قريه ومال ناحية أذنبا
هامساً:

- مش عاجباني
إتسعت عينها بصدمة وغضب، كادت أن تصفعه ولكنه أوقف يدها، وكانت
الصفعة من نصيبها، أهانها، رفضها وطردها من حياته بعد أن حقق إنتقامه منها!

وفي النهاية كل منا من أجل ما يريد يكسر وعداً قطعه، يحطم قاعدة، يجرأ مبدأ!
وهي دفعها فضولها أن تكمل وهو حسم تردده، فوصلت الرسالة لها تفها مجدداً:
"وصلت لحد فين؟"

ولم تجيب فهي قد غفت والرواية بين ذراعيها!
أحلام سعيدة حواء المتمرده!!!

الفصل السادس

منذ القدم و الرجال يسألون، والنساء يدلين بإجابات كاذبة، ومع ذلك لم يتعلم الرجال بعد!

"بيكر برينر"

الكذب صفة ليست حكراً على الرجال، لكنها صفة تبدع فيها النساء وتبررها دوماً بأنها كذبات بيضاء لكن في حقيقة الأمر هي كذبات من أجل الإستمرار، من أجل الهرب، من أجل الحصول على ما تريد، تعددت الأسباب والكذب واحد!

"ما قريتش"

كانت إجابتها التي طبعها صباحاً عندما إستيقظت لتجد رسالته المتعجرفة يسألها إلى أين وصلت؟

ألم تخبره أنها لن تكمل روايته وها هو يحدثها كأن شيئاً لم يكن؟
تركت الهاتف واتجهت إلى الحمام تتابع روتينها اليومي ونظرت لعينيها المتورمتين من البكاء ولعنته في سرها
لا يستحق!

وهي لا يجب أن تبكي بعد الآن، حتى وإن كان حزناً ووجعاً، فهو واهم إن تخيل أنها قد تبكي لأجله أو تبكي حبه، فهو لم يعد له مكان في قلبها
أحياناً تتعجب من قدرتها على تجاوز ذلك الحب الذي غمرها يوماً، تتعجب كيف إستطاعت؟!

وتجد إجابتها في جرح كرامتها، لو كان جرح قلبها لإستطاعت الشفاء والساح لكنه طعن كرامتها، أهانها بكل كلمة عشق ألقاها على مسمعها ونفس الكلمة على مسمع

إمرأة أخرى، فقدت القدرة على تصديقه فصار كل ما يخبرها به محض كذب تجافيه
الحقيقة تماماً، فهو خائن، كاذب ولو صدق!

عادت إلى حجرتها تنظر من خلال ملابسها وكعابتها كفتاة، خزانها تمتلأ بالعديد من
الملابس لكنها صباح كل يوم تشعر أنها لا تجد ما ترتديه ولا تعترف بكثرة ملابسها
إلا يوم تنظيف الخزانة!

إرتدت ملابسها عندما سمعت الصوت المميز لوصول رسالة لهاتفها ففتحتها:
" حوا، متكذبيش "

وكم تكره عندما ينعثها بجواء، تشعر أنه يسخر منها، فقررت أن أقوى رد هو ألا
تجيب!

يظن نفسه ساخراً؟

فلتستمع بالتجاهل سيد آدم!

وتجاهل كل شيء!

يريد أن يعلمهم درساً، وأصبح يتخذ الضغط وسيلة، ووالدته يقتلها القلق، فقد قارب وقت الفجر وهو لم يحضر، هاتفه مغلق، القلق ينهش قلبها فقررت الإتصال بشقيقته التي فزعت لجرس الهاتف بذلك الوقت ووالدتها تسأل بقلق:

- عامر عندك؟!

- عامر؟ لا! هو مجاش البيت لحد دلوقتي؟

والإجابة بالنفي لينتقل القلق إلى الجميع، شقيقته تهاتف أصدقاءه ووالده وزوج أخته يبحثان بالأقسام والمستشفيات ولا أثر له، وهاتفه يجيب باستمرار أنه مغلق!

- تعرفي رقم البنت اللي بيكلمها؟

تسأل زوجها لتحرك رأسها نافية، فرما هي تعلم أين هو!

- أنا أعرف بيتها، هروح لهم!

قالتها والدتها بتصميم ليوقفها زوجها:

- تروحي فين؟!، هزروح نقول للناس هو إبننا عندهم؟!

ورغم عقلانية كلماتها لكن وسط عاصفة القلق لم يعد هناك مجال للعقل، فقد إنهارت أعصاب الجميع وهو ما راهن عليه من البداية ليفتح هاتفه ويتركه منتظراً إتصالهم!

- جرس!

قالتها شقيقته بنبرة أمل أن يجيها وقلق أن يتحطم على صخرة خبر كارثي لكن أتاها صوته:

- أيوه يا مها!

قالها بهدوء تام لتنفجر به:

- انت فين يا سعادة الباشا من إمبارح بابا وماما هيتجننوا؟!

- في إسكندرية

أجابها لتتسع عيناها في دهشة:

- بتعمل إيه هناك؟!

- سافرت، أنا مش صغير ولا عيل تقبلوا عليه الدنيا لو غاب يوم.
 - إستمع الجميع لصياحه ولاحظت تحول ملامح والديها لغضب ممتزج بالأم..
 - هترجع إمتى ؟
 سألت بهدوء محاولة السيطرة على وضع قابل للإنفجار:
 - لما يجي لي مزاجي.
 وأغلق الهاتف بوجهها لتلتفت للجميع، ولا تدري ماذا تقول، فالصمت كان الخيار
 المتاح!
 عادت بعده لمنزلها وجلست لا تدري ما عليها أن تفعل:
 - يعمل كل ده عشان الهانم ... بيقهر أمه وأبوه ويبوط أعصابنا عشانها
 قالت بغضب وهي تتحرك جيئة وذهاباً، كل شيء مؤخراً كان يضغط على أعصابها،
 وانفجرت في البكاء ليتجه نحوها ويحيطها بذراعيه لتتعلق به وتزداد بكاءً..
 - بس يا مها، إهدي، مش إتضمنتي إنه كويس وخلاص، هو مش صغير
 - أنا تعبت أوي يا عمرو
 قالتها وهي تنظر إليه بعيون دامعة، تخلت عن عنادها، وضعفها وحيرتها تؤلمانه وهو
 يرى العتاب واضحاً بعينيها..
 - بعد الشر عنك من التعب، متزعليش يا مها، أنا مش بأقسي عليك، إنتِ بس
 بتوحشيني، مش قادر أستحمل شريك ليا فيكي، ده أنا بغير من يزن!
 أخبرها وهو يبتسم لتحمر وجنتها وتطالعه بعيون عاشقة:
 - أنا كمان كنت عنيدة، بس أنا لما بنجح في حاجة ببقى شغوفة أوي بيها وفي نفس
 الوقت مش عايزة أزعلك.
 ضمها بين ذراعيه معلناً اعتذاره وإهتمامه، ومنذ فترة لم تشعر بذلك القرب مجدداً،
 قرب أعاد شعلة عشقها تتوهج من جديد وهكذا كان حالها صباحاً بمكتبها متوهجة،
 مشرقة ولم تكن تعلم المفاجأة التي كانت بانتظارها!
 - وشك ولا وش القمر ؟

إلتفتت بدهشة لتتسع إبتسامتها بدهشة:

- غرام؟!

- قلت أجي أفنك، حفتح سنتر تجميل كبير وطبعاً مفيش أحسن منك يعمل لي الحملة الدعائية بتاعته.

- بس كده يا ستي ده إنتِ تؤمري

أجابتها إبتسامة وأخرجت ورقة لتدون الملاحظات:

- إيه بقي الخطوط العريضة؟

سألها لتتجاهل غرام سؤالها وتطرح سؤال آخر:

- سييك من ده دلوقتي، أنا عايزة أعرف سر الضحكة والوش المنور ده، إيه إتصالحتوا؟

إتسعت إبتسامتها بهيام ووضعت القلم من يدها:

- عمرو طيب أوي يا غرام، ساعات بحس إن ربنا عوضني بيه عن كل حاجة وحشة، حنين وعمره ما كان قاسي، حتى لما بنتخايق مبيقشاش، دايماً بيستحمل جناني وعصيتي..

تخبرها بنبرة عشق خالصة والأخرى تبتسم بهكم:

- هتفضلي طول عمرك هيانة وهبلة، بس إيه واضح أن المصالحة كانت من نوع خاص! إتسعت عينها لها واحمر وجهها خجلاً:

- غرام!

نهرتها وهي تنظر حولها تخبرها أنهم بمكتبتها..

- خلاص يا سندريلا بس أنا مش هتنازل عن التفاصيل.

وتفاصيل قصة عشقها حضرتها غرام قبل أن تبتعد، فلطالما كانت حافظة أسرارها فيما يتعلق بعمرو، فهي تخبرها بكل شيء، تطلب نصحتها ومشورتها، فقد كانت غرام هي دليلها لعالم العشق!

وهي لا تدري إلى أين تذهب ؟
تبقى ؟!، تغادر ؟!، هي فقط تختنق ، وأضحى حالها الصمت التام وهي تستمع لوالدتها
تصيح بزواج أختها وتسمعه وإبلاً من التوبيخ:
- هتعمل علينا راجل ؟، لا يا حبيبي أولك وأحرك عندنا يا ابن فتحة وأنا بنتي مش
هترجع بيتكم ده ثاني وأولادك عندك وهتطلقها وأجوزها سيد سيدك!
وكالعادة، والدها لا رأي له فوالدتها هي الأمر الناهي، قاعدة يعلمها جيداً منذ خطبتهم
وزواجهم الذي استمر لعشر سنوات.
- يا أم ميادة، أنا راجل ميصحش الكلام ده
وتلك المرة لم يأتي الرد من والدتها، بل ممن خرجت من الغرفة بضحكة رقيقة وتهكم
واضح:
- بس متقولش راجل يا عنيا، بلا خيبة خليني ساكنة!
طالعها بغضب ونظر لوالدتها بلوم:
- عاجبك كده يا أم ميادة ؟!
- من اللي شايفاه منك، بص بقى نجيب من الآخر، بنتي مش هتعيش مع أمك في
بيت واحد والعقبة أختك العانس ملهاش دعوة بيبا والغيرة اللي مقطعة قلبها منها
تخليها لنفسها ورجلها متعتبش بيت بنتي!
واستمرت وصلة الجدال لكن لنكن منصفين، هو الطرف الأضعف وهن يملين
الشروط من منطلق قوة.
إستلقت سمر على السرير بجوار أختها الشاردة وهي تعبت بهاتفها:
- أمك وأختك واخدين جابر غسيل ومكوة برة.
إلتفتت إليها ولم تعلق، فلا مجال للكلمات بتلك الحياة التي تعيشها، هي تود الخروج
من تلك السيطرة وغادرت إلى الشرفة وهي تحمل هاتفها تتصل به:
- عامر، متتخلاش عني، أنا محتاجاك.

والجملة بدموعها مزقت قلبه، فلا يمكن للدموع أن تكذب، لا يمكن لنبرة الألم أن تكون مزيفة!
لكنها صدرت عن امرأة، حواء تحترف الدموع، تتقن الكذب ببساطة لأنها تصدق من داخلها أن كذبتها حقيقة واقعة!

- حقيقة إيه ؟

تساءلت بدهشة وهي تجلس أمامه عندما جلس على الكرسي المقابل لها:
- حقيقة خطيبك، طبعاً دي حياتك الشخصية وأنا مش من حتي اتدخل بس إنت ليك معزة كبيرة عندي يمكن كانت السبب في إني أغفر كذبتك.
- كذبة!

قالتها بإعتراض وهبت واقفة على وشك الإنصراف ليمسك برسغها ويوقفها بل يعيدها لمقعدها بتملك سمحت به تماماً:
- أقعدي يا بسمة.

وفعلت ما أمرها لكنها أشاحت بوجهها تبدي إعتراضاً:
- هو خطيبك خريج هندسة دفعة كام ؟
إلتفتت مرتبكة تبحث عن كذبة حاضرة في ذهنها لكنها لم تجدها فهو بادر بوضع الحقيقة أمامها:

- أنس زين السعدي دبلوم صناعي
ونكست رأسها والدموع تتجمع بعينها فهي أرادت لتلك الحقيقة أن تبقى طي الكتمان ولكنه يواجهها بها:

- بتحببه لدرجة إنك تكديني ولا هو اللي كذب عليك ؟
كذبة جاهزة وضعها أمامها وأرادت أن تخبره بها لتظهر بمظهر الضحية لكن الجالس أمامها يضعها بإختبار لن تفشل به:

- أنس جارنا في حارتنا، أنا ساكنة في حارة وأهلي مش معاهم فلوس تعليمي بس هو معاه وهو عايز الدكتوراة، صفقة بيععوض بيها نقصه وأنا إضطريت أقبل عشان أتعلم،
كنت أعمل إيه ؟ أرفضه وأنسى حلتي ؟

ينظر إليها وهي تقص عليه ما حدث ودموعها تهمر فناولها محرمة ورقية:
- ممكن متعيطيش، أنا مكانش قصدي أضايقك بس قلقك إنك تكوني مخدوعة.
حركت رأسها نافية وهي تمسح دموعها:

- أنا مش مخدوعة، أنا أسوأ من كده بكثير، أنا مجبورة، بابا في كل الأحوال مكنش هيرفض أنس، لإن في حالتنا أنس ميفضش.
وقصت عليه نصف حقيقة مفعمة بالكثير من الأكاذيب، قصة بدت بها الضحية التي يتم إستغلالها ولا محرب لها سوى الإستمرار، هي لم تخدع، هي لم تكذب، لم تراوغ، لم تستغل، لم تتلاعب بمشاعره، هي ضحية، وهي بالفعل كذلك بنظر نفسها!

حتى وإن كانت حواء لا تكذب فهي يستعصي عليها قبول الحقيقة خاصة وإن كان قلبها يرفضها، والدتها وضعت أمامها الأمر واضحاً هي ستعارض زواجهما منه، فإن حدثت معجزة من السماء وتقدم لخطبتها فستكون والدتها عاتقاً!

- مؤمن مش وحش

قالتا بسذاجة، فهي لا تعلم عنه شيئاً بل لا أحد يعلم عنه شيئاً، حياته داخل حدود الحارة تختلف عن خارجها..

- ومش شايفك يا نورا، مش حاسس ومش مسنتيكي زي ما إنتِ مستنياه وموقفة حياتك عليه، تقدري تقولي لي إيه عيب سامح ابن عمته؟
أخفضت بصرها واختلط جوابها بألم قلبها:

- مبحوش، مقدرش أعيش مع واحد مبحوش والأوحش إني مقدرش أعيش مع واحد وأنا وأنا بحب غيره!

همست بإعترافها الأخير بخجل وغادرت لغرفتها لا تدري ما عليها أن تفعل، هل كان عليها أن تخبره؟! تلفت إبتهاه لوجودها؟! هي أكثر خجلاً من أن تفعل، وهل عليها أن تتزوج وقلبها معلق بآخر؟!

هي لم تعتد الكذب ولن تقو أن تكذب على نفسها، فلتواجه الحقيقة..
هي تحبه للغاية، حقيقة تؤلمها بشدة أفضل من كذبة تقتلها ببطء!

ومعها هي وحدها إختلط الكذب بالحقيقة وحاولت أن تفصلها، رغم صراحتها حد
الوقاحة تبقى كاذبة بارعة، فيها هو يقف أمام البحر صباحاً عندما شعر بذراعيها تلتفتان
حواله واقتربت تهمس في أذنه جملة لم يتوقعها في أسوأ كوابيسه:

- أنا حامل!

إلتفت مسرعاً يواجهها وشعور واحد سيطر عليه، صدمة تجتاحه وتظهر بوضوح على
ملامحه!

حامل!، مليكة أم لطفه؟!!

- إزاي؟

إنطلقت ضحكاتها واقترب بوقاحة تعتادها:

- ممكن أشرحها لك لو تحب.

- مليكة!

صاح بها غاضباً فهي تعبت وهو أعصابه كلها تحترق، صاعقة لا يدري معها ما يفعل
عندما إنفجرت في الضحك ليدرك كذبتها!

- يخريت هزار أهلك

وانصرف لتتبعه وهي تضحك وجذبتة من ذراعه:

- هنروح نتسلق الجبال، جاهز؟

- مش رايح

- خايف عليا عشان البيبي

لازالت تسخر بكذبتها التي أرعبته وهي تمسك بذقنه، فأبعد يدها حانقاً وكاد ينصرف
لتقف أمامه:

- سيدرا رايحة ولا إنت نسيت إحنا هنا ليه؟

سيدرا، فتاة الرهان الجديدة، مغرورة، متعجرفة، تخشى المرتفعات ونوعه المفضل
خائنة!

وبالفعل كان الجميع عند تسلق الجبال وهو يتجاهلها فتشتعل، هي امرأة تحب أن تكون دوماً محط الأنظار وهو يتحدث مع الجميع وبمازحمهم، يساعد كأنه المسؤول الأول والأخير ولا يهتم بها والبداية غضب يراه بعينها ويتسم بهم، ومع تسلقهم الجبل بدأت هي الأخرى بتجاهله والتفت ينظر للمليكة ويتذكر وقتاً لم يكن بعيداً..
- أنا نفسي يبقى عندنا ولاد كثير، عارفة يا مليكة أنا بكرة أوي إن أنا ولد وحيد، عايز أخلف عيال كثير أوي.

إبتسمت بسعادة وطالعت الأرض بخجل بينما هو ينظر إليها ويعترف أنه يعشقها، حقيقة لا كذب، بها وانتزعت من ذكرياته صرخة فقد تعثرت سيدرا وكادت تسقط ليمسك بيدها ويرفعها وهي في حالة من الرعب لتجد نفسها تقف على الصخرة معه ونظراتها المرتجفة تقابل عينيه بإبتسامة هادئة:

- خدي بالك

كلمة واحدة ألقاها إليها قبل أن يكمل طريقه وتكمل خطته بإستمرار تجاهلها، حتى بحفلة المساء كانت هي تتوق للتعرف إليه، حتى أن صديقاتها لاحظن ذلك!
- بتبصي على مين ؟

- ها ... مفيش

إبتسمت مليكة وهي تتجرع شرابها دفعة واحدة:

- انت كده بتتقل بزيادة

- اصبري

وغمرة تبعثها مغادرة متوجهاً نحو سيدرا التي إستعدت للحديث معه ليتجاوزها ويقف أمام الفتاة خلفها، حديث قصير وضحكة لم يكن يحتاج أكثر منها ليجذبها لحلبة الرقص وتشتعل سيدرا غضباً لتغادر الحفل، بينما مليكة تتابع الأمر بإبتسامة ويعجبها ما ترى.

- معلم!

هي من صنعته ويعجبها ما صنعت بسلسلة من الأكاذيب أدت إلى حقيقة لا يمكنها إنكارها!

" حقيقة لا تدري كيف تواجهها؟ "

فبالأمس فقط أخبرها بحقيقة صدمته قبل أن تصدمها:

- علا، إحنا لازم نتطلق!

طالعت بصدمة لا تقوى معها على أي رد.

- أنا لسه جاي من عند الدكتور

هو جلس أمام الطبيب ليطلع على نتيجة التحاليل..

- تحاليل مدام علا سليمة بس للأسف تحاليل حضرتك بينت مشكلة وكان لازم تتعالج من زمان.

- يعني إيه؟

- حضرتك إتأخرت في العلاج ونسبة الشفا ضعيفة بس إحنا هنبداً علاج فوراً وإن شاء الله خير.

غادر حائراً كأنه فقد السبيل، بل فقد أعلى من ذلك فقد الشعور، الإمتداد، لن يكون يوماً أباً!، حقيقة أخبرها بها وما كان ليخفيها!

- وده السبب اللي هنتطلق عشانه؟

- إنت من حقت تكوني أم وأنا مش همنعك من الحق ده.

وملأت الدموع عينيه ومعها لم تجد حلاً سوى أن تضمه بين ذراعيها، تحتوي وجعاً صار واضحاً للعيان، وعجز الرجال موجه لدرجة لا يتخيلها أحد، النساء يحق لهن البكاء، الإنهيار والإنكسار، أما الصمود، الصلابه وقناع القوة، فهو للرجال، للرجال فقط!

الفصل السابع

التوقيت مهم للغاية بعالم حواء، التاريخ والساعة والثانية، كل يوم له أهميته وتاريخه وذكره التي لا تغيب عن بالها أبداً

ذكرى عيد ميلادها، زواجها، عيد مولد زوجها، عيد الحب، وغيرهم من الأساسيات التي تتفرع منها ذكريات أخرى خاصة حين يتعلق الأمر بعالمها الرومانسي، فتأتي ذكرى أول مرة إلتقت بحبيبها، أول مرة إعترفا بحبها، وتفاصيل غيرها لتواريخ أخرى، "فالتوقيت" كلمة السر في عالم حواء، إن إخترت التوقيت المناسب يمكنك أن تكسبها أو يمكن أن تخسرها للأبد!!

وهو لم يعتد الخسارة، لم تعد هناك من ترفض، من تقول "لا"، كلمة إشتاق لسماعها ورهانه الأخير حالها كحال غيرها، أتت ورحلت أو بالأحرى هو من ملها بسرعة وأنهى الأمر برسالة إلكترونية:
"خلينا أصحاب أحسن!"

من داخله أرادها أن ترفض، أن تتمنع، ينال منها صفعه، توبيخ، أي رد فعل يخبره أن بنات حواء بقي لديهن بعض الحياء ربما قليل من كرامة، وبالسخرية القدر، أبحث عن من تحطم نظريته؟!

أم عن من تؤكدنها؟!

كلهن هي....

كلهن مليكة!

نفث دخان التبغ الذي يحرق به صدره منذ مدة لا بأس بها، لا يحبه لكنه أحياناً يلجأ إليه خاصة إن كان غاضباً يشتعل.

تاريخ اليوم لا يهم كثيراً، هو فقط أحد أيام يوليو الحارة وهو يقود سيارته وعقله يعود إلى الحفل الذي غادره منذ قليل، حفل أقامه رب عمله

وفي وسط كهذا تختلف حواء عن ما يرى عادة، هنا أغخم الشياب، العطور والمجوهرات، هنا الشقراء والسمرء والصهباء التي أدارت رؤس الجميع كأغخم أنواع الخمر، هنا سوق النخاسة الخاص بالطبقة العليا، هنا تتحدث العيون، والهمسات واللمزات لها الكلمة العليا وهو ويقف يراقب وهي كانت الوحيدة التي لفتت نظره، فهي تبدو مثله لا تنتمي لهذا المكان، كل ما بها ينطق دخيلة، ولو إرتدت حلة الأغنياء، لمحتة بعينها فأبعد نظره عنها، ما حدث مع سيدرا حرق ما يكفي من أعصابه، فهي لا تكف عن الإتصال به، ربح الرهان في وقت أقل من المحدد، الفتاة متلعبة بالفطرة لكنها سقطت بشباك الحب فلتتعذب قليلاً، هو متأكد أنها ستنساه وتتابع حياتها كأن شيئاً لم يكن!

إلتفت ليتبعد عندما وجدها تستند إلى الشجرة التي كان يقف أمامها واقتربت مبتسمة:

- إيه الشياكة دي؟!

وإزداد إقترابها وإبتسامتها المعجبة:

- مز جامد!

وفي علاقتهم كل شيء مختلف فهي العابثة وهو الصامت، هي المعلمة وهو تلميذها النجيب لكنه يبدو في مزاج عكر، مالت ناحيته:

- بموت فيك وانت مبوز

زفر في ضيق لتبتسم بشقاوة والأخرى تشتعل بغيرة تقتلها، هي التي لم يتعد عمرها العشرون سوى بسنوات قليلة واضطرت للزواج من رجل بعمر والدها ولتقف عند إضطرت قليلاً، هي سعت لذلك وتفننت بكل الطرق الممكنة في الإيقاع به لتتحول من كريمة فتاة الحارة لكاريمان هانم في وقت قياسي!

لكن الحياة لا تمنح كل شيء، أعطتها الأموال وسلبت منها شبابها الذي يخبو بجواره، هي بالنسبة إليه مجرد واحة يكمل بها صورته، حالها كحال التحف التي يقتنيها بمنزله، وبينما هي تطالع إبنة زوجها التي تعيش حياتها وتحصل على كل شيء دون أن تتنازل

عن أي شيء تشتعل حيرة وغضباً منها، تلك المستهترة التي ولدت في النعيم ولا زالت تتقلب فيه، قطع أفكارها ذراع أحاطت بخصرها وهو يطالع الموقف بدهشة:

- مزة أبويا الجديدة!

أخبرته تجذب انتباهه إليها مجدداً:

- إيه عجبك؟

إتسعت عيناه في دهشة سرعان ما تحولت إلى غضب:

- إنتِ اتجننتي دي مرات أبوك!

حركت كتفها بلا مبالاة وهي تبتسم ومن داخلها تردد أنه لن يتعلم أبداً!

رن هاتفه مجدداً ليقرر إغلاقه بغضب فقررت أن تجذبه من يده بعيداً وهو يختنق، لكنه معها دوماً تُسلب إرادته، إتجها للداخل ليوقفها فتساءلت:

- مالك؟

"مخنوق، زهقان، حاسس أن الدنيا نفسها خنقاني، حتى الهوى مش قادر أتنفسه"،

جملة أراد إخبارها بها لكنه تراجع، تلك لم تعد هي لن تهتم لما يشعر به:

- مفيش

كانت الكلمة الأقرب وهي لن تسأل مجدداً، لا تهتم فهي تنظر إليه وعيناها

تدعوه دون خجل وإقترابها خير دليل وكلماتها أوضح!

- وحشتني

متملكة، تفرض سيطرتها، تمتلك من الغواية ما يكفي للإيقاع بعابد ناسك لكن تلك المرة كان لقبها هدف آخر، هي أرادت أن تثبت ملكيتها له دون منازع، أرادت أن تشعل تلك التي لمحتها وهي تراقبهم غضباً وغيرة لتبتعد مليكة بإبتسامة إنتصار والنظرات متبادلة بينهما، كريمة حاتقة ومليكة تستعرض ما تملك أمامها بينما هو أدرك الأمر ليندفع إلى الخارج وتتبعه:

- مؤمن! في إيه مالك؟

إلتفت إليها وعيناه تنطق بشرر عاصف:

- في إيه؟! عملا في اللعبة بتاعتك!
- ما أنا كمان اللعبة بتاعتك ولا نسيت؟ احنا الإثنين زي بعض
وكادت أن تمسك بيده ليدفع يدها بعيداً:
- أنا زهقت.. جيم أوفر
قالها قبل أن يغادر مستقلاً سيارته يسير بأقصى سرعة، وكلها لاحقته الذكريات زاد
من السرعة يود الهرب!
كانت تقف بالمطبخ بمشهد رومانسي معتاد ترتدي قميصه وتعد طعام الإفطار عندما
دخل ليحتضنها من الخلف:
- ينفع يعني أصحى أدور على القميص؟
إلتفتت وهي بين ذراعيه:
- أنا مجبك كده
- حاخده!
غمزت بعينها تخبره أنها لا تهتم، فليتقدم وينزعه عنها إن أراد..
- مليكة، تعالي نتجوز!
مجدداً يطلب منها ذلك الطلب ومجدداً ترفض ولا يعرف سبباً لذلك الرفض القاطع أو
حينها فقط لم يكن يعرف والتوقيت تلك المرة لم يكن حليفاً له فلا يدري ما حدث
ولا كيف، فرؤيته كانت مشوشة تماماً بعدما فقد السيطرة على سيارته.

والتوقيت كان قرب الصباح عندما كانت تجلس بشرفتها في هدوء ورأتهم يخرجوه من السيارة بساق تلفها جبيرة وخدوش على وجهه، فو لم يرد أن يفرع والدته فإتصل بأنس الذي حضر مع عامر إلى المشفى ليجده مصصاً على المغادرة فأحضره لمنزل والدته التي ما أن رأتهم حتى أسرع إلى الأسفل بينما هي اندفعت من الباب دون وعي، كل ما في عقلها أن تطمئن عليه، لكن نظرة صديقه إليها جمدها، فهي لفتت النظر بلهفتها!

لهفة استطاع أنس أن يراها ونظرة التعجب التي ألقاها نحوها جمدها، فظلت مكانها حتى غاب الجميع عن نظرها واتجهت للداخل لتجد والدتها تحديقها بغضب فهربت لغرفتها في صمت فتوقيتها لم يكن موقفاً أبداً، توقيت فضح مشاعرها أمام الجميع!

والتوقيت بالنسبة لها كانت قد فقدت السيطرة عليه، فحياتها كلها تداخلت ببعضها ولم تعد تدري ما عليها أن تفعل؟، فهي قررت أن تكون وفارس أحلامها مجرد زملاء، أصدقاء وربما مجرد علاقة بين طالبة ومعيدها، فهي ملك لرجل آخر واختارت الأضمن، فقاسم ابن الحسب والنسب لن ينظر لها يوماً، لن تكون بالنسبة إليه أي شيء، هي تسكن بحارة متواضعة، هي مخطوبة، هي إستمتعت لإعترافه بالحب: - أنا بحبك يا بسمه!

وصمت لا تجد رداً ولا تدري ما عليها أن تفعل سوى الهرب من أمامه واختفت، لم تذهب لجامعتها، بل مستلقية في سريرها مصابة بمرض الحيرة وهو داء لا شفاء منه إلا بقرار هي فاقدة القدرة على إتخاذها، دخلت إليها والدتها:

- مالك يا بسمه يومين مبتروحيش كليتك؟

- مفيش عندي حاجة مهمة

كذبة لن تبتلعها بالطبع، فمذ متى تتغيب عن أي صف دراسي؟ لم يحدث ذلك بحياتها مطلقاً:

- أنس برا!

ولم تكن تحتاج لوجوده لكنها خرجت إليه، وجهها يبدو مرهقاً والحيرة تمزقها، تستمع لحديثه وهي غائبة في عالم آخر، ولم تنتبه سوى على كلمة واحدة منه "شقتنا خلصت!"

أحقاً مر كل ذلك الوقت؟!

إنتهى عش الزوجية الذي سيجمعها معه..

لازالت تتذكر بداية خطبتهم عندما ذهبت لتشاهد تلك الشقة لأول مرة لتجدها لا تزال مجرد بناء..

- إختاري كل اللي إنت عايزاه، دي مملكتك

- مش فارقة يا أنس، أي حاجة!

يراه قنوعة بينما هي في الحقيقة غير مكترثة لما سيحدث ولا تهتم للألوان حوائط ولا أثاث ولا أي شيء، هو يرى زواجهما ميثاقاً قويا وهي تراه صفقة لا يهم نوع الورق ولا لون الحبر، الأهم بالنسبة إليها بنود تلك الصفقة، البنود التي أخلت بها!

ودون إرادة منها ذهبت معه تطالع كل ما حولها كأنها في حلم، لا تتحدث سوى بالقليل، الجميع يظنها مرهقة بينما هي ضائعة وسط زحمة أفكارها، لم تستفق سوى على لمسته لذقتها، رفع وجهها إليه لتطالع عينيه التي لم تكن نظرتها سوى نظرة عاشق:

- مالك يا بسمه؟! محتارة ليه؟

سؤاله كان صدمة أفقدتها القدرة على الرد، ألهذا الحد يستطيع قراءتها؟! لتلك الدرجة هو الوحيد بعالمها الذي يفهم ما بها، لم يرى أحد حيرة عينها سواه، هو من تريد منه عتقاً من أسر كل معروف أسداه إليها، كل عشق يحمله في داخله لها ولم تجد رداً سوى الدموع التي انهمرت بقوة، انفجار كل ما تعانیه من ضغط، والغريب أنها وجدته محتضنها، أيعقل أنها تبكي خيانتها له بين ذراعيه؟

هي خائنة ولو هربت، خائنة ولو لم تتحدث، خائنة، لأنها تخطط للتخلص منه!

- أنا آسفة يا أنس!

نظقتها بلا وعي لكن ربما بقايا ضمير وهو ينظر إليها حائراً، علام تعتذر؟!

- في إيه يا بسمه؟

وماذا ستخبره؟ أنها وجدت عرضاً أفضل، إنه عليها إنهاء التعاقد؟! وماذا لو كانت مجرد لعبة بيد الآخر عندها ستخسر كل شيء، ستكون خسارتها فادحة للغاية ولا أمل لها في العودة:

- أنا آسفة إني كنت بعيدة عنك طول المدة دي، إنت بتعمل حاجات كتير أوي عشاني!

إبتسم إليها بسعادة وهو يمسخ دموعها:

- إنت عبيطة، أنا كفاية عليا انك تكوني مبسوطه، ها إيه رأيك في الألوان؟! إبتسمت وهي تنظر حولها، الألوان والديكورات وكل شيء كما إختارته تماماً.

- تجنن، ربنا يخليك ليا يا أنس
- تعالي بقى أفرجك على أوضة الولاد
إنطلقت ضحكاتها التي تسعد قلبه، فإبتسامة واحدة منها كافية لتعديل مزاجه طوال
اليوم، واتجهها معاً إلى الغرفة، هي ترسم تخيلاتها وهو يستمع ويقرر التنفيذ، لكن
التوقيت بحياتها متداخل، فبينما هي على تلك الحال وصلتها رسالة منه يسأل عن
سبب غيابها فتجاهلته حين، فهي لن تستطيع الرد ولا تقوى على التجاهل!

تجاهلها مراراً، لكنها أصبحت تسيطر على كامل حياته، فمذ أن تحطمت حياتها استولت على حياته!

- غرام إتطلقت!

أخبرته زوجته بأسى وهي تجلس بجواره، و لنكن منصفين هو لم يعر الخبر أي إهتمام.
- جوزها ندل طلقها وخذ منها كل حاجة وسابها من غير ولا مليم لولا شقة مامتها ومعاش باباها مش عارفة كانت هتتصرف إزاي!

هي تسرد القصة بمنتهى الأسى وهو بالفعل متأثر لضياح الهجمة المرتدة لفريقه المفضل هي تسرد وتحكي و جووووول!

صاح بها لتضيق عينها في غضب: جول! هو أنا بكلم نفسي ؟
إلتفت إليها مستدعياً كل الصبر بداخله: يا موهي يا حياتي أنا سمعت إن غرام اتطلقت ولو مسبتنيش أكمل الماتش مش هتبقى غرام لوحدها!

عقدت يداها إلى صدرها وزمت شفتيها كطفلة وأمام مظهرها لم يملك سوى أن يبتسم: كبري دماغك يا مها، الجوازة كانت غلط من أولها لأخرها فأحسن انها خلصت منها!

تخلصت غرام من زيجتها ولم يتخلص هو منها، أصبحت مقيمة بمنزله، فقد وصل ليجدها لازالت بالمنزل و مها لم تعد بعد.

- أنا آسفة يا عمرو بس مها لسه مرجعتش

- آسفة على إيه، احنا اللي تاعينك معانا، خدي راحتك

وبقي حبيس غرفته طوال اليوم يكاد ينفجر، ومن بالخارج تتعامل كأنه منزلها، زوجته استبدلت نفسها بأخرى، أخرى يكرهها ويكره نظراتها وحركاتها وكل ما بها، ببساطة هي تمثل معضلة بالنسبة له، فهو يتذكر ذلك اليوم جيداً منذ أسبوع، إستيقظ ليجد مها غير موجودة والصغير بالحضانه فاتجه للحمام محاولاً استعادة نشاطه، وخرج كعادته عاري الجذع عندما سمع صوتاً بغرفة النوم فابتسم بخبث! لا بد أنها عادت ولن يتركها تغادر وما كاد يشعر بها تغادر الحجرة حتى جذبها يحيط خصرها بيديه:

- رايحة فيب!

وتوقفت الكلمات بحلقه عندما وجد غرام هي بين ذراعيه، ملامحها قريبة للغاية لأول مرة، عيناه بعينها، بينما هي تنظر إليه في صدمة، وجنتاها تشتعل ونظراتها تطالعه عندما إبتعد بإرتباك معتذراً:

- أنا آسف، إفتكرت إن محما....

تنحنحت وحاولت إستجاع قواها وهي تنظر لهيئته وتحسد زوجته لاريب في ذلك، أخفضت بصرها بخجل مفتعل:

- حصل خير، محما كانت نسيت ورق وأنا جيت أجييه لها!

واتجهت إلى الباب وقبل أن تغادر ألقت نظرة خاطفة وتمتمت:

- بنت محظوظة يا محما!

ومنذ تلك الحادثة التي لا تعلم زوجته عنها شيئاً ووجودها الزائد يؤرقه، فهي تجلس مع الصغير بينما محما في العمل، ترتب المنزل ووصل الأمر لإعداد الطعام وهو انفجر:

- هو أنا التجوزت غرام وأنا معرفش؟

صاح مشعلاً غضبها:

- كل ده عشان بتساعدني، إنت ليه مصمم تضغط عليا وتقتل طموحي؟

عادة حواء تهمة بمحاولة قهرها والجدال عند تلك النقطة عقيم لكنه لم يتوقف:

- أنا؟! طموحك اللي أنا اتنازلت عشانه كثير وأخرها سفريه دبي لكن إنتِ مفيش

حاجة بتكفيكي ولا بتشوفي غير اللي إنتِ عايزاه وهي كلمة واحدة، غرام متدخلش

البيت ده ثاني إلا زيارة!

وغادر ليتركها تلعن ديكتاتوريته بحماقة أثوية ولا تدري أنه يحاول أن يحافظ على

حياتهم، هو يخاف من زلة قد تقضي على كل شيء، زلة باتت وشيكة!

سبعة أيام، لكنها مرت عليها كدھر، فوالدتها تفرض عليها حظر التجول بصراحة:
"متطلعيش عند أم مؤمن طول ما هو فوق!"
جملة صريحة وواضحة تركبتها تعاني منذ أن رآته مع صديقيه وساقه ملفوفة بتلك الجبيرة
وهي تتوق للإطمئنان عليه.
- نورا!

نداء والدتها التي خرجت لتجد والدة مؤمن بالباب.
- اطلعي يا حبيتي مع طنط ليلي، هتساعدني في حاجة
- معلش يا نورا أصلي مبلوخة تعب مؤمن والصحة مبقتش أد كده
أومأت برأسها ولحت والدتها تلك الإبتسامة التي حاولت جاهدة أن تخفيها لكنها
فشلت، فحصلت على نظرات غاضبة من والدتها تحذرنا وهمة متوعدة:
- إياك تتأخري

وصعدت مع والدته التي ما أن فتحت الباب حتى وجدته يستند للجدار:
- مش الدكتور قال مندوسش على رجلك، إنت عنيد
هتفت والدته وهي تقترب منه تساعد على الجلوس ونورا إتجهت من فورها للمطبخ
ووقفت تراقب كم النصائح التي تلقينا والدته على مسامعه وهو لا يعترض ونظرة
خاطفة تجاه المطبخ وجدها تختلس النظر فلوح لها لتهرب مجدداً، كأنها لعبتهم المفضلة،
بل لعبته فهو يضحك من خجلها وارتباكها ويتساءل متى ستفقد تلك البراءة؟!
براءة تجعلها تعشقه وتتألم لساع قصة خطيئته القديمة من والدته قصة تعلم نصفها فقط
ولا تعلم انه لقتها درساً ستتذكره طوال عمرها.

- معلش يا نورا خدي الأكل ده لمؤمن لحد ما أسخن الشورية
حملت الصينية واتجهت لغرفته وهي تضع قناع الجدية..
- إنتِ فتحي محل ديليفري؟!
متهكم ساخر وحصل على نظرة باردة كادت تغادر على إثرها ليمسك رسغها فتلتفت
محدرة:

- إيدي

رفع يده عنها لتلقي له بتحذيرها:

- متمسكش حاجة مش بتاعتك

لأول مرة يراها تدافع بشراسة أعجبته، فعاد يضغط على يدها مجدداً:

- قولي الباسورد وأنا أسيلك!

العابث في مواجهة الخجولة التي تحاول إدعاء القوة وانتهى المشهد بدخول والدته التي بدا عليها الغضب فترك يدها ولم تنتبه لها والدته فهي حائقة للغاية ممن حضرت تسأل عنه وهيئتها وحدها كانت كافية بإشغالها، ملابس فاضحة، زينة صارخة وخصلات ذهبية تركتها حرة، فهي تعشق الحرية فتركها تنسدل بتمرد!

- في واحدة عايزاك برة

إتسعت عينيه في صدمة، لم يصدق وهو يجدها تدخل من الباب بإبتسامة مترنة ونظرة شقية، توقيتها لم يكن مناسباً بالنسبة له، أما بالنسبة لها فالتوقيت مثالي!

أما توقيتيه هو فلم يكن كذلك!
هو حضر لجامعتها ليقبلها على غير عادته وما كاد يصف السيارة حتى وجدها تجلس
بسيارة أخرى، ظل يطالع الموقف، كانت تبكي رغم انه لا يسمع من كلماتها شيء!
- قاسم، أنا كدة خاينة

- سيبيه يا بسمة

قال لها لتنظر إليه بعيون دامعة:

- خايفة، خايفة تكون بتلعب بيا

مد يده بمسح دموعها وهمس بهدوء وتمهل:

- أنا بحبك

وما كاد يقترب منها حتى لمحت من يقف يراقب الموقف بأكمله، فانتسعت عيناها في
رعب!

هي وجهاً لوجه معه ولا محرب، حياتها المثالية تنهار وخسارتها لكل شيء واضحة من
نظرتها، خسارة مستحقة!

وكان توقيتاً مثالياً ذلك الذي دخلت منه من الباب لتجد والدتها تخبرها أن لديهم
ضيف!

- قاعد في الصالون، إدخلي له

اتجهت للصالون لترى ذلك الضيف المنتظر، وتتسع عيناها في صدمة من تلك الجراءة
التي يتمتع بها ليظهر بمنزلها!
- آدم!

الفصل الثامن

إذا أردت أن تكسري رجلاً إجعليه يقع في الحب!
الرجل لا يقع في الحب بسهولة، الرجل يعجب، يرغب، يريد، يمتلك، لكنه إذا عشق
فقد السيطرة!

سبعة أعوام كان داعماً، سنداً، أماناً واحتواءً، سبعة أعوام قدم كل ما لديه، سبعة
أعوام كان عاشقاً، سبعة أعوام داستها بأقدامها!
لا يدري كيف تمالك أعصابه لتترجل من سيارة قاسم وتتوجه نحوه:
- أنس، أنت فاهم غلط أنا

تقدم قاسم نحوه بهدوء محاولاً أن يكون دبلوماسياً:
- بشمهندس....

ولكمة كانت ما أوقف الكلمات مجلقه لتقف بينها وتصبح به:
- أنس!

- إطلعي العربية!
أمر لم تستطع أن تناقشه به، فنظرته جنونية لأبعد حد وتقدم حرس الجامعة نحوه
ليوقفهم قاسم:
- سيبوه!

وغادر محاولاً ألا ينظر حتى إليها، يضغط على فرامل السيارة بأقصى درجة، يمسك
بعجلة القيادة وتكاد تنكسر تحت قبضته، هو ثائر، وكبركان انفجر بمنزل أهلها!
- ممكن تسمع؟

كانت البداية لها ليجذبها من ذراعها:

- أسمع! أنا شفت ... شفت يا دكتورة يا بنت الأصول
ولم تعد تحتمل فلن تسكت على إهانتته:
- أنا بنت أصول غصب عنك

- بسمه!

صاحت بها والدتها التي تعلم جيداً أنه لابد أن إبتها فعلت شيئاً:

- في إيه يا أنس؟

سألت ليصبح بغضب هادر:

- بنتكم الأنسة المحترمة جايها من عربية واحد!

ومع نظرات والدتها الذاهلة لم تجد أمامها سوى الهجوم خير وسيلة للدفاع:

- اخرس، أنا محترمة غير القذارة اللي في دماغك، ده المعيد بتاعي وكنت بكلمه بخصوص الإمتحانات.

كاذبة فهو رآها تبكي ورآه يمسخ دموعها، هي تُكذب ما رأى أمام عينيه:

- إنتِ كذابة، أنا شفتك بعنيا، إيه اللي بينكم؟! انظقي

إتجهت والدتها نحوه محاولة تهدأته:

- إهدا بس يا ابني واقعد، يمكن انت فاهمها غلط

- إنتِ بتبرري له يا ماما؟

وهي تدرك أن الأمر قد يتحول لفضيحة ولو وصل الأمر لوالدها لقتلها في التو!

- اسكتي خالص غلطانة وبتتكلمي

- لا أنا مش غلطانة، هو اللي يبشك فيا

لازالت تضعه بخانة المذنب والمتهم بل وتمادت:

- عايز تكسر عيني يا أنس، عايز تذلني وابقى مكسورة ليك، زي زمان لما قلت لي

تنجوز واخليك دكنورة، دلوقتي لما لقيتني بأكبر وبقى أحسن عايز تكسريني؟؟

لم يتوقعها بأسوأ كوايسه! أن تخبره أنه يريد كسرهما ولم لم يرد يوماً سوى سعادتها،

كيف أضحى هو الجاني وهي الضحية؟!

وحدها حواء تستطيع قلب الأمور وتغيير الأدوار بتلك البراعة!

- أنا! أنا عملت كل حاجة عشانك!

- إنت عملت كل ده عشانك، بتعوض بيا نقصك، عايز تأخذ الدكتوراة المتعلمة المثقفة
لكن ده مش هيغير حقيقة إنك ميكانيكي جاهل وهمجي!
صاحت بغضب بغرور لكنها أغلقت عينيها خوفاً من يده التي إرتفعت وتوقفت في
الهواء!

- عندك حق أنا همجي، بس الهمجي ده كان ممكن يعرفك الهمجية على حق بس
إنّ متستاهليش إني أقص من رجولتي بسبب واحدة زيك ، إنتِ طالق يا بسمه!
كلمة واحدة أنهت الموقف، ساد الصمت، أطلق سراحها، أنهى عشقه واكمل الكسر!

كسر بساقه كان السبب الذي لم يحضر من أجله للعمل، وبشقتها كان عماد يرتدي ملابسه وهي جالسة على السرير تنظر إليه بلبل، سئمت علاقتها معه بل سئمتها تماماً وقررت أن الليلة الماضية كانت الأخيرة بينها، قرار لن تجربه به فهو لديه معلومة تريدها، إلتفت إليها وهو يغلق أزرار قميصه:

- عنوان بيت مؤمن؟!

- بيت والدته

ملجأه الذي يحتوي به وجعله منطقة محرمة عليها تماماً لكنه تخطى حدوده لإنهاء الأمر فلتخطاها هي الأخرى، وهل كان لها حدوداً يوماً ما؟!

هي دخلت تحت أنظار الجميع، والدته غاضبة، نورا حائرة وهو في صدمة!

- أنا آسفة إني جيت فجأة بس dad قلق جداً على مؤمن ومكانش عارف يوصل له!
مثلة قديرة لكنه لا يخطيء نظرتها التي تجربه أنها حضرت من أجله ونظرتها ناحية نورا بإبتسامة:

- أخت مؤمن؟

توقفت الكلمات بحلقها وأجابت والدته بدلاً عنها:

- دي نورا جارتنا، في مقام بنتي

- تشرفنا

مدت مليكة يدها تصافحها وعيناها تنطق برهان جديد ونوع مختلف تماماً، وعملاً بقانون إذا حضرت الشياطين إستأذنت نورا لتتنصرف وصورة الفتاة لا تفارقها، شقراء بملابس فاضحة، نظرات جريئة وثرء فاحش وهي بالنسبة لها صفر، في عالم النساء مليكة تريح، مليكة دوماً تريح!

إستأذنت والدته هي الأخرى لتحضر لها ما تشربه، ليعتدل في جلسته بغضب:

- إنتِ اتجننتي؟

إبتسمت وهي تجلس على طرف السرير ويدها تتلمس ساقه صعوداً بعث:

- وحشتني، مقدرتش أبعد عنك

إقترب يمسك برسغها غاضباً:

- متلعبيش معايا بقذارة

وابتسامة ساخرة ارتسمت على شفثتها:

- تحب نلعب إزاي؟

وترك يدها بغضب ولم يجيبها، عندما قررت هي أن تبادر:

- بسكوتة جداً البنت اللي كانت هنا دي، نورا، إسمها حلو ورقيقة وهتطب بسرعة!

تتحدث عن رهان جديد ونورا محوره!

- إنتِ مش شايفة منظري؟

إقتربت أكثر بوقاحة، كعادتها لم تعد تفاجأه:

- سلامتك يا حياقي، لو كنا في مكان ثاني كان زمانا

وقطع كلاهما دخول والدته لتبتعد بإبتسامة عابثة من ارتباكها:

- كان زمانا رحنا لدكتور كويس يطمئن عليك، مؤمن غالي عندنا كلنا يا طنط.

أومأت والدته برأسها وفرضت إبتسامة مفتعلة وهو يدرك هذا، فعينها تشتعل بنيران

غاضبة، فهي تكره تلك الفتاة وتكره إقترابها من ولدها.

- أنا مضطرة أمشي

وأخرجت قلماً من حقيبتها وخطت على جبيرته جملة واحدة:

"let the game begin"!

لعبتها التي لن تتخلى عنها مهما حدث، هي خطت قواعدها وقوانينها بدقة، والقاعدة

الأهم أنه لا قواعد!

أحصل على ما تطاله يداك، تمتع بما تستطيع الوصول إليه، كن أنت من تهني الأمر،

واياك أن تكون عاشقاً، وحدها الرغبة هي محركك الأول والأخير، الرغبة زائلة

والعشق دائم!

وكعادتها أحدثت فوضاها وغادرت لتتركه ووالدته ونظرات متبادلة أنهاها بهروب
للنوم، فزيارتها أريكت كل حساباته، دقت ناقوس الخطر بداخل والدته وجرحت
قلب عاشقة لازالت على صمتها!

- زيارة مفاجئة مش كده؟
- دهشتها تمتزج بفرح غريب وغضب من غروره وثقته الزائدة!
- لا أبداً، شرفت
- نبرة رسمية وهي تجلس على الأريكة بثقة لا تعكس الفوضى بداخلها.
- قلت أجي اتظمن عليكى، مبتزديش ليه؟
- أنا بخير، كنت مشغولة شوية، عرضت الرواية على دار ثانية؟
- تساءلت تقطع خط الكلام بينها، هي تهاجم وبقوة وتضعه بخانة الدفاع!
- أنا مش مهم عندي الدار ولا نشرها المهم عندي إنت.
- إتسعت عينها ودفاعها بشراسة:
- أفندم؟!
- بطلي تسرع، أنا مهم عندي إنك تقتنعى
- وصمت طویل، صمت طال كثيراً..
- قريتي لحد فين؟!
- مستفز، مغرور، بل مجنون للغاية!
- وقبل أن تقوم بطرده دخلت والبتها لتضع العصير أمامه مرحبة:
- منور يا أستاذ آدم، رحاب مبتسبش روايتك من إيدها.
- عادة الأم المصرية في فضح الأمور وإبتسامته واجهت نظرة غاضبة من عينيها.
- آنسة رحاب رأيها مهم جداً بالنسبة لي
- ووضعها هي بخانة اليك وانصرف تحت طلب واحد:
- "هنتقابل بكرا في المرسوم وتناقش"
- مرسم!
- آدم متعدد المواهب، واستفزازها أهم مواهبه!

مستفزة، كان الإنطباع الذي أخذه عنها ولن يغيره، لن يتراجع بقراره، لا يريد بها بمنزله ولا بعالمه، ومن حقه أن يفعل وزوجته تراه متحكما لأبعد حد، هي إستحقت لقب البلهاء عن جدارة، فهي لم تعد تريد الإنصياع وعليه غرام باقية بحياتها وليتقبل الأمر، وسياسة الأمر الواقع قابلها بالصمت!

- أنا مش قادرة أفهم المشكلة بينكم؟

سألها غرام بهدوء لتزف بحقق:

- مشكلة عمرو الأزلية، عمرو عايز اللي عمرو عايزه وبس، لازم يعرف إني بني آدمة ليا رأيي ويكون.

هي تتفنن دور المرأة القوية المستقلة جيداً لكنها في عرف النساء حمقاء وفي عرف غرام يسهل الإيقاع بها وبزوجها، فهي لطالما حسدتها عليه بالككية، هي لم تنسى تلك الثواني التي كانت بها بين ذراعيه ولو بالخطأ، فتلك الشرارة التي اشتعلت بداخلها لن تنهيا سوى بإمتلاك، وغرام تدرك كيف توقع برجل مثله، بل كيف ستستخدم زوجته كسلاح ضده!

- عمرو مش غلطان يا مها، أنا أراهن انه لو جه كلمك هتصالحيه، إنتِ دايما متاحة، تحت أمره ورهن إشارته، ابعدي شوية، حسسيه إنك إنتِ اللي زعلانة مش دايما في خانة المذنبه وهو المظلوم!

الكلمات تتلاعب بعقلها وتشحنها ضده، فلا يقنع امرأة إلا امرأة، وكلهن غريعات بعضهن، والسبب مجهول تماماً!

- أنا مش عارفة ألاقيا منه ولا من ماما

قالت وهي تطعم الصغير لتتلاعب غرام بكوب العصير أمامها:

- ليه مالها طنط ؟

- وافقت على جواز عامر من اللي إسمها هدير وبابا قاهم اعملوا اللي انتوا عايزينه.

أخبرت غرام ليدخل زوجها إلى المطبخ ونظرة واحدة على غرام ثم أبعد عينيه بعدها
ليتم بالسلام لترده غرام بينما بقيت محمًا على غضبها وانشغلت بالصغير حتى قررت
ابنة خالتها أن تغادر فتوجهت ناحيتها تودعها وهمست:

- هدي اللعب شوية

إلتفتت لتغادر ونظرة تدرك تأثيرها عليه، فهي تعلق بعينه لشوان ليبتعد، تركه
والبداية دوماً إرتباك!

طلقها!

كيف استطاع التخلي عنها؟!

أهي كرامته التي كانت أقوى من عشقه؟!!

كرامته التي أهدرها مراراً ليرضيها، لم يتخيل يوماً انه بكل تلك القوة ليبعد عشق السنوات بيديه، كل أحلامه كانت هي، لم يرى يوماً فتاة غيرها، كانت بعينه كل النساء بل عميت عينيه عن كراهية حملتها بقلبها وكلماتها تمزقه:

جاهل، همجي!

أراد إشباع قصصه بالطبيرة اللامعة، وتناست أنه السبب في كونها ماهي عليه الآن! جلس على الكرسي أمام ورشته في حالة من الضياع، صخب الشارع من حوله يتلاشى وسط زحمة أفكاره، ينظر إلى الورشة والمعدات، يده التي إعتاد أن يغطيها الشم، هو أراد أن يكون مختلفاً لكن ظروفه فرضت الأصعب وهو حاول وحاول من أجلها، ارتدى ثوباً آخر، أراد أن يكون جديراً بها، كيف كانت بتلك البراعة وأتقنت دور الحب؟!

أم أنه من داخله أراد أن يصدق حبها؟!

كل كلمة عشق كانت بمثابة صمام أمان لمشاعره...

- يا أسطى

رفع عينيه إلى الصبي الذي يناديه ولم يجب، فقط غادر، يريد أن يتبعد، ولا يدري لم قادته قدماه لمزل شقيقته التي رحبت به وزوجها ليدخل..

- حمانك بتحبك يا أنوس، اقعد

ظل يحرق بهم لثوان دون رد قبل أن ينطق بجملة واحدة:

- أنا طلقت بسمه!

ضربت شقيقته صدرها بيدها وقام زوجها من مكانه متجهاً نحوه وجذبه من ذراعه:

- تعالى يا أنس..

جلس أمامهم بصمت، لن يخبر أحد بما جرى، فقط جلس معه زوج أخته دون كلام، هو يريد أن يتحدث وأول ما نطق كانت ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفثيه بألم:

- قالت لي إني بعوض بيها نقصي، أنا ميكانيكي وهي دكتورة بعد كل اللي عملته، بقيت جاهل همجي عندي عقدة نقص، هي ليه شايفاني كده؟، أنا كنت شايفها نجمة في السما..

- أصلها واطي

قالتها شقيقته بغضب، هي تعلم كم أحبا شقيقها.

- أنا هروح، أنا عايز أنا!

ونهض ليغادر لتمسك به شقيقته:

- مش هتمشي وانت في الحالة دي

عينيه ضائعة، ترى بها كسر يؤلمها ودموع تعلم أنه لن يذرفها ولو كان قلبه يبكي دماً، بينا نظراتها تعلقت بزوجها تستمد منه دعماً تحتاجه:

- رايح فين بس ده بيت أخوك، ادخل ربح جوة شوية

ولم يبق به طاقة لجدال، فإستلقى على السرير ليسقط في سبات عميق بينا شقيقته غادرت الغرفة والدموع تسقط من عيناها وارتمت بأحضان زوجها تبكي بمرارة وهو يربت على ظهرها:

- اهدي يا علا هيتقى كويس

- كسرتة وكسرت قلبه أنس محبش غيرها

والحب يكسر!

حتى من كان قويا صلباً انكسر وضاع وسط دوامة الذكريات!
ذكريات تطرق بابه بدخولها لمنزله ووالدته التي جلست أمامه مطالبة بإجابة:

- مين دي ؟

- قالت لك بنت صاحب الشركة

رفعت حاجبها لإعترض:

- وبنت صاحب الشركة جاية مخصوص الحارة ليه ؟

- معرفش، ما كنتِ إسألها

يهرب وهي خبيرة بهروبه جيداً وإن كانت تقدر صدمته من ندى فهي لن تسمح
للأمر أن يخرج عن السيطرة أو هذا ما تعتقده، فالأمر أصبح جنونياً منذ فترة، يوم
صدمته بسيارتها وترجلت من السيارة بخوف، جالها صارخ و ملابسها صادمة تظهر
أكثر مما تخفي، أنوثة طاغية تتحاحك بنظرة واحدة:

I'm so sorry -

وتقدم عماد منها ليساعده على النهوض:

- انت كويس ؟

- الحمد لله

وضعت يدها على صدرها تتنفس الصعداء وقدمها عماد كل منها للآخر:

- مليكة ... مؤمن

مدت يدها إليه لتصافحه فلم يمد يده، هو لا يصاخ النساء!

- معلش يا موكا، أصل الشيخ مؤمن ميسلمش على مزز

!seriously?!

رفعت حاجبها في إعترض واضح وحركت رأسها في سخرية تامة، سخرية اكتفى منها من
الجميع فغادر دون أي رد لكنه لا يمكنه إنكار تأثيرها عليه، حاول نسيانها لكنه وجد
نفسه يفكر بها، هناك شيء يجذبه إليها، هي الغواية متجسدة في امرأة،

وعادت للظهور مرة أخرى وهو يعتمد التجاهل حتى إختفت وحل محلها أخرى،
هكذا كان حال عماد الذي إعتاد نصحه بأن يبتعد عن العبث، ابتعد غاضباً ولا يدري
السبب:

- مؤمن، معلش يا شيخنا كنت عايزك تيجي تذاكر معايا، الميد تيرم الأسبوع الجاي،
البيت فاضي وهنتقى مروقين، نعرف نركز، أصل الحاج قالي مع نفسك لا هيشترى
إمتحانات ولا هيوحي دكاترة.

وظل يستعرض قائمة مأساته أمامه عن غضب والده عنه وكيف أن تلك السنة تحدد
مصيره وبالنهاية وافق أن يحضر لمزله لمساعدته، والليلة روتينية مملة وكانت هي من
أضفت إليها الإثارة عندما اقتحمت غرفة عماد غاضبة تصيح به:

- انت مبتردش عليا ليه؟

اندفع عماد ناحيتها بنفس الغضب:

- إنت دخلتي هنا إزاي؟ مين سمح لك تدخل؟!

تجاهلت سؤاله وظلت تكيل له الإتهامات عن حنثه بالوعود التي قطعها لها، والصياح
بينها متبادل، طردها لتسبه وكاد يصفعها ليمسك بيده يوقفه، ولأول مرة يتدخل
ونظرة عينها الضعيفة إلتقت بعيناه لتهرب تاركة الموقف بأكمله، وما هي إلا دقائق
حتى قرر هو الآخر أن يغادر.

يسير وهو يدرك أنه لن يجد ما يوصله في تلك المنطقة الراقية، سار ليجدها جالسة
بسيارتها وصوت بكائها يصله فحاول التجاهل وخطوات يبتعد بها ليغلبه قلبه
ومشاعر لا يفهمها وعاد إليها!

- نعم؟! عايز إيه انت كمان؟

- إنت بتعملي في نفسك كده ليه؟ ليه تسمحي لواحد زي ده انه يعمل فيك كده؟

وزاد دات دموعها انهاراً وقلبه يتمزق لأجلها وجملة ألقتها إليه:

- أنا نفسي أتحب!

- إنت فاهمة الحب غلط

تركها وانصرف، لكنها لم تتركه بل علقت بعقله أكثر، كانت فتاة أحلامه ورفيقة لياليه حتى وإن صمت وتناسى، وما هي إلا أيام حتى وجدها بجامعة وهيئتها مختلفة، تكبح جراح خصلاتها المموجة وزينتها الصارخة إختفت حتى ملابسها إختلفت:

- مؤمن!

نادته ليلتفت مدهوشاً من هيئتها الجديدة!

- أنا محتاجة أتكلم معاك

والبداية دوماً إحتياج، هي تشعره بأنه منقذها من عالم ضلالها، تخبره بقصة ضياع تريد أن تنهيها على يديه، هي المتخبطة بين عالمين، هي ضائعة وهو مرساتها، وأول مرة أمسكت بيده أشعرته أنه يسحبها من دوامة ضلالها ولم يكن يدري أنها تصنع دوامة ضياع خصباً من أجله!

خمسة أحرف إحتلت كامل حياته..

"مليكة" إمتلك أمره وصار عاشقاً يدور بدوامتها!

دوامة كانت الأيام الماضية تتمثل بها، هو يقاتل ليظل صلباً لا ينكسر رغم الشرخ الذي يمتد بأعماق روحه، لن يمنحها لذة الإنتصار عليه وهي قررت الإستفادة من الوضع:

- أنا مش هرجع حاجة، ده حقي، أنا مقلتلوش طلقني طالعتها والدتها بغضب، هي لم تخبر أحداً عما حدث لكن نظرتها كانت كافية لجعلها تهرب لغرفتها:

- إنتِ إيه؟ جبروت؟ كنتِ عايزاه يعمل إيه وانتِ في عرية راجل؟
أخبرتها بهمس من بين أسنانها وهي تلكزها بكتفها تود إعادة تربيتها من البداية، لكنها عندها سفتتعل فضيحة وربما فات الألوان لإعادة غرورها وأنانيتها لحجمهم مجدداً.
- كداب وانتِ عارفة انه كداب

- لا مش كداب يا بنت بطني، مش ده قاسم ابن الدكتور؟، أنا لا عبيطة ولا هبلة
- برضو مش هرجع له حاجة، الشبكة دي هأكمل بها اللي فاضل لي وهفتح عيادة وهخرج من البيت ده ومن الحارة كلها ويوم ما تلاقيني ساكنة في فيلا وعندي عيادة في أرقى حطة في البلد هتعرفي مين فينا اللي كان غلطان، هتعرفي إني مكش ينفع اتدفن هنا وسط شحم الأسطى أنس!

ولا فائدة للجدال مع من إختارت طريقها بقلب بارد وقررت أن تدهس كل ما أمامها، والبرود كان طريقه للتجاهل والنسيان رغم إشتعال جميع من حوله..
- مش عايزة ترجع له حاجته اللي دفع فيها دم قلبه، ورحمة الغالي لأكون رايحة
وقاطعها وهو يدخل من الباب:

- محدش يروح ولا يجي، أنا مش عايز منها أي حاجة
نبرة قوية قاسية لكنها لم تمنع والدته من الصياح مجدداً:
- هتسبب تعبك وشقاك لبنت سنية؟
- اللي ديتة فلوس رخيص ... رخيص أوي

تعلقت عينا شقيقته به بصمت ليهرب من الجميع متجهاً لغرفته وتبعه شقيقته الصغرى.

- خلاص بقى يا ماما، إلهي تولع بيها
ودخلت شقيقته إليه لتجده بشرفته، فتوجهت تحاول رسم إبتسامة على وجهها:
- مش أنا أخيراً فهمت درس الفيزيا النهاردة بس إيه بأعجوبة!
لم يتحكم عليها كعادته فوضعت يدها على كتفه ليلتفت ويجد الدموع بعينها وبدون
مقدمات اندفعت لأحضانه تبكي:
- إنت بتعيطي ليه؟

- مش عايزة أشوفك زعلان، هي متستاهلكش
مسح دموعها فارضاً على وجهه إبتسامة:
- طيب بطلي عياط وروحي هاتي لي اتعشى، أنا ميت من الجوع
أومأت برأسها وهي تبتسم وغادرت لتعد الطعام وهو لا يريد أن يضع أي شيء
بجوفه، فحتى النفس يؤلمه، يراقب نافذتها من شرفته من بعيد ويتساءل:
لم كانت بتلك القسوة؟! لم ذبحته بكل ذلك البرود؟!

برود تام جلست به شقيقته مع والدتها بينما التوتر ينهشها، وهي تراقب الأمر من داخل غرفتها:

- ما لهم حماتك وبنتها متنكين علينا ليه؟ والنبي لأخرج أعرفهم مقامهم!

قالتها شقيقتها لتبعد عينها عن الباب وتتجه نحوها:

- ميادة مش ناقصاكي!، خلي اليوم ده يعدي على خير، كفاية أمك .

قالتها بتوتر وقلق، هي تريد إنهاء تلك الزيجة والدتها إرتدت كل مصاعها وجلست تملي شروطها:

- أنا الكلمة في البيت هنا كلمتي والشورة شورتي، أبو ميادة ميقدرش يزعلني!

ابتسمتا بهدوء وابتلعت والدها عامر الكلمات على مضض:

- بس pardon يعني يا أم ميادة، إحنا هنشوف العروسة والكلام هيبقى بين الرجالة.

قالتها مما التي ما إن تتوتر حتى تضيف بعض اللغات لجهلها لكن تلك المرة هي تعمدت الأمر، فاللقاء كان بمثابة تحدي والإجابة ضحكة ساخرة:

- وهي الرجالة بتعرف تحل ولا تربط؟

ومها تطالع والدتها بنظرات ذات مغزى تتساءل إن كان يعجبها ما ترى وهي تتوتر، فولدها مصمم وانتهت الأمر بجملة:

- إحنا مش هنشوف العروسة؟

وخرجت هدير متوترة، ترى نظرات حماتها المستقبلية والسأم على وجه ابنتها وم تود أن تخبر والدتها أن تتعامل بحكمة أكثر لكنها لا تقوى على ذلك، هي واقعة وسط دوامة الجميع:

- سلمني على حماتك وعمتك يا هدير

صاغتهم بخجل وجلست بهدوء بجوار والدتها:

- هدير الوسطانية ودي ميادة الكبيرة وسمر الصغيرة بس خرجت مع خطيبها، لسه راجع من الخليج وجايب شيء وشويات.

مالت محما ناحية والدتها وهمست:
- شيء وشويات من أولها، شفتي النسب الي يشرف
واستمر اللقاء كأنه حرب استعراض بين فريقين، كل منها يود الانتصار على الآخر
لتدرك بالنهاية أنها هي الخاسرة!

لن يخسر!

يعلم أنه إن خطا لذلك الرهان فلن يخسره، رغم إختلاف الضحية وأرض المعركة لكن الأمر سيتم بمتى السهولة، ربما تكمن الصعوبات في خوفها من المجتمع والعادات والتقاليد لكنها إن سقطت في الحب ستكسر كل القواعد فهي فتاة غرة وهو هو كان مثلها يوماً!

- يعني إيه تنتحري؟! مليكة إنتِ تهزري؟

- أنا مكلمتكش عشان تمنعني، أنا بس كنت عابزة أسمع صوتك ... أنا مجبك يا مؤمن!

كانت آخر كلماتها قبل أن تغلق الخط وينخلع قلبه فيسرع إلى منزلها بجنون، يطرق على الباب بهستيريا يكاد يقتله لتفتحه والدموع بعينها، وارتمت بين ذراعيه تبكي!

- أنا محدش عايزني، أعيش ليه؟

أخبرته ببراءة وهي تحاول السيطرة على دموعها..

- عشانى

أجابها وقرر الاعتراف بما أجله سابقاً وربما تردد به:

- أنا مجبك يا مليكة

إعترف والتقاء نظرات العيون كان يضعفه، رغبته بها تدفعه وهي كانت الأجرأ مع إدعاء براءة تركته يقترب، لم تحاول منعه ولا حتى بضعف فهي تسير على حبل غرامه ببراعة وأي حركة خاطئة ستسقط، وفي عنفوان الحب، الرغبة، الشهوة، الضعف،

سقط في الخطيئة!

ولم تمنحه زلة أن يصبح الضحية فاتهي الأمر بينها لتكون الدموع من نصيبها وجملة أغلقت بها قيوده:

- مؤمن متسبينش، أنا مقدرش أعيش من غيرك

وهو لو يعد يدرك لحياته معنى بدونها، ذنبه يحرقه، عرض عليها الزواج لترفضه في كل مرة ويقرر أن يبتعد ولا يفعل، فهي أصبحت إدمان عجز عن الإقلاع عنه

وجعلت مهمة حياتها تغييره تماماً، هو كان رهانها الأكبر ورجحته، حقيقة تركته في صدمة، هو كان رهان!

- انت كنت أصعب رهان في حياتي!

قالتها ببطء وهي تحرك يدها على صدره بينما هو جمده المفاجأة!

- كل حركة كانت مدروسة، مضبوطة، أي حركة غلط معاك كانت هتخوفك وهتبعذك!

أفكاره تتخط كضياح نظراته، أقتلها؟! يصفعها؟! يتركها ويذهب أم يخبرها أنه يحبها؟!

هي تخبره بكل هدوء أنه كان لعبة بيدها وكاد يغادر لتجذبه بقبلة متحكمة أراد مقاومتها لكنه غرق معها!

- النهاردة بقى هتقابل مليكة بجذ!

همست بأذنه، فهي أخذت اللعبة لمستوى مختلف، هي تود أن تصنع منه نسختها الخاصة، نسخة برعت في إتقان تفاصيلها فإن كان غاب لأيام فهو عاد مجدداً بعد أن أدرك ألا فرق بين مليكة وغيرها، فصديقه الذي اعترف له بخيانة زوجته انتحر بعد أن فقد القدرة على قتلها، انتحر ووقفت هي بجانبه تبكي وتنال المواساة!

أمامها هو حائر يتأرجح بين عالمين، صواب وخطأ، ما يجب أن يكون وما هو واقع ما يريد وما يجب عليه أن يفعل؟!

طالعته وهو يخطو إلى داخل الغرفة بينما هي مستلقية على السرير وقد رفعت ساقيها تنهيا بإغراء، إلتفتت إليه واعتدلت جالسة تستند بكفها إلى السرير وعلى وجهها ابتسامة إنتصار:

- عارف، أنا محب مبدأ الرجالة مش معقدين، مش بيدوروا على مبرر، عايزك لإني عايزك، عاجباني بدون أي تعقيدات لكن الستات لازم يدوروا على مبرر والحب مبرر لطيف، هي معاك لأنها بتحبك وبكده هي عاشقة والعشق مبرر وكسر القلوب بيوجع وبتبقى هي الضحية!

إقتربت منه خطوات بطيئة محسوبة بدقة وهو متجمد مكانه:

- في ست هتشوفك فلوس، بنك، وواحدة هتشوفك واجهة إجتماعية وواحدة عايزة مصلحة مش شرط تكون فلوس، انت عاجبها، شايفك راجل ميتفوتش، عايزة تتمنظر بيك مش أكثر وفي اللي عايزة تعيش معاك دور الحب، بس اللي بتحبك بجد هتلاقها دايما تايمة في عينيك!

تنظر إلى عينيه تخترقها بقوة وهو غير قادر على الرد ولا التحرك ولا يدري لم عاد إليها بعد كل ما حدث؟!

- نظرة الست تختلف عن نظرة الراجل، لمحة سريعة لو قدرت تشوفها هتعرف هي عايزة إيه، في اللي هتلاقي عينيا على شفايفك ودي بقى بتاعت روايات وكلام غرام ومستنية القيلة اللي هتدي شفتها يا بطل!

إتسعت عيناه بصعقة من تلك الجريئة التي أمامه ومدت يدها تضعها على صدره:
- وفي اللي بنظرة واحدة بتجيبك كلك على بعضك، بتركز بقى على تفاصيلك، يعني بتدور على المهم بالنسبة ليها وبتجيب من الآخر!
همسها مغوي وهذيانها عاقل لدرجة الجنون وكان سؤاله منطقي:
- وانت؟

إبتسمت وهي تبعد، تراها بعينيه، هو قبل صفقتها ويريد دنياها:

- أنا حاجة عمرك ما شفتها ولا تعرفها، أنا دنيا ثانية!

وربما خرج من تحت تأثيرها لثوان لينطقها بلا وعي:

- إنت شيطانة

- وقديسة وعاهرة وكل اللي انت عايزه، معايا هتلاقي كل اللي بتدور عليه، هتخلص من الحيرة، معايا هتلاقي كل اللي انت عايزه وخايف تقبله!

وحائر رغم أنها تكلمت بلسانه وسبرت أغواره، واجهته بما عجز أن يواجه به نفسه وتركته له الخيار!

- وبكده عرفت إن مليكة هي اللي ضيعت مؤمن؟
طالعته بدهشة ممزوجة بالغضب:

- ده على إعتبار إنها شريته حاجة صفرة ومحسش بنفسه؟
وكعاده يتسم وهو يقلب الشاي الساخن وناولها إياه، فهو من هواة القهوة وكفى!
- نظرة عينين حوا بتسكر لوحدها، النساء خمر من نوع فاخر يذهبن العقل!
جريء، وقح، لا يهم فدون إرادة منها إشتعلت وجنتاها بحمرة خجل وندمت أنها لبت
الدعوة لم رسمه لكنها كعادتيا هاجمت اشتعل عقلها يصيح:

- لأنكم مخلوقات ضعيفة
- لا، لأننا اتخلقنا، كده تركيتنا كده، الرجل يصمد أمام أشد الأسلحة فتكا ويسقط
صريع رمش.

يغازل؟!

ربما أو تلك هي دوماً طريقته، هربت من عينيه وعادت مرة أخرى إلى الرواية تقلب
في صفحاتها واتسعت عينها في صدمة، جعلته يتسم وهي تقرأ بصوت عالي:
" فقد سعدت والدة مؤمن إلى المنزل ودخلت لتجده يستند إلى عكازه صارخاً بعبث:
- كنت فين يا زوزو وسيباني محتاس؟ ده المطبخ اتبهدل، محاولة فاشلة لكوباية
شاي!

ظلت تنظر إليه بصمت لمدة لا بأس بها قبل أن تنطق:

- أنا خطبت لك نورا!

أغلقت الرواية بقوة وقامت من مكانها تعترض:

- لأ، لأ بجد بقى لأ مش كل مرة البنيت البريئة هتتجوز الفتى العايب اللي هيتصلح
على إيديها، مؤمن قذر ميستحقهاش!
رفع الفرشاة والألوان أمامها كأنه لم يستمع لحديثها:
- ممكن تروحي تقعدي مكانك؟
- نعم!

قالتها بدهشة من هدوءه القاتل حد البرود ليحييها بكلمة واحدة:
- هأرسمك!

الفصل التاسع

عزيزي آدم تحية طيبة وبعد،،
أنت خاسر في تحدي النساء، في مجادلتين، وخاسر للغاية في عشقهن!
وهو سقط بين إمرأتين إحداها ساذجة والأخرى خبيرة بعالم آدم فتركته يتمزق بين
حاجة تلك ودهاء الأخرى!
رن هاتفه ليتركه، فهو يعلم ذلك الرقم ولن يجيبه، سيبتعد!، عليه أن يفعل، فما حدث
كان خطأ!
تمر الأيام وعلاقته بزوجته تسوء يوماً بعد يوم ولا أمل في إصلاح الضرر، فهي تبتعد
وفقاً لنصيحة مستشارتها الأمينة:
- متبقيش هبله، شوقيه خليه يتشحتف عليكِ
وفعلت ما أملتة عليها حتى وصل الأمر إلى الشجار:
- هو في إيه يا مها؟
- في إيه؟!
تتظاهر ببراءة كأنها لا تبتعد عنه عن قصد!
- إنتِ مش ملاحظة انك بتبعدي؟
- انت اللي شايف القرب من وجه نظرك انت، انت مبقتش تحبني يا عمرو، بقيت
بالنسبة لك مجرد زوجة وبس!
إعتدل غاضباً، منطقها أصبح غريباً:
- وهو أنا لما أبقي عايز مراقي أبقي مبجهاش؟
- الحب مش شرط!
منطق غريب هو في غنى تام عنه، فآدم لن يفهم أبداً فكرة حواء عن الحب والرغبة،
هو لا يدرك أن النساء يعشقن الحب العذري ويتحدثن لغته ببراءة، بينما الرجل
يعرف لغة واحدة للحب!

- ماشي يا محما براحتك، إنت حرة!
- وتعددت الحجج والأعذار والمبرر إشعال الغرام مجدداً! وغرام بارعة في ذلك، فهي بدأت تُخرج زوجته من حياته وتحل محلها تدريجياً، حتى وإن لم يراها، فهي تحفر تفاصيلها بمنزله وذلك يغضبه لكن زوجته راضية سعيدة بعلاقتها معها وهو عاد ليجدها أمامه تهدد الصغير فكاد أن يعود أدراجه:
- لو وجودي مضايقتك أنا ممكن أمشي!
- جملة صادمة إلتفت على إثرها وهو يبحث عن أي عذر:
- لا أبداً، أنا بس نسيت الموبايل في العرية
- رفعت حاجبها وهي تميل رأسها قليلاً بإستنكار:
- الموبايل في ايدك
- نظر إلى يده ولعن حماقة كذبتة:
- الواحد مبقاش داري، الشغل مخليه بيلف حوالين نفسه
- سلامتك
- قالتها بإبتسامة رسمية لكن نظرتها تحمل الكثير وهو يتجاهلها وجلس يشاهد المباراة وهي بالمطبخ، تفكر في طريقة تجذب بها إنتباهه ولا تدري ما تفعل سوى صوت تحطم زجاج وصرخة جعلته ينتفض مسرعاً نحوها:
- في إيه؟
- كانت ترتعد بخوف وارتباك مفتعلين والإجابة ببراءة:
- قطعة دخلت من شباك المطبخ!
- قطعة! النساء محما إختلفن يحملن نفس الجنون
- إنت بتخافي من القطط؟
- اومأت برأسها وكادت تتقدم ليوقفها:
- الإزاز! هنتعوري

إلتفتت لتحضر المكنسة وقامت بجمع القطع وهو يتابعها بعينه حتى انتهت واتجهت نحو الموقد حيث كان يقف بجواره ويديه تستند إليه.

- معلش أنا آسفة، مقصدتش اعمل قلق، هأعمل قهوة، أعمل لك معايا ؟
ولمسة محسوبة ليدہ والتقاء عيون صامت مدروس ومحسوب للغاية وبدقة، رغبة دفينه اشتعلت لتبدأ هي بقرب يواجهه به ملاحمها مجدداً، هي أنثى بجمال مغوي، نظراته تتركز على شفتيها، يود الغرق، إطفاء تلك الرغبة بداخله، اقتراب اختلطت به الأنفاس وهي تدرك أنها حصلت على غايتها لتفاجأ به يندفع إلى الخارج!، هارباً منها ومن رغبته بها، كان على وشك السقوط والإنحدار، والسبب هي، واللوم أوقعه عليها ورد الفعل كان عندما عاد قرب الفجر ليجدها تشتعل غضباً! هو نسي هاتفه وهي قلقة:

- كنت فين يا عمرو؟
طالعها بغضب ولم يجيبها فقط أخذ يجمع ملابسه حائقاً!
- انت بتعمل إيه؟
- سايب البيت!
ضمت يداها لصدرها، هو من تأخر وتركها دون كلمة وعاد غاضباً!
- هو في راجل فخاة كده يسيب بيته؟
ألقي بما في يده على السرير غاضباً:
- بيتي! مبقاش بيتي ولا بيتك، بقي بيت غرام هانم، غرام اللي بقت في كل حنة المطبخ، الصلاة، كل مكان ناقصها بس تبقى في أوضة نومي اللي إنتِ مبقتيش فيها! وعندها صاحت هي توقفه:
- عمرو!
- بلا عمرو بلا نيلة بقي، تقدرني تقولي لي آخر مرة كنا مع بعض إمتي؟ لو مبقتيش عايزاني يا مها يبقى تتطلق!
وصدمتها كلماته، لتلك الدرجة الأمر هين بالنسبة إليه:

- تتطلق!
وغادر ليركها بين أفكارها، ولم تجد سبيلاً إلا الدموع، هي تعشقه لكنها لم تعد
تستطيع التعامل معه، معادلة عشقها إختلت والسبب؟؟
السبب غروره، كبرياؤه، أنانيته!
قائمة أسباب ترضيها وتتضعه بخانة المذنب.

مذنب!، آدم في العشق مذنب وحواء دوماً ضحية!

ولم تستطع السيطرة على ضحكاتها..

- بتضحكي على إيه؟

- أصل حظك حلو يا بيبي، الخطوبة دي هتختصر خطوات كثير!

إتسعت عيناه في صدمة، هي تود أن تستخدم خطبتها في رهانها، إحداها تريدها زوجته والأخرى تريدها غانيتها، وهو انفجر بوجه والدته فور أن أخبرته بالخبر:

- خطبتي لي نورا؟! هو أنا عيل ملوش رأي؟، أنا مش موافق!، مبحباش!

- وبتحب مليكة؟

إتسعت عيناه في صدمة، هو لا ينكر أنه أحبا يوماً..

- أنا مش هستنى لحد ما ألافيك متجوزها، أنا متعبتش وريت وصحتي راحت

عشان أعمل منك راجل وفي الآخر تيجي واحدة زي دي تاخذك، لا يا مؤمن!

واستمر الصراع لإسبوعين كانت المهلة التي حددتها والدته لتفكر نورا وأهلها بالأمر، لكنها لا تعلم أن تلك الكلمات قد عاثت بقلها، دقات الأحمق في صدرها إختلت وفقدت السيطرة عليها، والدتها تحدث والدها في الأمر وهي تسترق السمع بقلق عاشقة، والدها راضٍ ووالدتها أعلنت الرفض!

- أنا مش موافقة!

والكلمة سقطت بقلها، تكاد تبكي، فخلعها أخيراً بين يديها ووالدتها قررت أن تضيعه!

- نورا بتجبه وهي عمرها ما حبت قبل كده، مؤمن هيسيطر عليها وهتبقى رهن إشارته حتى لو جرحها هتسامح وهتخفي، أنا عارفة بنتي يا عبد الحميد وخايفة على قلبها، كسرت مش هتبقى سهلة.

وهي تعلم أن والدتها محقة، هي لن تتحمل أن يكسر قلبها، فهي الآن تتساءل لم كانت والدته من عرضت ولم يكن هو؟! أيمن ألا تكون إختياره؟!

ويعود عقلها يذكرها بمشاغبته لها، بالطبع إنها رغبته لكنه اتخذ الطريق الأقصر، طريق مستقيم وتقدم لخطبتها كما تقتضي الأصول وكان لوالدها الكلمة الأخيرة:

- إنتِ قلتي البنت بتحبه وهما اتقدموا من الباب واحنا عارفينهم وعمرنا ما سمعنا عنهم
غير كل خير ، بلغيا إنا موافقين .

والأمر نهائي تم موافقة الجميع عداه!

- يا بيبي ، متعقدش المواضيع دي مغامرة عيشها بكل تفاصيلها، عيش حلم الحب وخذ
منها كل اللي انت عايزه تحت ستار هنتجوز والبداية خطوبة، الخطوة الأولى جد،
هتختصر الطريق وهتلاقيا من إيدك دي لإيدك دي!

وقبل أن يجيبها بإعتراض كان هاتفه يرن برقم والدته الغاضبة من تأخره:

- قوم روح بقى يا مؤمن

- لأ -

كانت الكلمة النهائية، هو لن يذهب و لن يخطبها، لن يجعلها رهاناً وقطعاً لن يتزوج
منها، لكن بين ثلاث نساء تسقط كلمة الرجل خاصة إن كانت إحداهن والدته!

- إتأخرت ليه ؟

- أنا رايح عشان منظر كقدامم بعدها هتصرفي وتفكي الخطوبة دي، أنا مش بتاع
جواز!

تقدمت نحوه بهدوء وربت على كتفه:

- يا حبيبي نورا بنت حلال وبتحبك

نظر إليها بدهشة لا يصدق ما تقول:

- بتحبني! وعرفتيا مينين دي يا زوزو

إبتسمت إليه فهي أدركت عشق الفتاة له منذ مدة:

- بتحبك من زمان، نظرة عينيا وحالها اللي بيتلخبط قدامك، ما انت لو مركز كنت
شفقتها!

تحبه؟! هو كان يجب إرتباكها أمامها، مشاغبها كانت لعبة مسلية لكن لم يعتقد أبداً
أن يصل الأمر للحب!

والأحق فقط هو من لا يرى سعادتها فقلبيها يقفز فرحاً والأمور مبهدة وممت قراءة الفاتحة، لتجلس مرتبكة تفرك يديها وتطالع الأرض بخجل، سعيدة ومشاعرها تعصف بها.

- نورا

وكأنه لأول مرة يناديها بل لأول مرة تسمع اسمها، رفعت وجهها إليه وعيناها تلمع بعشق واضح للعيان، تتعلق بعيناه وتأبى إلا أن تبتسم، وكلمتين علقنا بعقله..

نورا بتحبك ...

اللي بتحبك دايماً هتلاقيا تايهه في عينيك ...

- هتفضلي تبصي لي كثير؟

إرتبكت وأخفضت بصرها هي تحاول أن تتحدث لكنها تفشل!

- نورا، إنتِ فقدتي النطق

- أأأ..أنا....

قاطعها قبل أن تكمل:

- الحمد لله النطق موجود أهوه

- ممكن تسكت؟

صاحت بها رغماً عنها لتضع يدها على فمها مرتبكة وهو يبتسم لها:

- عايزة تقولي إيه؟!

ظلت تطالعه لفترة ولم تجد كلمات، هي تود سؤاله لم إختارها هي؟!

السؤال الوجودي بداخل كل امرأة وتتوقع إجابة حاملة وفي حالتها هي تتوق لتلك

الإجابة كالظلمان بصحراء قاحلة وجد نبعاً من ماء، أم تخبره بأنها تحبه؟! وتلك

الإحتمالية لن تفعلها فبقيت صامتة!

- مبروك يا نورا

أخبرها لتبتسم وتخفض بصرها بحرج ليضع يده أسفل ذقنها رافعاً وجهها إليه:

- مش ناوية تقولي لي الباسورد؟

ورغم دهشتها، خوفها وإرتباك قلبها حركت رأسها نافية لترتسم إبتسامة عابثة على
ثغره:

- هعرفها أنا، بطريقتي!

وجملة تبعثها غمزة أشعلت وجنتيها وإبتسامة حاولت أن تداريها، ففي لعبة العشق أيهما
يفوز وأيها يخسر؟!

في لعبة العشق الفائز هو من يمتلك قلبه بيديه!

وهو منح قلبه لمن لا تستحق، ولم يدرك الأمر إلا بجرح يحاول أن يخرج منه والأمر مؤلم، رؤيتها كل اليوم والتظاهر بعدم الإشتياق، كل التفاصيل الصغيرة أصبحت تؤلم، من قال أن حواء وحدها هي من تتألم للتفاصيل؟!

فيوم اتصل به صاحب أرقى محلات الأثاث يخبره أن الأثاث جاهز بعد التعديلات التي طلبتها، كانت الإجابة أن يعيد كل شيء ووالدته كالعادة إعتزت:

- والمقدم اللي انت دفعته في العفش؟، حالفه لتخسرك كل حاجة بنت سنية.
ولم يجب، هم لا يدركون الأمر، لا يرون ذلك الكسر بداخله، كسر لن يلتئم، عشق السنوات وحلم أرادته.

- انت غلطت يا أنس

قال له زوج شقيقته ليرفع عينيه له في دهشة، بم أخطأ؟! هل كان حبها خطأ؟!

- غلطت لما حولت الموضوع لصفقة نتجوز وكلمي تعليمك!

وعندها تمكن منه غضبه لأقصى درجة:

- انت شايف إني زبالة أوي كده؟ يبقى هي فعلاً مغلطتش لما قالت لي إني بعوض

نقصي بيها!

وصمت يستجمع هدوءه قبل أن يجيبه مجدداً:

- أنا مخدثتش الشبكة من بسمه لإني عارف إنها هتبيعها وتكمل بيها، حتى بعد كل اللي حصل مقدرتش أكسر حلمها، اللي يحب مبيأديش وبسمه عمرها ما حبتني هي اللي حولت الموضوع لصفقة لو كانت رفضت جوازنا صدقي أو متصدقش كنت هساعدنا لأن يهنني سعادتها.

صمت قليلاً وزوج شقيقته ينظر إليه، لم يتخيل عمق جرحه ولا الألم الذي يشعر به

- انت عارف ... أنا لسه بحبها!

واعتراف تركه مصدوم لبيتسم هو الآخر بأسى.

- ساعات الحب بيعمي يا أنس، انت عارف إن ده حالي مع أختك، قسوتها معايا في

غربي خلتي لما عرفت موضوع الخلفة والعلاج قلت لها تتطلق، قلت أقولها أنا

بدل ما أسمعها منها، عمري ما تخيلت وقفها جنبي، عمري ما تخيلت إنها تشيلني وتبقى مش عارفة ترضيني إزاي؟! يمكن فعلاً الأصل ييفرق وأختك بنت أصول بجدة. وابنة أصول كانت كذلك بالنسبة له، علا تبدلت تماماً أصبحت مَهْمة، مراعية وطرحت أنايتها أرضاً لتحتوي جراحه وتقف بجواره:

- أنا هأقوم بقي أروح أحضر العشا لمنير، الدروس طول اليوم بتتعبه أومأت والدتها برأسها وشقيقتها في حالة من الصدمة وهمست لوالدتها:
- هي أبله علا اتجننت؟!

لكزتها والدتها في كنفها:

- ولزمتها إيه أبله بقي يا أم لسان طويل؟

- لا والله من امتي كانت بتحب أبيه منير ويهتم بيه كده؟!

الجميع في حالة من الدهشة بل الصدمة وكذلك كان حاله معه، وترى السؤال بعينه، لماذا؟!، والإجابة بالتأكيد ليست عشقاً، هي فقط لا يمكنها أن تخطو على جرح ولا تقدر أن تعمق كسراً وهي ترى جرحه وكسرتة، رأتها بعيناه يوم أخبرها أن فرصته في أن يصبح أباً تكاد تكون معدومة، رأت ذلك الوجع يخالطه الحزن وهو يحمل ابن شقيقه، إقتربت منه تلف يداها حول ذراعه وأسندت رأسها لكتفه وهمست:

- عقبالنا يا حبيبي

هي تعوضه، تمنحه أملاً وتحاول جبر كسره، فحواء دوماً سلاح ذو حدين!

واشتعلت الحرب، هكذا كان زواجهم، مشاكل بالجملة، أهله وافقوا على مضض وأهلها أوتحيديداً والدتها قررت أن تجعل من عامر لعبة بيدها، فكلمتها هي العليا، "ولا يمكن تنزل الأرض أبداً" !

ولك الله في صراع المحاولات فكل منهن تحاول فرض رأيها، والدة عامر تتخذ الأدب والإقناع سبيلاً ووالدة هدير تنعمد سياسة فرض الرأي ورفعت شعار "بالعافية!" فهي لم تعتاد إلا أن تأمر والكل يطيع، وهي وجدت نفسها تتوه وسط ما يحدث وأضحى الأمر يخنقه، ولا يجد حلاً، هل عليه أن يعيد تربية أهلها لأنه يحبها أم يخبر قلبه ألا يجب من لا تناسبه؟، هو عنيده وحبه يزيده عنداً!

ووصلا ليوم الخطبة بأعجوبة تمثلت في شجار على الشبكة، فستان الخطبة وأدق التفاصيل ورغم عرضه أن تتم الخطبة بفندق كبير إلا أنها أصرت على أن تكون بمنزلهم والحجة:

- عشان حبايب البت يفرحوا بيها ونفرح براحتنا بدل التكنيفة والخنقة!

والفرق كان جليلاً وواضحاً والزينة صادمة للجميع!

- الجوازة دي مش هتم

همس مؤمن بأذن أنس وهو يراقب الموقف وأنس يراقب الموقف وقد أرهقه نصح عامر، إختلاف رهيب يبدو معه علاقته ببسمة سابقاً أكثر توافقاً، لكن هل تعاقب بذنب أهلها؟

هل يتحمل هو الذنب؟

في النهاية كلاهما خاض التجربة بمحض إرادته، والإرادة أحياناً تكون لعنة لا فرار منها، كسقوطها معه بإرادتها ورغبتها، وها هي تراه وهي تقف بجوار خطيئها فابتعدت تراقبه وتتمنى ألا يلاحظها، فهي عرفتته من الوهلة الأولى والمرأة لا تنسى رجل مر بحياتها، ومؤمن كان أحد مغامراتها، ربما أكثرهم جموحاً والذي ابتعدت عنه بعد عودة خطيئها.

- سمر

كان نداء والدتها لتبتعد وتلتفت نحو العروس، شقيقتها، وهي تتذكر الحبس حول
إصبعه، أخبرها أنه ارتبط بأخرى وابتسمت بإستنكار لكنها سرعان ما نسيت الأمر،
حالتها حاله حال الجميع!
الكل يدور بلعبة الحب كأفعوانية تتحرك بسرعة من هناك من يسقط وهناك من يبقى
حتى النهاية!

- غبية!

كان الصباح الذي سمعته وهي تتجه إلى الداخل فتوجهت نحو والدتها:

- مالك يا ماما؟! مين اللي غبية؟

ولمحت الرواية بيد والدتها، هي تعلم أن والدتها كانت تعشق القراءة سابقاً لكنها هواية تناستها مع مرور الأيام وكبر حجم مسؤولياتها ولكن يبدو أنها عادت إليها بسبب المدعو "آدم"، ذلك الذي ألقى سحر على حياتها، لا تدري لم سمحت له برسمها ولو حتى بعد إعتراض!

- ملامحك واضحة، متناسقة تستحق إنها تترسم!

وفتحت فمها لتعترض ليوقفها:

- ده رأيي فني بحت

وعادت من الذكرى على صوت والدتها:

- الست مها هتضيع الراجل!

ولن تفهم هي يوماً مبدأ ضياع الرجل وذلك الخوف الذي يعترى كل أنثى في التشبث بشخص كأنه آخر رجال الأرض!

- ما يضيع إيه المشكلة؟! مها غبية بس عمرو لو غلط يبقى ساعتها هو كمان خاين الخيانة ملهاش مبرر!

ومصمصة شفاة من والدتها قبل أن تعترض:

- يا أختي اتلهي على عينك إنتِ وهي، واحد مراته حاطه له واحدة في بيته وعايشة بعيد عنه، شاب متجاوز وعايش غارب، جتكوا نيلة، امسكي أما أروح أشوف الأكل، حرقنوا دمي!

وألقت والدتها بالأوراق في يدها وانطلقت إلى المطبخ لتبدأ رحاب في القراءة: "وهو لم يضع نهاية لعلاقتهم، هو فقط ضغط زر التوقف، وهي حاولت إسترداده، مكالماتها لا تتوقف وهو لا يجيب، فهاتفه يرن بإسم امرأة أصبحت رغبة زوجته

السبب بها، هي من وضعها أمامه، بمنزله، هي من جعلتها مكانها وتركته يحترق بنيران إبتعادها والأدهى غرام تحاول رأب الصدع بينهم:

- أنا مكنتش متخيلة إنه بالقسوة دي، كنت فأكراه يبجيك بجد مش زي كل الرجالة! وارقت بين ذراعها تبكي، هي تحبه ويؤلمها أنه لم يعد يحبها ووالدتها تنصح:
- كلميه

وغرام تمنعها:

- إوعي!، هتبتقي ضعيفة وهترجي له مكسورة يذل فيكي براحتة

- بس وحشني أوي

قالتها بضعف عاشقة لتجيبها وهي تربت على كتفها:

- أنا هأكلمه وهخليه هو اللي بيجي يصالحك كمان

- ربنا يخليك ليا يا غرام

ولا تجرح النساء سوى النساء، حقيقة لا جدال بها، فغرام ظهرت بمكتبه ليلاً بعد أن انصرف الجميع، دخلت لتجده جالساً، فقرعت باب المكتب الذي كان مفتوحاً وأغلقتة فور دخولها:

- إنتِ إيه اللي جابك هنا؟

- أنا بجبك!

أول جملة نطقها لتتركه مصدوماً!

- بجبك من زمان أوي، من يوم ما جيت تخطب مها، من يومها وأنا بجبك وسكت، كنت بموت وأنا شايفاك معاها، بعدت ومحضرتش فرحكم لإني مقدرتش غصب عني، كل مرة كانت بتحكلي لي عن وجودكم مع بعض

وصدمته مستمرة!، زوجته كانت تخبر أخرى عن علاقته بها، عن تفاصيلهم!

- بتحكلي لك؟!

تجاهلت صدمته واستطردت وهي تقترب:

- كنت ببقى عايزة أبقى مكانها، كنت بتخيل نفسي أنا اللي معاك، كنت بحسدها عليك، أنا مبيقتش قادرة أقاوم، خلاص!

- غرام

واقتمت المساحة بينها تضع يدها على صدره ولمستها تحرق كنيان تشتعل وهي ترى إنعكاس تلك النيران في عينيه:

- بص في عينيا وقولي إنك مش عايزني، أنا بحبك يا عمرو ومفيش حاجة ممكن تبعدني عنك ومفيش حاجة تمنعنا إننا نكون سوى!

وحواء لم تخطيء في حساباتها يوماً، لم تخرج من معركة مع آدم خاسرة، إن أرادت إنتصرت، تحكمت، واثبتت أنها الأجدر!

وهو إنهزم!

ذل..

ومن يجد في نفسه يوسف فليلقه بحجر!!

الفصل العاشر

الندم شعور يكرهه جميع البشر على إختلافهم، الندم آفة آدم و مبرر كل حواء، وعبث، كل ما يفعلها بحياته أضحى عبثاً، فهي بين ذراعيه اللمسة محرمة والقبلة مسروقة والشغف هو السبب بكل ما يجري والبداية سقوط، البداية ضعف والنهاية كان السؤال الذي تردد بعقله: خطيئة؟؟ هو يدرك الأمر لكنه ضائع في نشوى الذنب، على وشك الغرق أكثر بوحل خطيئته ليتعد عنها فجأة ودون أي مقدمات، أنفاسه تتلاحق وشعور يمزقه بين رغبته بها بالحصول عليها كاملة وبين الإبتعاد والهرب، يرغبها وبشدة وهي بين يديه، هي الذنب والشغف، هي تفاحة آدم وفأكهته المحرمة وهو أمسك بها، فليقضم فأكهته وينتهي الأمر، لكنه أبى، ألقى بها وابتعد يستند إلى مكتبه لا يريد مواجهتها وهي في صدمة من ابتعاده بعد كل ما فعلت، بعد أن ظنت أنها أحكمت قبضتها عليه واستسلم، عاد يقاوم:

- عمرو

واقتربت تكاد تلمس كتفه ليلتفت ممسكاً برسغها، يكاد يتحطم تحت قبضته وعيناه تلمع بشراسة تقا تل رغبة كاد أن يستسلم لها:

- ابعدي عني!

صاح بوجهها كأنها شيطان، شيطانه الذي كاد أن يستسلم لغوايته، شيطان بهيئة ملائكية بحتة، جسد أنثى منحوت كأنها تمثال صمم للإغواء، عيون لامعة تشعل الرغبة بأهداب طويلة تجعلها أكثر إغراءً، بشرة خمرية مهيكة وشفاه كأنها الخمر في سكرته، هي لا مفر منها سوى بالهرب، وبالفعل هرب، انطلق إلى خارج مكتبه يغلق أزرار قبيصه والصور تعاد بذاكرته!

هي..

إعتراف بحب..

هي لمسة

هي قبلة

هي زلة

تراجع، وندم، ندم على ذنب كاد أن يرتكبه وخيانة كادت أن تكون كاملة، وامتناك كاد ينهي به النار التي في داخله لكنه هرب يطارده ذنبه وإن لم يمتلكها، تظل لمسته لها إثم ورغبته بها لعنة، واختفى ولا أحد يعرف أين؟ هاتفه مغلق والظنون تفتك بالجميع، هو لا أهل له تقريباً، والدته لحقت بوالده منذ عامين وأخيه يعمل بالخارج وانهارت بأكية!

ربت أخيها على كفنها مواسياً:

- متقلّيش يا مها تلاقيه بيريح يومين في أي حنة وراجع
إحتمالية لن تكون مطروحة يوماً، فعمرو لا يترك عمله ولا يتصل من مسؤوليته مها
كان السبب، والسبب كان يجلس بجوارها صامت، غرام إلترمت الصمت التام،
وكيف لها أن تتحدث؟!
هي لم تعد تدري ما عليها أن تفعل معه؟
مها فعلت لازال رافضاً، لكنها تراها بعينيه، نظرة الإشتياق واضحة والسقوط كان
وشيكاً وهي لن تتراجع، فخواء لا تندم، هي فقط تبدل إستراتيجية بأخرى!

- برضو خاين!

قالتها وهي تجلس بالمرسم والنقاش احتد بينهما:

- يا سلام! ده إنت مفترية

إتسعت عيناها في صدمة من طريقة حديثه معها:

- أستاذ آدم

قاطعها قبل أن تكمل:

- آدم بس يا رحاب

- مبجش أشيل الألقاب وأعتقد إن العلاقة بينا لا تحولنا إننا نشيلها.

- إبتسم بتهكم من تلك العنيدة:

- ليه؟ إحنا مش أصدقاء؟

- مفش صداقة بين راجل وست، الراجل بيشف الست هدف وغرضه منها واحد
مبتغيرش!

وقف أمامها واقترب متحدياً:

- ده إنتِ معقدة بقى!

رفعت سبابتها في وجهه محذرة:

- مسحلکش!، وبعدين أعتقد مش أنا اللي كاتبة رواية كل بطلاتها أخلاقهم سيئة
لمجرد إنك تثبت إن الرجالة يا حرام مظلومين ... ده غباء!

- وكل الروايات اللي كل رجالتها عابثين وكل واحد زير نساء وعنده حرملك والبطلة
دايبة في هواه وهو بيعاملها أسوء معاملة وهي مستحيلة لأنها بتحبه وتفضلوا تعيطوا
عشائها وتتكلموا عن ظلم الرجل للمرأة في المجتمع الذكوري المتعفن براحتكم مع إن مش
دي الحقيقة!

ولأول مرة تراه يفقد هدوءه فقررت المغادرة، فقط حملت حقيبتها وغادرت بغضب
ليزفر في ضيق وقام من مكانه يتبعها وجذبها من ذراعها:

- إحنا إتفقنا نقرب وجهات النظر مش نتخانق، إنتِ ليه مبتدش فرصة لنفسك إنك
تقتنعي؟

- لإن حججك واهية، عمرو خاين، مش معنى انه محصلش علاقة كاملة بينه وبينها إنه
مش خاين، اللسة، النظرة، مجرد الفكرة خيانة!

إبتسم وظل يحدق بها لثوان قبل أن يلقي بتعليقه:

- إنتِ حاملة ووردية جداً، عايشة في دنيا الخيال، مثالية بقت مش موجودة.

- مش مهم تكون موجودة كفاية إني مؤمنة بيها
حرك رأسه مستنكراً وأشار إليها لتدخل ولاحظته يمسك بساقه:
- انت كويس؟
- رجلي لما بقعد فترة طويلة وأقوم مرة واحدة ألحق حد مشي مقموص بتوجعني.
إبتسمت بخجل ونظرت إلى الأرض، هو يريكها وأحياناً تقتنع بوجهة نظره لكنها لا
تعترف، فعنادها يأبى أن تفعل!
- هو المرسم ده ملكك؟
- لا ده بتاع واحد صاحبي بس أنا من زمان وأنا بحب أرسم، الرسم مش بس
خطوط وألوان ولوحة، الرسم روح وفي رسم بالكلمات، الرواية هي أجمل رسمة ممكنة
لو الشخصيات فيها كانت صادقة وطالعة من قلبك بجد.
حركت رأسها دون رد، غريب، مريب في أحيان كثيرة لكن فلسفته في الحياة تعجبها،
هو يتخذ الشغف مذهباً وهي لا ترى للحياة معنى بلا شغف يُحيي الروح من جديد.

ندم؟

ربما!

فالمشاكل أضحّت تلاحقه من كل حذب وصوب، والدته ووالدتها استلمتا دفعة الأمر، والدته محقة ووالدتها لا تعترف بأنها تخطيء بل تتجاوز في كثير من الأحيان حتى وصل الأمر لشجار كبير ووصلة مطولة من "الردح" انتهت بوالدته بالمشفى!

- سلامتك يا ماما

قالتها شقيقتها وهي تربت على كتف والدتها بينما عامر حائر في كل ما حوله، سبب الشجار بالطبع ذو أهمية قصوى "فرش الشقة"، والدة العروس تصر أن يتم ليلة الزفاف ووالدته إعتزّت واشتعلت الحرب:

- شفت حمانك؟ هو ده النسب اللي يشرف

- ده سوء تفاهم

اندفعت أخته ناحيته غاضبة:

- سوء تفاهم! انت إيه؟ مش شايف إنهم مينفعوناش، دول من بيئة واحنا من بيئة ثانية.

حلق بها غاضباً قبل أن يتوجه ناحية الباب والتفت:

- أنا بحب هدير ومفيش حاجة هتغير اللي جوايا

وهي تجلس بغرفتها متخبطة، والدتها تفسد كل شيء ولا تدري ماذا عليها أن تفعل عندما دخلت والدتها إليها:

- قاعدة كده ليه؟

رفعت وجهها إليها وصمتت:

- أنا عايزاه يبقى خاتم في صباعك، لو من دلوقتي كلام أمه اللي مشي هتهبدك وتذلك إنما أنا عايزة كلمتك إنت اللي ماشية ع الكل!

- أنا مش عايزة كل الحرب دي.

قالتها بهدوء، هي تعبت سئمت كل ما حولها، وقطع حديثهم رنين هاتفها باسمه وصدر الأمر:

- مترديش، عايزك يجيلك، اسمعي كلامي يا خاية بدل ما تندي والندم أصبح خيارها الوحيد، هي تعلم أنها ستندم لكنها تتساءل متى سيحين ندماها؟

وهو لم يندم على نظرتة لبنات حواء يوماً، فلكن يثبتن نظريته..
زفاف، حفل ضخم وعروس يتحدث الجميع عن جمالها بل وأخلاقها أيضاً، فرقتها
الأولى مع عريسها تبدو متوترة وخجولة للغاية، تكاد تنكمش بين يديه، وجنتيها متوردة
وعريسها يمس بأذنها لتخفض عيناها خجلاً بينما هو يراقب الموقف متحكماً والتعليقات
من حوله تتحدث عن أدبها الجم الذي لم يعد موجوداً تلك الأيام، وفور أن علت
نغمات إحدى الأغنيات الشعبية حتى إستغرق في الضحك ليتجه صديقه نحوه:

- ما تضحكننا معاك؟!

- أصل العروسة خيرة!

نظر إليها صديقه قبل أن يعود بنظراته إليه والنظرة استنكار واضح:

- حرام عليك يا ابني دي باين عليها خام!

إرسمت إبتسامة على ثغره، فعروسهم العفيف كانت معه بشقته بل بغرفة نومه
ولكن أكثر دقة بسريره، ورقصت على تلك الأغنية تحديداً من أجله، ولابد أن يرد
التحية فاتجه ناحيه العروسين وهو يصفق بيديه:

- مبروك يا عريس

تهنئة؟، تهكم؟، لا فارق، فمن أمامه آدم آخر خدعته حواء ولمح نظراتها يمتزج بها
الخوف والقلق بغضب، فسخرته هي الوحيدة التي تفهمها لكن توترها لا يزال مخفياً
خلف قناعها الذي ظل على حاله فهي ستجد مخرجاً مما كانت ورطتها!

"آه منك يا حواء تجيدين فن التمثيل وتتقين فن الخداع، والخدعة من نصيبنا
نحن، من نصيب الرجال فقط!"

وبالنهاية عاد لمنزله يقطع الطريق سيراً وعقله تدور به العديد من الأفكار ندى، مليكة
وغيرهن، كلهن سواء لكن هي؟! هي غريبة لن يصدق براءتها، لكنه غير قادر على
تكذيبها، شيء ما يجعله يبتسم وهو معها، ربما هي تمتلك قدرة أكبر على الخداع
وإدعاء البراءة وربما هي, ربما هي شيء لا يعرفه!

مر بجوار نافذتها قرابة الفجر ودقات بسيطة لفتت إنتباهها، هي في إنتظاره لكنها
تظاهرت بعكس ذلك:

- مؤمن!

إستند إلى النافذة وأجاب:

- أmaal عفريته؟ صاحبه ليه؟

وتجاهلت سؤاله لتسأل هي:

- انت اللي كنت فين لوش الفجر؟

إتسعت عينيه في دهشة واقترب:

- لا أنا محبش مراتي تقولي رايح فين وجاي منين من أولها.

وهربت بنظراتها من عينيه، فنظراته تركها، تشتت مشاعرها وتركتها مبعثرة:

- أنا قلقك عليك

- بجد؟

أومأت برأسها بهدوء ليأتيها سؤاله:

- ممكن أدخل؟

وكاد أن يدخل من النافذة لتوقفه:

- لا طبعاً، ماما لو صحيت هتقتلني أصلاً إنا واقفين كده

- طالما هتقتلك يبقى تقتلك على حاجة تستاهل

حركت رأسها مستنكرة لجنونه:

- انت عايز إيه؟

- أنا مش عايز، عينيك اللي عايزة، قلبك هو اللي بيقول كلام كثير، اسمعي كلامه!

ارتبكت وأجابت بخجل:

- لاء، أنا مش عايزة حاجة

وضحك من مظهرها، فهو فور أن يريكها يتحول وجهها للون الوردي وتتلعثم في الرد:

- بس هتفضحنا

- تنفض عادي وألم الموضوع وأصلح غلطتي واكتب عليكِ دلوقتي ، قلتِ إيه ؟
وصمتت ففهي معه تفقد القدرة على الرد
- يا عمي !
نادي بصوت عالي لتضع يدها على فمه:
- بس يا مؤمن ... بس
وتجمد المشهد وهو ينظر لعيناها ويدها الموضوعة على شفتيه ، ولم يعدها سوى قبلة
طبعها على راحة يدها لترتبك وتبتعد!
- تصبجي على خير
غادر وهي فاقدة القدرة على الرد ، أغلقت النافذة وهمست بحالمية:
- وانت من أهله.

الندم، أقسمت ألا يكون له مكاناً بحياتها، لكنه صفعها بأقصى طريقة ممكنة، فهو رآها عائدة والدموع بعينها ولأول مرة منذ أن تركها تلتقي أعينهم، عيناها نادمة تبكي وهو ود أن يسأل عن ما بها، قلبه الأحق لازال معلقاً وعقله رافض وكرامته إنتصرت ليبتعد، رغم أن عيناها طلبت منه أن يبقى، تنشد منه دعماً كما إعتادت، أمان كانت تشعره به معه، لكنه ابتعد لتدرك أنها خسرت كل شيء، ودموع ندما سقطت بغرفتها وهي تتذكر ما حدث، قاسم إبتعد، تغير، وهي اعتذرت له مراراً لكنه تغير واليوم قررت مفاجئته بمكتبه لتكون المفاجأة من نصيبها عندما فتحت الباب ليصدمها مشهدها والفتاة بين ذراعيه!، إبتعد عنها وارتبكت الفتاة تعدل من ملابسها وتغادر وهي واقفة على صدمتها حتى اتجه هو يغلق الباب:

- بسمه، أنا

قاطعته تصيح بغضب:

- انت حيوان، حقير ... كل ده بتكذب عليا ويتخدعني، وأنا العبيطة اللي صدقتك وخسرت كل حاجة عشانك، يا ندل!

ورفعت يدها لتصفعه عندما أمسك بها يضغط عليها وعينيه تلمع بشراسة:

- لا والله فعلاً إنتِ الضحية عشان حبتيني، مش لإني ابن دكتورك في الجامعة ولا لإن الفيللا والعربية حليو في عينيك وقلتي عريس لقطة وأهو أحسن من الميكانيكي بتاعك!

واندفعت الدموع من عينيها وهو يواجهها بحقيقتها:

- إنتِ هتفضلي طول عمرك كده تبصي لفوق بس عمرك ما هتوصلي لحاجة، كنتِ لعبة مسلية يا بسمه بس نهاية أي لعبة إنها تترمي يا تربية الحواري!

ودخل والده ليجدها تبكي وهو يطردها ومظهره أقلق الأب العالم بعث ولده جيداً وجملتها أكدت شكوكه:

- أنا هفضحك يا دكتور يا محترم، هتشوف تربية الحواري دي هتعمل إيه هتخرج من الجامعة بفضيحة!

ونظرتها لوالده كانت نارية قبل أن تغادر وتترك والده يحدق به حائفاً، فهو إكتفى من مصائبه التي لا تنتهي، فالطبيب اللامع عابث من الدرجة الأولى لكن الأمر كان يقتصر على رحلاته لأوروبا وأمريكا، مجونه هناك لا يعلم أحد عنه شيء أما الآن فالأمر يهدد سمعة والده، بل سمعة العائلة كلها!

جلست بغرفتها تراجع كل ما حدث وقررت أن تنتقم فهي لن تصمت ولن تتراجع، لن يسلبها كل شيء ويتركها محطمة حين دخلت والدتها:

- أبوك عايزك ومعه ضيوف

- مش هقابل حد سيبوني لوحدي!

صاحت بحق ووالدتها ضاقت ذرعاً فجذبتها من ذراعها:

- قومي غيري يا شملولة، ده الدكتور بتاعك وابنه!

ومجرد سماع اسمه جعلها تنطلق كالإعصار الغاضب لتجدهم يجلسون مع والدها وضربت بكل أعراف واجبات الضيف عرض الحائط:

- انت إيه اللي جابك هنا؟

- جاي يطلب إيدك

أجاب والده لتصيبها الصدمة بالحرس!

- وطلبات الدكتوراة أوامر، دي زي بنتي تمام، الشبكة اللي هي عايزاها، والفرح في أكبر قاعة في مصر بس هيسكنوا معانا في الفيلا، والددة قاسم متعلقة بيه، وحيدها!

ولم تتوقع الأمر أبداً، ربما هي في حلم لكن أخرجها صوته من صدمتها:

- قلت إيه يا بسمه؟

وتلك المرة هي صفقة واضحة صريحة لا مواربة بها والخيار لها إما رفض أو قبول، ولم تكن لتفكر فصفقتها راجحة للغاية، أحلامها قدمت إليها على طبق من ذهب!

- موافقة!

وتمت الصفقة دون ذرة ندم!
فلا مكان للندم بحياتها كل هزيمة تحولها إلى نصر ..
لكن هل كان الندم ليترك أحداً؟!

الفصل الحادي عشر

في عالم آدم وحواء لطالما ترددت كلمة واحدة ينتهي بها الأمر أو يبدأ، "الزواج"!
إستقرار، أمان، راحة، وسيلة تحولت لغاية مع مرور الزمن، المجتمع يصور كل حواء
ساعية للزواج، وكل آدم هارباً منه!

متى تحولت تلك المعادلة بمرور السنوات؟ لا أحد يعلم!
فقديماً كان الزواج أبدياً مقدساً قائماً على الإحترام، حيث كانت الزوجة تنادي زوجها
بالسيد وهو ينعثها بالهانم، يقدرها ويراهها سيده النساء وأم الأولاد، وتحول الأمر
لتصبح الحكومة وأم العيال!

لطالما كانت القاعدة الأشهر للعابثين والجملة التي ينهي بها كل علاقاته:

"أنا لا يمكن أتجوز بنت مشيت معاها!"

وتحول الشعار " إتجوز الي مشيت معاك وكلمتك بدل ما تتجوز الي مشيت وكلمت
غيرك!!!"

وتحول الزواج لمغامرة تنتهي بطلاق ومحاكم وأطفال مشردة وحالة تامة من الضياع،
ووقف العقل ضائع ورفع شعار لا تعليق!

- عقل!، هو الي ابنك بيعمله ده فيه عقل؟

صاح غاضباً!، فهو أكتفى من عبث مدلل والدته ، صمت عن عريده ببلاد الغرب
وتلك الرحلات التي ينتعد بها لينفرد بشهواته ورغباته، لكن أن يصل الأمر للجامعة
فهو تخطي الحدود وأصبح يهدد سمعة العائلة.

- تقوم تخطب له بنت حته موظف؟ بقى قاسم الوكيل يتجوز بنت من حارة؟

طالعها بإستنكار، فهي السبب في فسادها بدلالها وذلك الغرور الذي أركت به نفسه:

- بنت الموظف ابنك كان واعدها بالجواز ولما معرفش يوصل معاها حاجة سابها
وكل مغامراته، بنت الموظف شافته مع واحدة من طالباته في مكتبه.
نظرت إليه والدته بلوم ليهرب بنظراته إلى الأرض ولو أن الحزي لم يعرف طريقه إليه
بل الغضب، هو غاضب منها ومن والده ومن الموقف بأكمله!

- بس يا مختار

قاطعها قبل أن تكمل:

- بسمه دي إنت متعرفياش، بنت قوية وجريئة، هتفضحه وتشهر بيه لولا إنها طماعة
كنت اضطريت أنا وابنك نستقيل!
رفعت حاجبها مستنكرة:

- للدرجة دي!

- دي سمعة يا هانم، جوازه من بسمه هيقطع كل الألسنة ويتلم بقى.
وغادر مع تلك الجملة بعد أن أصدر فرمانه، قاسم غاضب لكنه قرر أن يرى الجانب
الإيجابي، هي جميلة وستصبح زوجته، جائزة إضافية بجانب عبثه، فما كان لعقد زواج
أن يروض جموحه!

بينما هي ترى في ذلك الزواج الحلم الذي لطالما أرادته، ستحقق كل أحلامها، هي
ليست بالغرة، والأمر بعيد عن المشاعر، فوالده اشترى صمتها وهي باعت والصفقة
رابحة للغاية، تطالع حجرتها ودهان الحائط المهترىء، مكتبها وسريها، كل تلك الحياة
التي تكرهها ستستبدلها بأخرى، ستعيش في قصر فخم، الطيبة زوجة الطبيب
الشاب الوسيم صاحب النزوات!

فليكن!، هي ستروضه وستجعله طوع بناتها فلا أحد يحصل على كل شيء ولا
إنسان كامل بتلك الحياة والأضرار الجانبية شر لا بد منه، هكذا علمتها دراستها
للطب وهي ستحد من تلك الآثار، فالزواج الناجح يتطلب الذكاء وهي تمتلك الكثير
منه ولن تخسر معركتها!

أما هو فيشعر بمرارة الخسارة وإن كان ينكرها، هو لا يعلم شيئاً بعد عن خبر خطبتها لكن اليوم علمت شقيقته بالخبر وهي ترى الزينة تُعلق على منزلها والزغاريد تعلو بينما هي تتجه لمنزل والدتها:

- ده فرح مين؟

تساءلت بإبتسامة سرعان ما تلاشت عندما أجابها زوجها:

- خطوبة بسمة، عرفتي ليه قلت لك تيجي لوالدتك النهاردة!

وسقط الأمر بقلها، تخشى رد فعل شقيقها وتشفق على كسرة قلبه:

- منها لله الي ما تتسمى، مش عارفة لما يصحى ويعرف هيعمل إيه؟

وهو مستيقظ بل لم يَمَ ليلته، هو بداخل غرفته يستمع لمهيات والدته وشقيقته وصوت الزغاريد، خرج إلى الشرفة يشاهد الزينة والأضواء تعلق على منزلها ويتذكر يوم خطبتهم، يوم ارتبط بها وقرر أن يمنحها كل ما أرادت ولم يطلب سوى حبها الذي بدا بالمطلب الكبير، مثله لا يصلح للعشق والحب وتلك المشاعر التي تتغنى بها طبقة لا ينتمي إليها، هو ينتمي لطبقة الكادحين حيث العمل والزواج لإنجاب الأطفال والزوجة للعمل في المنزل وإطاعة زوجها والأيام روتينية والحياة مملة، قطار لا يجيد عن قضبانته ولا يحق له التمرد فيتسبب بكارثة، وعليه فالزواج التقليدي هو الحل، فتاة بمواصفات ترضيه وتناسب متطلباته، وخرج من غرفته يخبرهم بقراره:

- أنا عايز عروسة!

عروس بمواصفات تتفق مع رغباته ومتطلبات حياته والعشق دعه للكتاب والأغاني وصالات السنيما فالزواج على أرض الواقع يختلف تماماً!

وقصته تكرر مراراً وتكراراً وهو يرفض التعلم، وكل عامر يرفض التعلم فهو من سيغير النهاية!

توجه صباحاً إلى محله يفتحه وعقله يدور فيما حدث بالأمس:

- نهاية كلامي اللي أنا قلتها، مفيش كتب كتاب إلا يوم الفرح والقايمة والمؤخر اللي أنا قلت عليهم!

- بس إتفاقتا مكانش فيه قايمة يا أم هدير ولا إيه يا حاج؟

أشار لوالدها الجالس، فرمقته زوجته بنظرة واحدة ليصمت عن كل شيء يريد النطق به ويحييه بما إتفقا عليه:

- حقها، أنا لازم أضمن لها حقها

وهنا تدخلت والدتها معترضة:

- بص يا ابن الناس ده آخر كلامي وهتمضي القايمة ولا أمك مش عاجبها؟

قالتها بتهكم فهي تريد أن تخرج والدته، من تود الإستحواذ عليه فيصبح الرأي لها والكلمة تملكها:

- وإيه دخل أي بال موضوع؟

- ما احنا مش جايين على هواها، ده مفكرتش ترفع علينا سماعة التليفون ولو بالكذب، ومن الآخر لو انت شاري يبقى تمضي على القايمة والمؤخر يا إما تسيبها والباب يفوت جمل!

صاحت تستفزه ليلتقط مفاتيحه وهاتفه وتخرج هدير من غرفتها في محاولة للسيطرة على الموقف ووقفت أمامه وجها لوجه لترى الغضب يكسو ملامحه:

- عاجبك كلام أمك؟!

أخبرها قبل أن يغادر ووالدتها تصبح:

- مالها أمها يا عنيا طيب وحياة أمها ما هتطول ضفرها يا عامر وهتشوف يا ابن أمك!

- بس بقي!

كان صياح الإبنة التي اكتفت مما يحدث:

- إنتِ بترعقي لي يا بت إنتِ؟

نظرت إلى والدها تستجدي مساندة لم تحصل عليها يوماً منه لتعود نظراتها لوالدتها مجدداً في ضعف، الدموع تتجمع بعيناها:

- ليه كده؟

كان سؤالها الوحيد وبعدها هربت إلى حجرها تبكي، فالزواج بالنسبة إليها فرصة وبالنسبة له عناد، ولوالدتها الزواج حرب، فرض قوة وسيطرة، فمن تكن له السيطرة والغلبة من البداية هو من سيفرض رأيه للنهاية ومن سيتنازل مرة سيستمر مسلسل تنازلاته!

وهي لن تتنازل يوماً، فالزواج دراما لن تدخلها لحياتها وتعقيدات لن تسمح بها، فهي حرة تفعل ما تريد والرجال والنساء لعبتها على حد سواء والكلمة العليا لها وحدها فهي ليس بتلك البلهاء التي تدخل إلى قفص تغلقه بإرادتها وتهدي أحدهم المفتاح بل هي من تملك مفاتيح الجميع، لكنها تنسى نفسها بمكان واحد، الماء!

فها هي بحمام السباحة تمارس رياضتها المفضلة التي طالما برعت بها منذ أن كانت طفلة:

- ممكن تخرجي من المياه بقى بقالك ساعتين متعبتين متعبتين
صاحت بها صديقتها التي تجلس بالخارج في إنتظارها فخرجت من الماء ترتدي لباس بحر أسود وهي تعشق ذلك اللون الذي يناقض بياض بشرتها، جميلة وتستعرض ذلك الجمال دون رقيب لكنها بمزاج عكر، هي إفتقدته لأيام!

- مالك؟ المود بايظ ليه؟

لم تجبها أو تعيرها إهتمام حتى، هي لا تعلم لم جلبت معها تلك الثرثرة من البداية؟! إلتقطت هاتفها تطلب رقمه فظل الهاتف يرن بجواره لمدة قبل أن يلتقي بربطة العنق التي لن يرتديها ويجيب.

- وحشتني!

وإن لم يكن رقمها مسجل بهاتفه ويحفظه عن ظهر قلب ما كان ليغفل عن نبرة صوتها

- إحلفي!

- وحياة حلمي بيك إمبراح
يعلم أنها تكذب وتخدعه لكنه وجد نفسه يبتسم ويستمر بلعبتها:

- حلمتي بايه؟

- نتقابل بالليل وهحكي لك بالتفصيل ولا خايف خطيبتك تعرف؟
خطيبته؟!

هونسي أمرها أو يحاول أن ينسأه، فخطيبته أصبحت زوجته منذ عدة أيام!

- كتب كتاب!
- أيوه كتب كتابك على نورا
- أجابته والدته كأنه الشيء البديهي ليصبح غاضباً:
- أنا مش عايزها! مش عايز أتزفت أتجوز!
- إقتربت منه والدته وربتت على كتفه:
- أنا مش هعيش لك يا مؤمن ونفسي اتطمئن عليك مع اللي تصونك وتحبك، عايزة أموت مرتاحة.
- ماما متقوليش كده، أنا الدنيا كلها متعوضنيش عنك
- وفكرة فقدتها ترعبه، هي ضغطت على وتر حساس بداخله ومع تدهور حالتها الصحية في الأيام السابقة منحها موافقة تريدها، حفل عقد القران عائلي بمنزل العروس التي جلست في توتر وخجل كعادتها ووقعت عقد زواجها منه والتفاصيل مرت بعقله بغضب، خطبتها كانت أمراً وأن يعقدا قرانهم كان أمراً آخر، هي الآن زوجته وعكس توقعاتها فقد انصرف بعد عقد قرانهم ليتركها حائرة تتساءل بصمت عن سر إبتعاده!
- مؤمن، رحت فين؟
- عاد إلى واقعه على صوتها:
- بسمعك
- وانطلقت ضحكاتها فهي ترى الحيرة بنبرة صوته:
- فعلاً؟! طيب تعالى النادي
- والشغل؟
- تساءل باستنكار لتجيبه بهدوء ونبرة شقية:
- أنا أخذت لك أجازة النهاردة لأنك وحد ش تني!

كلمتها متقطعة بنبرة مغرية ومهما حاول لازل شيء ما به متعلق بها وربما هو يحتاجها
الآن لتسحبه إلى عالمها بعد أن أصبح يغرق بتفاصيل حياة جديدة، بزواج تعتقد
والدتها أنه سيعيده لسيرته الأولى، فهي النصيحة الأولى والأقدم:
"جوزيه يمكن يعقل!"
فتحول الزواج لتأديب وتهذيب وإصلاح!

عالمنا المستقر مهما كانت صلابته يسهل زعزعته، إنه تأثير الفراشة التي يمكنها أن تحدث إعصاراً بضع بداخله، وهو ثأنة ضائع، فلا يفسد كيان الرجل إلا امرأة، فما بالك يا مرأتين كتماهما تتفنن في عذابه ووضعه بين شقي الرحي لكنه بالنهاية عاد، فلا حل آخر، لن يترك عمله يتداعى لكنه لم يعد لمنزله، هو يبحث عن الهدوء والراحة، إعادة ترتيب ذلك الكيان المبعثر، لكن بعثرة آدم هي هواية حواء المفضلة فقد وجدها تدخل لمكتبه لهدوء:

- عمرو!

همست بهدوء، وهو لا يحتاج للنظر، هو يحفظ تلك النبذة جيداً، ظل ينظر لأوراقه لا يود مواجهتها عندما توجهت نحوه ووضعت يدها على كتفه:

- عمرو متعملمش فيا كده، عشان خاطري

لطالما كان عنيداً ولو كان يشفق لكن تلك اللحظة اختلط عناده بغضب، بألم زلة كاد ينساق إليها ولا يجد من يلوم سواها.

- انت رعبتي لما اختفيت، إزاي تتصرف بأناية كده؟

وكانت الكلمة التي أنهت على صبره فنظر إليها بغضب مستعر بعينه وغادر كرسيه بغضب يصيح بها:

- أناية، إنتِ آخر واحدة تتكلم عن الأناية، جاية ليه يا مها؟ إنتِ مش قادرة تحسي باللي عملتيه؟، عايزة اشتغل يا عمرو، حاضر، هسافر يا عمرو، ماشي، قصرقي في البيت وقلت عديها لها صعب عليها لكن إنتِ حطيتي واحدة ثانية بينا واحدة عارفة كل أسرار بيتي، أسرار أوضة نومي!

صاح بها يجذبها من ذراعها والدموع تتجمع بعينها:

- أنا.....

- إنتِ إيه؟! إنتِ تحرسي خالص، مش عايز أسمع ولا أفهم، غرام كانت معايا هنا في مكنتي، قالت لي بحبك وعازاك وأنا كنت

- عمرو!

أوقفه صوتها ليعود لواقعه، هو لم يرد، لم يصيح ويغضب، هو فقط صامت على حاله وهي لا تزال تستجديه بحبها:

- عشان خاطري رد عليا، قولي كلمة واحدة حتى...

- أنا آسف!

واعتذر رغم غضبه، صياحه ولومه الذي لم يغادرا داخله، كل ما أراد قوله وعجز عنه تحول لإعتذار، فهو كاد أن يخونها ويدنس حب عاش بينهما لسنوات والحب يشفع!

واليوم شفع لها فهل يشفع له يوماً؟!

والحب كلمة أصبحت مستهلكة في عالم الرغبة، فغرام أقسمت أنها تحبه والحقيقة أنها تريده ولن تتنازل عنه مهما حدث، فوز تقسم أن تحققه وانتقلت الخطوة للمرحلة التالية، فهو عاد إلى المنزل مع زوجته لكن ذلك الضياع لم يفارقه، إقتربت تحتضنه وتسند رأسها لظهره:

- وحشتني أوي

تندل ودلالها إعتذار مبطن، لكن الإعتذارات لا تصلح دوماً ما تم كسره أو ربما ما تم غرسه بعقله وكيانه.

- عايز أنا!

وبالفعل هرب إلى النوم وترك جملة واحدة تتردد بعقلها أخبرتها بها غرام وقت إختفائه: "أنتِ عاملة بنفسك كده ليه؟! هتموتي نفسك عليه وهو تلاقيه عايش حياته ولا على باله ومش بعيد يكون بيخونك!"

خيانة! تردد الأمر بعقلها يمزقها ويحرق قلبها بمرارة، أيعقل أنه بالفعل يخونها؟!، هي كانت تموت قلقاً وهو بصحبة امرأة أخرى!، امرأة أخرى دخلت لعالمه؟!

ولم لا؟، هو رجل وفي قاموس حواء الإستنتاج سهل للغاية والمقدمات تؤدي إلى نتائج، هو رجل إذا! هو خائن!

الزواج طرفين لا تدخل ثالث لهما والا إختل كل شيء!

واختلال!

كل ما تشعر به منذ ذلك الشجار هو الإختلال، وقد قررت أن عليها إصلاح ما حدث، فهي لن تتركه محملاً كلفها الأمر، غادرت في صمت تعلم وجهتها!

- هدير! إنتِ إيه اللي جابك هنا؟

- ممكن أتكلم معاك؟

أجابت بصوت يختنق بدموعها فلم يجد بداً إلا أن يوافق على ما طلبت وانصرف معها.

- أنا آسفة على كل اللي ماما قالتة، أنا مش عايزة حاجة يا عامر بس ماما صعبة أوي ومبعرفش أتصرف معاها وأنا مش عايزة أسيبك، أنا بحبك.

وانهارت بأكية وهي تعلم مدى تأثير دموعها عليه!

- هدير، أنا مش مستخسر فيك حاجة بس...

قاطعته قبل أن يكمل:

- عارفة والله، هما مش قادرين يفهموا ده، أنا عندي إستعداد تتجوز دلوقتي حالاً وتقعدي في بيت أهلِكَ حتى!

وعرضها تخبره به أنها لا تهتم إلا لسواه، لا تريد شيئاً إلا أن تكون معه، هي باعت الدنيا كلها لأجله، فمسح على شعرها بهدوء:

- متقلقيش، أنا هتصرف.

قالها إبتسامة حانية، فهي تمسكت به وأقل ما يمكنه فعله هو رد الجميل:

- روجي دلوقتي ومتقوليش أي حاجة

أومأت برأسها وغادرت، فهي ستسمع إليه فيما عدا أنها أخبرت والدتها بما دار بينهما لترسم إبتسامة على وجهها:

- شفتي؟ مش قلت لك روجي له وهو هينفذ يا خاينة، الرجالة دول أنا حفظاهم صم!

والحرب خدعة والزواج أيضاً!

وهو إحترف الخدع وأصبح ماهراً بها وتحولت أيامه ولياليه لخدع مختلفة، كل يوم تختلف القصة والرواية ويبقى هو بطلها، وهي لمحتة يدخل إلى النادي، نظرة سريعة وأبعدت عيناها عنه بسرعة!

- رولا بتبص عليك

أخبرته فلم يلتفت، فقط أجابها بهدوء:

- كبري دماغك

- تفكرك لسه بتفكر فيك؟!

همست وهي تقترب تتلمس فتحة قميصه بأناملها..

- إنت متميزيش إحنا فين، الناس حوالينا

وتعلقت عيناها بعينه ونظرات العيون تجذب وإن كانت تكذب:

- أنا مش شايفة غيرك

حرك عينيه مستنكراً، ربما هذا ما يجذبه لها أنها دوماً مختلفة، ورولا كانت هي الأخرى مختلفة، لم تكن رغبة أو رهان كغيرها بل كانت بقائمة المميزين، هي من تلت ندى بالترتيب وهي لم تنسأه قط، لازالت تتذكر أول لقاء بينها هنا بالتحديد حيث كادت تغرق رغم عشقها السباحة ليلاً كعادتها لكن هاجمتها نوبة من الدوار حاولت تجاهلها لتزداد ولم تستطع المقاومة وآخر ما رأت كان شخصاً يقفز بالماء لتفقد بعدها وعيها وتسترده بقبلة كحال بياض الثلج، هو كان يحاول إعادتها للحياة مجدداً، أخذت تسعل وتخرج الماء العالق بخلقتها وهو ابتعد يلتقط أنفاسه وأول جملة بينهما كانت:

- يا شيخه حرام عليك رعبتيني!

عادت من ذاكرتها على صوت ثرثرة صديقاتها التي نادتها إحداهن لتدرك أن عيناها لازالت مسلطة عليه والأدهى وجدته يتجه نحوها حتى ظنت أنه قادم إليها فتوترت وتجمدت مكانها ليتخطاها وكادت تنفَس الصعداء لولا أنها لمحت تلك الحلقة الفضية حول إصبعه، إرتبط رسمياً بأخرى، سيتزوج وهو كان السبب بقصة زواجها!

زواج أمام المجتمع وكفى لكنه بالحقيقة جيم إرتباط إضطرابي، فهي عادت إلى المنزل لتجده في إنتظارها غاضباً:

- بكلمك على موبايك مبتدش ليه؟

تجاهلته وكادت تتجه إلى أعلى عندما أوقفها صياحه:

- رولا!

- عماد، متعلش صوتك أنا عندي صدام!

واتجهت إلى أعلى بهدوء وتركته يحترق، هي قصة زواج مشتعل تحول إلى رماد!
إرتمت على السرير تتذكر كيف تطورت علاقتهم بسرعة وعاشت أياماً كالخيال، كانت تهرب معه من الجميع، حضر مؤمن واختفت معه رولا، ولم تهتم إلى أي شيء سواه ولا حتى الصفقة المعدة مسبقاً والمسمى زواج بل قررت أن تهيبها، فهي تعشقه ومنحته كل شيء ولم تصدق يوماً أنها قد تكون خدعة!

هي تراه عاشق وهو يراها خائنة وانتقام مثالي من ذلك الذي أراد أن يغيره، تلاعب به ولا يعلم أنها لعبة خطيرة وأن تلك النار قد تمسه بل فعلت، هو سبقه لخطيبته وجعلها ملكاً له.

إرتدت قميصه الذي بدا فضفاضاً عليها للغاية ووقفت تستعرضه أمامه:

- إيه رأيك؟

إبتسم إلى جنونها قبل أن يسأل:

- أنا نفسي أعرف البنات بتحب الحركة دي لي؟

إبتسمت بشقاوة واتجهت نحوه قبل أن تميل مقتربة:

- والرجالة بتحبها ليه؟

طالها من أطراف أصابعها إلى رأسها واستقرت عينيه على فتحة قميصها

- هاأقولك

جذبها بين ذراعيه وهي تضحك وقاطعهم رنين جرس الباب!

- ده أكيد الديليفري

واتجه إلى الباب يفتحه وهو يعلم من الباب جيداً، هو من اتصل به يخبره أنه مع فتاة
وطلب منه الحضور ليأتي الآخر على الفور، فتح الباب وهو يقف أمامه عاري الجذع
- عمدة، أدخل!

ناولته زجاجة من الخمر وسؤال واحد:

- مزة؟

- مقولكش!

وقبل أن يتحدث أحدهما كانت تخرج من الغرفة..

- مؤمن أنا جعانة و.....

توقفت الكلمات مجلقها والنظرات المصدومة من كلاهما بينما هو كانت نظراته شامطة
- إنتوا تعرفوا بعض؟

تساءل بإدعاء ومجل ليدفعه عماد غاضباً:

- دي خطيطي!

وهربت من أمامهم لكنه أمسك بها يجذبها من شعرها ليعده مؤمن عنها:

- لا!، فضايحك دي، أقصد خلافاً لكم العائلية دي تخلوها بعيد عن هنا، أنا مش عايز

دوشة، رولا إليسي هدومك يا حبيبتي عشان تروحي مع خطيطك!

ولكمة كانت من نصيبه وسبة ليبادله أخرى وسجل انتهى به يوصلها لمنزلها وهو في

حالة من الصدمة وهي تتوقع ما سيحدث فضيحة، عار وكارثة لكنها قررت أن تقلب

الطاولة:

- الهانم كانت في شقة واحد صاحبي!

- إنت اتجننت!

صاحت والبتها وأمسك والدها بتلايب قيصه لتصبح هي بدموعها:

- كداب، أنا كنت معاه، غلطتي إني وثقت فيه وحببته وغصب عني ادبته كل حاجة

ولما قلت له يسرع في جوازنا عايز يتخلي عني بعد اللي حصل بينا.

وانهمرت دموعها وسقطت فاقدة للوعي ليجد نفسه متهم ووالدها يهدده ووالده
بمسحهم من السوق تماماً!

- أتجوزها وهي كانت مع صاحبي في شقته؟!

صاح بوالده بغضب هادر، ليجيبه والده في إنكسار:

- إنت عارف إننا مديونين وأبوها ممكن يفعضنا، هنبقى في الشارع، والبنت قالت
إنك.....

- كدابة وسافلة وحقيرة، مش هتجوزها، الموت أهون عندي من إني أتجوز واحدة
زي دي!

والكلمات دوماً قوية رنانة أما الأفعال فتختلف تماماً، فما هي إلا أيام حتى نشرت
الجرائد خبر زواج الفاتنة ابنة الحسب والنسب من المهندس الشاب ابن رجل
الأعمال المعروف والعاقبة عندكم في المسرات!

زواجها أو صفقتها، لا يهم هي بأول خطوات الحلم، حفل خطبة بمنزل زوجها المستقبلي الفخم، تحديداً منزل والده ولم يحضر سوى والديها وشقيقتها غير ذلك ليس ممهاً ولا ضروري بل هؤلاء اضطرت لهم والبقية لن يناسبوا وجهتها الإجتماعية، حمايتها المستقبلية كانت غاضبة لكنها لم تعد، فقد إقتربت بسمة تحيياً بلباقة فإبتسمت، الفتاة قادرة على التحول وستكون واجهة إجتماعية جيدة، إقترب قاسم منها وأمسك بيدها:

- لسه زعلانة مني؟

لم تجبه، فقبل يدها ونظر إليها بنظرة عابث محترف:

- أنا بحبك يا بسمة، عملت كل ده عشانك!

ورغم عدم إقتناعها إبتسمت واشترت كذبتة فبعالمها كل شيء يباع ويشترى، وما يهم هو الثمن!

ثم كان يدفعه من جرح قلبه، فقد جلس بجوار صديقه أمام النيل كما اعتادا أن يفضي كل منهما للآخر بما يجول في صدره، لكن تلك المرة مختلفة، أنس أحضره لغرض يعلمه ويراه بعينه منذ أن غادرا المقهى، وصمم مؤمن أن يجلسا هنا ليفرض أنس الصمت التام ويقطعه بعد فترة:

- ما تقوم نروح أي حنة!

قالها بتردد، ورغم إدراك صديقه لما يعنيه أراد أن يسمعها منه:

- حنة فين؟

- أي حنة يا مؤمن، إختار انت على ذوقك.

وكما توقع تماماً، ارتسمت إبتسامة متهمكة على ثغره:

- ومن إمتى بيعجبك ذوقي يا حاج أنس؟

سؤال أصاب داخله، فهو يريد أن يبتعد، أن ينسى ما حدث!

- إنت اتصلت بيا ليه؟

صمت كان كل ما حصل عليه، فهو لم يعترف بالأمر ولو أن عقله يصرخ به، غادر منزله ولم يجد سواه ليهاتفه.

- أقولك أنا، إنت إتصلت بيا متوقع إني أخذك وأسهرك سهرة من إياهم، نطلع على أي night club نشرب ونسهر وإحتال نشقظ لنا بنتين!

طالعه بدهشة، هو إستطاع قراءة ما لم يعترف هو به أو يصرح به، ذلك ما أراد، أراد أن يكون شخصاً مختلفاً، ينسى أنها دهست حبه وأوجعت كرامته وكبرياؤه.

- إنت بتدور على شيطانك وأنا مش هاكون شيطانك يا أنس!

طالعه بصمت قبل أن يصرح بها:

- أنا بحبها يا مؤمن، لسه بحبها!

ربت على كتفه مواسياً:

- قوم روح وانسى مفيش واحدة تستاهل!

وبعد فترة أوصله لمنزله، وتركه ليعود هو سيراً لمنزله وبشاعة حواء تغضبه حد الألم ولذا هو يضعهن جميعا بخانة الرغبة، فإن حاولت أن ترفع إحداهن في مكانة أكبر

سينتهي بك الأمر مجروحاً كحال صديق يود فقد نفسه كما فقدوها!

ود أن يعود لشقته لكن هناك سيجد ما يذكره بليال يود نسيانها في تلك اللحظة، سيتذكر ليال معها ومع غيرها رغم أن لياليها كانت مختلفة، ربما لأنها كانت تحمل حباً ظل يحبو في كل مرة حتى إنظفاً.

توجه لمنزل والدته وكاد يصعد السلم ليجدها تترجل فتراجع ليقف أسفل درجات السلم وما كادت تمر بجواره حتى جذبها من ذراعها لتشهق بخوف!

- كنتِ فين ؟

- عند ماما ليلي

أجابت بعفوية لبيتسم بعث:

- الله على ماما ليلي!، تصدقي حبيت إسم ليلي أكثر ما بحبه

أفلتت من قبضته وكادت أن تتحرك ليسد الطريق أمامها مجدداً:

- ممكن تبطل وتعدينى ، الوقت اتأخر .
- ولما إنت عارفة ان الوقت متأخر إيه مخرجك دلوقتى ؟
- ماما ليلى كاذ..
- وضع إصبعه على شفيتها فصمتت!
- كفاية ماما ليلى .. كمان واحدة ومش هتلاقينى هنا
- واقترب لتتراجع ويوقفها الحائط خلفها:
- إيه يا بت الرقة دي كلها ؟
- أخفضت بصرها وأرادت الهرب من أمامه ، لكنه كان يحتجزها بينه وبين الحائط:
- مينفعش وقفنا دي
- هو اللي مينفعش فعلاً إنك كل شوية تحلوي كده!
- وامتدت يده تحيط بخصرها لتعترض:
- مؤمن!
- إيه ، احنا مش كتبنا كتابنا الأسبوع اللي فات ؟ ، عايز أكّد على العقد!
- وكادت أن تسقط بين يديه من فرط ارتباكها ، توترها ونظراته التي تركزت على شفيتها
- واقتراب يقتحم به المساحة بينهما ، قلبها يهدر بعنف ولا تعلم ما حدث سوى أنها
- أوقفته بصفعة على وجهه وهي مصدومة مما فعلت! ، فهربت لداخل شقتهم وتركته
- مدهوشاً مما فعلت!
- يا بنت المجنونة!
- قالها بإبتسامة لا يدري سببها؟! ، هل كان سعيداً لأنها رفضته؟!!
- أما هي ، فقد توقفت أمام الباب ووالدتها ترى توترها واحمرار وجنتيها بل هروبا
- لحجرتها لتوقفها فحاولت أن تستجمع نفسها وتنحنت قبل أن تجيب:
- أيوه يا ماما
- مراته لما تبقي في بيته .
- نظرت إلى والدتها لا تفهم معنى كلماتها لتجعلها أكثر وضوحاً:

- مش معنى إنه كتب كتابك إنه جوزك، جوزك لما تخرجي من بيت أبوك وتبقي في بيته، فهاني؟
أومأت برأسها وغادرت تفكر بكلمات والدتها والأهم ما فعلت، صفعته ولا بد أنه غاضب، هي تخشى ردة فعله؟! وتخشى أنها ربما أضاعته!

وضياع!
هو وصف ما يشعر به، زواجه يتداعى وزوجته تتهمة بالخيانة!
- بخونك!
- أيوة بتخوني، إختفيت وراجع متغير، في واحدة ثانية في حياتك صح؟!
صاحت غاضبة فغادر دون كلمة، فشكوكها حولت حياته لجحيم تام، فالحرب تشتعل مع كل مرة يتأخر، كل حركة وإيماءة ورنة هاتف هي دليل لخيانة لم يرتكبها، ولم يعد يرغب في تلك الحياة ولا ذلك البقاء لكنه يتمسك بمحاولة أخيرة قد تصح كل شيء وبينما هو يجمع أوراقه ليغادر دخلت بهدوء لداخل المكتب، تخطو بخطوات محسوبة، ورفع عينيه ليجدها أمامه!
- ممكن أتكلم معاك؟
- غرام؟؟؟

الفصل الثاني عشر

القرارات متهورة، عشوائية، متأنية، مدروسة، عاطفية، عقلانية...
إتخذها آدم أو أقربها حواء، فبالنهاية نحن ندفع ثمن قراراتنا، قرار قد يحمل سعادتك،
وآخر قد يحمل دمارك، ولك تبقى الحقيقة الثابتة، " أنت من قررت فتحمل!"

- أستاذ آدم، هو أنا ممكن أقولك حاجة؟
- إحنا مش قلنا من غير ألقاب
- هتف وهو يتناول طعامه بالمطعم المفضل له مؤخراً، (منزلهم)!)، علاقة ود غريبة بينه
وبين والدتها التي أصبحت تحنو على الكاتب الشاب الذي لا أهل له وعندما
إعترضت جاء تعليق والدتها:
- ده غلبان وعلى رأي المثل "اللي بلا أم حاله يغم!"
- رفعت حاجبها مستنكرة وتمتمت وهي تتجه لغرفتها:
- هو عنده سبع سنين؟ ده شحط!
- وعادت إلى واقعها ووالدتها تضع أصنافاً أخرى من الطعام أمامه:
- ما تأكل يا ابني
- وكم تود لو تصيح بوالدتها : "ما تهدي يا ماما ده ناقص يأكل الإزاز!"
- لكن ذلك الصباح لم يغادر عقلها، فقط إنتظرت حتى جاء وقت الشاي المقدس
بالصالون وانتهت والدتها من العزائم أو ربما غادرت لتحضر صنفاً آخر لكنها قررت أن
تخبره برأيها:
- الفصل الثاني عشر كله محتاج إعادة صياغة وتعديل، فصل مهم بس أنا حساه
مبعثر، محتاج تفاصيل أكثر وتطبيط، المشاهد حساها مقصودة!

وضع الكوب من يده وطالعهها بنصف إبتسامة:

- إنتِ قررتي تعدي علي أدياً كان؟

وكادت أن تسرد مبرراتها لتصبح حواء بداخلها، تحدثها عن غروره وكيف أنه لن يسمح لإمرأة أن تعدل عمله المكتمل ككمال نفسه الذكورية المعقدة!

- وفيها إيه؟ الفصل ملخبط جداً ومحتاج تعديلات إلا لو العنجهية الذكورية للسيد آدم شاففة انه مينفعش ست تعدل على راجل!

ظل يطالعهها بصمت طال كثيراً قبل أن يجيب بهدوء:

- ماشي يا حوا، عدلي براحتك.

والتعديل الأول جاء على هيئة أمر غاضب:

- اسمي رحاب!

قراره كان الزواج وشرطه الوحيد "مش متعلمة" !
أو على الأقل لم تكمل تعليمها، هو إكتفى ممن يتعاملن مع الزواج على أنه مكتب
للتنسيق لذا فهو يريد لها عادية بل أقل من العادية وربما نسي أو تناسى أن حواء
دوماً إستثنائية ولا توجد إمراة تشبه أخرى، ربما يوجد من الشبه الواحد تسع
وثلاثون شبيهاً، لكن بالنسبة لحواء التسع وثلاثون مثيلاتها كل واحدة تختلف عن
الأخرى، وهي كانت عادية لمن يراها، جال عادي هادي،، خصلات بنية متوسطة
تمائل لون عينيها ذات النظرات الرقيقة كالمحفا وتوارت ملامح أنوثتها خلف فستانها
الفضفاض.

"حياة"، يتيمة الأبوين وتعيش مع خالتها التي ربها كإبنة لها وضيق ذات اليد أرغم
الجميع على العمل وأرغمها على ترك الدراسة والإعتناء بأبناء خالتها رداً لجميلها.
تبدو للنظر أنها أتت من سنوات ماضية ولم تدخل للحياة معتركا، هادئة صامتة لا
ترد ولا يسمع لها صوت سوى بجمل مقتضبة:
"حاضر!"
"جميل!"
" اللي تشوفوه!"

هي مثالية تماماً، عروسه المثالية التي لن يجد أفضل منها، وقراره خالي من المشاعر،
فماذا جلبت له المشاعر سوى الوجد وقراره الخاطيء بمنح قلبه لمن دهسته بل
وتمادت، فقد علا صوتها بشجار مع صبي ورشته:
- شيل القرف دي من هنا!
صاحت تشير إلى إحدى السيارات ونبرة غرورها حولت الأمر لشجار ليتجه أنس
نحوهم:

- وطى صوتك واحترمي نفسك
- إنت بتزعق لي؟، إنت حتة ميكانيكي!

وكادت أن تتحرك عندما أمسك بيدها يقبض على رسغها، ولأول مرة ترى الغضب بعينه وهو ينظر إلى معطفها الطبي الأبيض بيدها:

- فلوس الميكانيكي هي اللي عملتك يا دكتورة!

وترك يدها لتتجه لسيارتها مرتبكة وتقودها بسرعة بما هو صاح بحق:

- حسن!، شيل الزفتة دي من هنا!

- لسه ما اتصلحتش يا أسطى.

قالها ليستكمل صباحه بغضب هادر:

- إديها لصاحبها، أنا مش شغال، هجيب صرفها عشان ترتاحوا!

ولأول مرة يراه الجميع فاقداً لأعصابه، يصبح بالشارع عندما حضر عامر ليجده على تلك الحال فاتجه نحوه محاولاً تهدأته واتجه به إلى محله حيث جلس صامتاً، فالصمت أصبح يطبق على حياته كلها، حياته التي ارتبطت بحياة أخرى، حياته التي ارتبطت بحياة!

- ظالم وهيسحل بنت يتيمة بريئة معاه!

علقت وهي تقلب في الأوراق، وهو تجاهل تعليقها لترفع عينها نحوه:

- على فكرة إنت غلطان، المفروض أنس البطل المثالي في الرواية بس اللي هو بيعمله حالياً ده عك!

إتسعت عيناه في دهشة من وصفها وحقق بها قبل أن يجيب:

- عك! مفيش حاجة إسمها بطل مثالي، لإننا بشر، مفيش حد مثالي، المثالي في كل حاجة مدعي، أنس مجرد إنسان بيخطيء ويصيب!

وحركت رأسها مستنكرة فلسفته لبيهرها بما هو أكثر:

- وبعدين ليه شايفها من منظور نسائي بحث؟ ليه ميكونش مظلوم؟، إتهزت ثقته في الحب وفي نفسه لدرجة إنه مش عايز واحدة تعايره بتعليقه.

وضعت الورق من يدها وأجابت:

- ضعيف، وللأسف حياة هتدفع تمن ضعفه، فعلاً بالنهاية حواء دوماً تدفع ثمن أخطاء آدم.

عادت تجادله بالفصحى ليفعل بالمثل متحدياً:

- بسمه السبب ... حوا السبب.

حواء تدفع ثمن أخطاء حواء أخرى!

ورفعت حاجها مستنكرة!، لا فائدة من جداله فقررت أن تعود إلى الأوراق مرة أخرى لتكمل :

"وهي بلا أخطاء، على الأقل في الفترة الحالية، هو أضحى يحيا سعادة كاملة معها، تذكره ببداية علاقتهم وزواجهم وربما بعد البداية بقليل، فبالبداية كانت إبتعاد منها وازاه إقتراب منه، حتى بدأت الأمور تسير بشكل طبيعي!

تنازل كثيراً وكان ذلك قراره، فالتنازل قرار إتخذه وتحمل تبعاته، وهو الآن يراها تتنازل، لكن هل ستستطيع تحمل التبعات؟

تبعات تتمثل في فقدان حلم الأمومة ربما للأبد، ما ذنبها بعجزه؟ فهو زيارة لمنزل والدته ويراهما تحتضن ابن أخيه الرضيع وتهدهده، مظهرها الأمومي أوجعه، وقاطعت أفكاره بدخولها إلى المطبخ بعد أن استيقظت.

- منير، بتعمل إيه؟

إلتفت إليها مبتسماً قبل أن يجيب بهدوء:

- صينية بطاطس باللحمة، بس إيه هتدوي وتدعي لي!

إتسعت إبتسامتها وقبلت وجنته قبل أن تهمس:

- ربنا يخليك ليا يا حبيبي

كم كانت حنونة ودودة واليوم أمضياه بالمطبخ لإعداد الطعام ومن ثم هوايته الوحيدة، تناول الشاي بالشرفة ونزهة قصيرة وفي الليل نامت مستندة إلى كتفه، تلف يديها حول ذراعه ولم تكمل حتى منتصف الفيلم فحملها إلى السرير كأنها إبنته، قبل رأسها وتركها في سباتها العميق.

يوم مثالي إنتهى باهتزاز هاتفها معلناً عن وصول رسالة لم يفتحها، فقد أمسك بالهاتف لتوقفه صورة الأطفال التي وضعتها بحزن، هي مسكينة وهو يتألم في صمت، السعادة قرار وإدعائها قرار، والتضحية قرار يتخذه الكثير منا بلحظة شهامة، حب، ربما لحظة نجد أنه يجب علينا أن نضحي، فالأمر ليس بالجلل، لكننا غفلنا عن كونها لم تسمى تضحية بلا سبب، الإستمرار متلازمة التضحية، وكسر الوعود مؤلم ويضعك بخانة المذنب، وربما الخائن!

والخيانة قرار!

فالصدفة لا يمكنها أن تجعل منك خائناً، لكن إمراة يمكن أن تجعل منك خائناً، أما
إمراةين فبالأكيد ستجعلان منك خائناً مع سبق الإصرار والترصد!
دخل إلى منزله ليجدها تجلس مع زوجته بعد فترة من الغياب وتقدمت زوجته منه
مبتسمة وقبلت وجنته:

- حمد الله ع السلامة يا حبيبي

نعم حبيبها، فالأمور عادت بينهما لما كانت عليه، بل أنها تركت عملها وعادت تصب
تركيزها كله عليه مجدداً.

"أن تأتي متأخراً خيراً من ألا تأتي أبداً!"، جملة لا تصلح بعالم آدم وحواء، فأن تأتي
متأخراً فلا فتوقع أن تجد كل شيء كما كان عليه

فقد تلاحت الأحداث تبعاً وأولها ظهورها بمكتبه لتكمل حيرته، العقل والقلب، أيها
يتخذ القرار الصحيح؟!

حواء عاطفية دوماً تفكر بمشاعرها وآدم عقلاني بحت، لا يهمه الشعور ويزن كل
الأمور بالعقل، نصفان يكمل بعضهما البعض، إذاً من أين يأتي الخطأ؟!

الخطأ الذي تفاداه للمرة الأولى والخطيئة التي تقف أمامه تنكر هيئة امراة!

- غرام من فضلك....

أشار إليها لتغادر، لكن ما فعلته كان العكس تماماً، فهي تقدمت نحو المكتب بجرأة،
وطرحت سؤالها على الطاولة:

- مقتلش لها ليه؟

إتسعت عيناه بصدمة، لم لم يخبرها؟! ببساطة هو توقع أنها لن تصدقه، لن تصدق أن
أمينه أسرارها خدعتها، النساء يتقن ببعضهن البعض بغرابة، فسيتحول هو للذئب
البشري الذي سال لعبه وحاول كسر الصداقة وصلة القرابة وهو توقع من غرام أن
تفعلها :

- مقتلهاش لإنك من جواك بدأت تحس بيا، بدأت تحس قد إيه مجبك.

ومدت يدها تكاد تلمسه ليمسك بيدها ويبعدها بقوة:

- إطلعي برا والمكتب ده متعتهيهوش تاني!

ضيق عيناها بغضب، فهو جرحها بقوة ورفضها للمرة الثانية لكنها سرعان ما عادت إلى نظرتها المنكسرة:

- بتطردني يا عمرو؟!

وامتلأت عيناها بدموع تجيد استدعاؤها:

- كل ده ليه؟ لأني بحبك؟ بتذلني وتكسريني!، أنا حتى لو وعدتك إني أخرج من حياتك، وإنك مش هتشوفي تاني هأفضل أحبك لآخر عمري.

وغادرت ليجلس بصمت، فقد استمع لصوت العقل وأزال حملاً كبيراً عن كاهله، ثقل كان يحثم على صدره وهي بلا عقل فإذا دخلت الغيرة إلى قلب حواء غادر عقلها بلا رجعة، وهي أضحت بلا عقل تماماً، بل الجنون أصبح دربها وانتهى الأمر بشجار كبير تركت على إثره المنزل، فهو عاد ليجدها غير موجودة فاتصل بهاتفها لتجيبه قائلة:

- هأقعد يومين عند ماما أريح أعصابي وأقيم كل اللي بينا من الأول.

وطريقها أغضبته ليعترض:

- تقيي اللي بينا؟، اعقلي يا مها!

وبهدوء حواء القاتل:

- كده أحسن ليننا إحنا الاتنين، كده هتقدر نفهم اللي بينا صح.

وهو لن يستجدي عودتها، هي مخطئة ولا ترى أبعد من أنفها

- ماشي يا مها براحتك

وأغلق الهاتف غاضباً لاعتنا النساء جميعهن، واحدة تقرب والأخرى تبتعد، فالبداية صدفه مفتعلة بالنادي والنهاية إتصال هاتفي قرب الفجر:

- عمرو أرجوك متقلش، اسمعني ومتردش حتى، ليه بتعمل معايا كده؟ أنا مطلبتش غير حبك، غضب عني، مش قادرة انسأك، شعور عمري ما حسيته قبلك، كن لمستك محت كل اللي قبلها، مبقتش عايزة غيرك.

أغلق الهاتف دون رد، والرد كان بأحلامه حيث كانت له بدنيا الخيال، دنيا لن يحاسبه أحد عليها، هي كانت الرغبة التي إشتعلت وأبت أن تنطفئ معها حاول.
غرام رغبة، غرام شهوة، غرام أصبحت زوجة!
قرار بلا عقل ولا قلب، هو فقط قرار إتخذه لينهي به حيرته، هي معه وامتلاكها أضحى حقه وليلومه من يلوم، ومن سيلوم؟ وهي لا تعلم، بل عادت إليه وأصبحت حياتهم أكثر إستقراراً من الأيام السابقة
قرار بأن يجمع زوجتين، هو ليس أول الرجال ولن يكون آخرهم، قرار اتخذه بناءً على الرغبة والرغبة بعالم آدم مبرر قوي!

حركت عينها بتهم واضح:
- زي ما توقعت! خط مبيتغيرش، لو كنت عايز تختلف مكنتش خليت عمرو إتجوزها!
رفع حاجبه مستنكراً:
- فعلاً؟!
- من غير تهكم لو سمحت!، مش شرط الرغبة دايمًا هي اللي تحكم عالم آدم.
وأخرج لفافة تبغ من العلبة وكاد أن يشعلها لتطالعه بنظرة محذرة وهو بغرفة مكتبها فأعادها مكانها:
- ده في العالم الوردي، إنما الحقيقة غير كده، دي قصص حقيقية كل شخصياتها واقعية وفي الواقع كتر خير عمرو أنه قاوم كل ده.
إبتسمت بسخرية وجوابها غاضب:

- فعلاً! المفروض ياخذ نيشان الشجاعة!، في النهاية خضع للرغبة لأنه ضعيف، ياريتة حبها يمكن كنت ساحتته.
- زي ما الحب مبرر قوي لحوا الرغبة كمان مبرر قوي لآدم
- بس الرغبة بتزول.
- والحب كمان بيزول، الحب مصطلح مبالغ فيه.
- نظرة قوية غاضبة، فكيف يجرو على وصف ذلك المصطلح المقدس بالمبالغة؟!
- بالطبع، فهو يعيش في عالم الرغبة البحتة والتمتة جاءت بخفوت:
- أوغاد!

- هتتجوزها يا أنس؟!

تسأل بدهشة ليومئ برأسه بهدوء:

- إنت مبتجهاش!

والسبب بسيط، هو لا يجهان إذا كيف سيتزوج منها؟، الفتاة هادئة عاقلة، لكنه في النهاية زواج!

- وانت بتحب نورا؟!

صدمه بشدة ليضع دعوة الزفاف بيده وينصرف

لا يجها ولا يكرها، ولا شيء بينها سوى عشق متجسد بعيناها، وغداً زفافه، لا يكاد يصدق، لكن كل ما بعقله كان نورا وفرحتها وهي تضع لمساتها بكل مكان، تغيرها كأنها تعلم ما تحمله من ذكريات عابثة وقررت محوها تماماً كأنها تستطيع!

لازال يتذكر توترها وهي تعتذر عن صفعها له:

- أنا آسفة يا مؤمن بس أنا إرتبكت وفجأة....

واقترب منها بنظرة عابثة لتراجع:

- ممكن تصلحي غلطتك لو تحبي

- هي طريقتك دي اللي بتعمل المشاكل

واقتراب آخر لتجد نفسها محتجزة بركن الأريكة:

- مالها طريقتي؟! وحشة طريقتي؟!

ولم تجبه، فقط نظرت إلى الأرض ولاحظ هو انعكاس صورة والديها بمرآة غرفة الجلوس ليتراجع، هو يعلم أن والديها لا تتقبله، تخشى عليها وهي محقة بدافع الأم لكنه لم يراها يوماً رهاناً كما أرادتها مليكة، تلك التي لا تعلم شيئاً عن زواجه ولن يخبرها. لكن يبدو أنها علمت، فهاثفته تطالبه أن يحضر إليها والديها، إما أن يأتي أو تأتي هي إليه!، ولم يكن أمامه خيار فهو يعلم جنونها ولا يأمن لما قد تفعله، فذهب إليها لتنظر إليه مطولاً قبل أن تنطق:

- تتجوزني؟!

نظر إليها في صدمة!، لا يدري بم يرد على تلك المجنونة التي أحضرته إلى هنا ليلة زفافه لتعرض عرضاً رفضته مراراً.

- إنت جاياني ليلة فرحي تقولي لي اتجوزني؟

أومأت برأسها ووقفت أمامه تعبت بأززار قميصه واحداً تلو الآخر:

- إنت عارف إني مقدرش أستغنى عنك.

- مليكة!

ووضعت إصبعها على شفتيه تمنعه من الكلام قبل أن تستبدلها بشفتها بقبلة حاول مقاومتها لكنه كالعادة كل مرة يسقط معها، تعود لتسيطر عليه مجدداً ووسط عاصفة مشاعرهما وجدها تتبدل بين يديه، خصلاتها الشقراء أضحت بنية طويلة سقطت على كتفه، عيناها وملامحها الجريئة تحولت لبراءة ملامح يعرفها جيداً لكنها احتفظت بنفس النظرة الراغبة والإبتسامة المغوية، دفعها بعيداً عنه وابتعد كأنها كانت شيطاناً بهيئة ملاك وانتفض من نومه ليجد نفسه بغرفته وكل ما مر به كان حلم، بل كابوس كرهه للغاية!

نورا ومليكة...

لا يمكنها أن يكونا وجمان لعملة واحدة!

ووسط كل ذلك كانت هناك حقيقة واحدة يواجهها، الليلة سيتزوج!

الزواج مصطلح تقليدي ويومها كان تقليدي، الإستعداد كأي عروسين، بذلته وفستان زفافها، توترها ووصايا والبتها العشر، الزفة والمعاذيم ورقصة العروسين الأولى ودموع الأمهات وغير ذلك من التفاصيل التي إنتهت بهما بشقتها، أمه توصيها به، ووالبتها بدت كأنها تحذره ووالدها يوصيه بها، فهي قرة عينه، وكانت النهاية هي وهو فقط!

وحقيقة واحدة حاول تجاوزها طوال الليل، هي جميلة، بل بدت رائعة الجمال بفستان زفافها، وهو واقف بالباب يتأملها فقط!

ومنذ متى رفض امرأة ، وهي حتى إن كانت تعشقه فبتلك اللحظة اجتمع عليها خجلها وحيائها وتوترها الطبيعي ، فهو العابث الذي لطالما حاصرها أيام خطبتهم وهي لا تدري عن الصراع بداخله شيئاً ، إتجه إلى الغرفة ووقف أمامها كأنه ينهي ما بداخله من تمزق لتحاول هي الهرب:

- أنا هـ

وأضاع بقية حروفها بقبلة كانت الأولى لها ، نبض لها قلبها بعنف وشعرت أنها تضع بين ذراعيه قبل أن يبتعد لينظر إلى وجهها المشتعل بحمرة خجل وتوترها البادي على ملامحها بينما هي لمحت الحيرة بملامحه قبل أن يتركها ويغادر! ، فلن يحدث بينها أكثر من ذلك ، وتحول توترها لإرتباك تنسأل به عن الخطأ؟!

ربما الخطأ بالبداية كان من القرار!

طالعت الصفحات أمامها وإبتسامة إرتسمت على جانب شفيتها لينظر إليها آدم بغضب وبأتية تعليقاتها الساخر حد الشناعة:

- سقط العابث!

"خلي مليكة تنفعه" ، رددتها بعقلها وكنمت ضحكاتهما لينظر إليها بغضب:

- مبسوفة؟!

- بصراحة متوقعتهاش بس نهاية كل عابث ، يعني يستحقها متخيلتتش إنه هيسيب نورا وهو قادر ياخذ منها حاجة!

إتسعت عينيه في صدمة وتوقفت هي عن الكلام فالأمر محرج ، حتى لو ناقشته من وجه نظر أدبية بحتة:

- هو إنتِ فهمتي إنه! ، لا لا ، الموضوع مش كده ، إنتِ فاهمة غلط!

كنمت ضحكاتهما مجدداً ليزداد غضبه وتوقفت لتجيبه:

- مؤمن حيوان شهواني بتحركه الغريزة بشكل بشع.

وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير ، ولسبب لا تعلمه فهو فقد أعصابه:

- مؤمن نتيجة مجتمع عايز كده، صايع ومقطع السمكة وديلهما، خبرة، اللي حوالين مؤمن هما اللي شوهووه، شايف المزة اللي هناك دي؟ ولو غض البصر يبقى مش راجل، ماتحقق وتبص على الجسم والتقسيمية!، مد إيدك ما هو التحرش غلطتها، هي اللي لابسة كده عشان تتحرش بيها، مجتمع الأفلام الإباحية السفالة فيه بقت السائدة، البنات بقوا عايزين الوقح اللي يلعب بقلبها يمين وشمال إنما المحترم اللي جاي من الباب مينفعش!، يعني إيه تتجوز صالونات؟، هي عايزة قصة حب مشتعلة، مؤمن مضريش ولا واحدة فيهم على إيدها، لو هو حيوان حيكونوا هما أحقر من الحيوانات كبان!

مؤمن شوهت حوا فطرته تماماً، فقبل ما تلوميه شوفي كام واحد بقى مؤمن بسبب فكر حوا!

وغادر غاضباً لدرجة لم تراها مسبقاً فوقفت بصمت، لم تناديه أو توقفه، بالنهاية الحياة قرار

إتخذه أو كن أجبن من أن تفعل!

الفصل الثالث عشر

السعادة، كل منا يراها من منظوره الخاص وفي عالم آدم وحواء تجد القاعدة الأهم لكلهما، حواء تجد السعادة في الحب، وآدم يجد السعادة في النجاح!
فالأمر المعنوية لا تعنيه ولا يهتم إلا لكل ما هو مادي وملموس، أما حواء فيهما كل شعور، مهما كان، فالمشاعر هي المحرك الأول لكل ما في حياتها، ولهذا ترك آدم لحواء عالم الخيال وعاش هو بعالم الواقع!
لم تتم ليلتها تحاول الإتصال بهاتفه وبكل التطبيقات الإلكترونية الممكنة ولا يجيب، زفرت في ضيق وهي تمرر يدها بخصلات شعرها وتتوعدة:

- ماشي يا آدم!

قالتا لتصدما حقيقة أنها تهتم، بل تهتم بدرجة كبيرة، وهنا بدأت تلوم نفسها:

- وأنا عاملة في نفسي كده ليه انشا الله عنه ما رد!

وارتمت على السرير تسحب الغطاء فوقها لتندثر به وتقع نفسها أنها ستنام حين رن هاتفها برسالة فإنتفضت تنتجه إليه لتجدها رسالة من شركة هاتفها الجوال عن أحد العروض، فطالعتها بغضب وقررت إغلاق الهاتف، فليحاول الإتصال وهي لن تجيبه مهما فعل ومهما حاول وتلك هي حواء، فبخيالها ستقع نفسها إنه إتصل وراسلها، ووجد هاتفها مغلقاً، هو حاول الوصول إليها وهي سدت كل الطرق بينما بعالم الواقع هو غاضب وأطفاً نيران ذلك الغضب بحمام بارد تبعه فنجان قهوة ولقافة تبغ، استلقى بعدها بسريره وقد تخلص من قميصه رغم بداية الخريف، لكنه دوماً ما يشعر أنه يغلي عند الغضب وهو غاضب من تلك الحاملة ولو أنكرت، وردية ولو أدعت العقل، لازالت تؤثر بها قصص الأمير الوسيم، لازالت تصدق القصص الخيالية وأنها ستجد يوماً ما نصفها الضائع منذ زمن، النصف الذي يبحث عنها وسيسقط بنظرة من عينها فور أن يراها ليشعر أنه إكتمل!

حرك عينيه تهكم وزفر في ضيق:

- حوا!

حواء دوماً تفضل الخيال وتنسج قصصها الخاصة، يوم، إثنان، ثلاثة!
ولم تقاوم أكثر، فالقلق إنتصر لتبحث عن عنوانه وتذهب لمكتبه، وفتح الباب ليجدها أمامه:

-يعني إنت عايش اهوه؟!

قذفت كلماتها بوجهه وغادرت غاضبة لتتسع عينيه في دهشة؟!
هل ظنت ملكة الدراما أنه لقي حتفه ولهذا لا يجيبها؟!
إبتلع دهشته بسرعة ولحق بها ليجدها لازالت تنزل على الدرج، فجذبها من ذراعها:
- رايحة فين؟

- أنا غلطانة أصلا اني جيت!

وكادت تغادر ليوقفها مجدداً:

- لو مكنتيش جيتي كنت هي لك، اللي بينا لسه مخلصش.
وتوقفا عن الكلام وكانت العيون تعاتب وفي عالم الخيال كان الأمر لينتهي بضمة لكن بعالم الواقع كان كوبان من الشاي في المطعم بالقرب من مكتبه هو الحب، وليتأكد من أنها تصالحا تماماً، كان تارت الشيكولاتة هو الحل الأمثل!

واقع؟!

بل خيالها الذي تحول إلى واقع، هي زوجته مع إيقاف التنفيذ والأمر كله مريبك بالنسبة لها، لا تملك الجراءة الكافية لتسأله عن سبب إبتعاده لكن الأمر لن يبقى طي الكتمان، عادة مصرية قديمة لتدخل الأهل، فقد حضرت والدته ووالدها في الصباح مع الطعام والزغاريد والتهاني وشوق غريب، فهم لم يتركوهم سوى منذ ساعات قليلة وكلاهما وجد نفسه مرتبك وسط الأمر، والدته كانت أكثر حرجاً من أن تسأله فجاءت أسئلتها مبهمة وإجاباته عائمة، أما هي فقربها من والدتها جعل الأمر أكثر صعوبة عليها:

- يعني إيه محصلش حاجة؟ ... نورا!

نظرة محذرة من والدتها تطلب الحقيقة فنظرت إلى الأرض ووضعت خصلات شعرها خلف أذنها وهمست:

- ارتبكت وخفت!

ورفعت وجهها نحوها وأكملت:

- وبصراحة مؤمن طلع متفاهم جداً وقعد يهديني وبس..

- يا هبله، يا خايفة

لامتها والدتها ليأتي قبل أن تقترب منها:

- نورا أنا ريتك مؤدبة مش هبله، مش عايزاكي أقل من أي بنت ومفيش راجل

يبصر، سامعاني يا حبيبتي؟

أومأت برأسها وهي تستمع لسيل النصائح التي أمطرتها بها حتى قررت ألا تصبح عزول أكثر من ذلك وقررت أن تنصرف.

- ما بدري يا ماما

- بدري فين، هقوم أنا كان.

قالتها والدته ليكمل هو الآخر:

- إنتِ كان يا ماما؟ لسه بدري، اقعدوا اتغدوا معانا.

- بدري من عمرك يا حبيبي، خد بالك من نورا يا مؤمن ومعلش أصبر عليها، نقول إيه؟ دلع بنات!

نظر إليها باستغراب ولم يعلق، بينما حدقت هي بالأرض وانتهى وداعهم ليبقى هو وهي فقط، والإرتباك سيد الموقف، ولتكون هي من قررت أن تزيل ذلك التوتر:

- أنا هحضر الفطار، هموت من الجوع، مكلتش حاجة من إمبارح. واتجهت إلى المطبخ وأعدت مائدة عامرة بسرعة بينما هو عقله العاصف أبعدته عن كل شيء سوى قدح عاشر ربما من القهوة ولفافة تبغ وما أن إقتربت من النافذة حتى سعلت:

- إنت بتشرب سمجائر؟

تساءلت وهي تسعل ليلتي بها ويحجب:

- مش دايماً

- لا، إعمل حسابك تبطلها، أنا بتخنق منها جداً وبعدين غلط على صحتك يا حبيبي. ولأول مرة تنطقها، تلقبه بحبيبها وتعلن إقتراب وهي تضع يدها بيده وتجذبها:

- يلا بقى نفطر

نظر ليدها تمسك بيده وصمت وهما يتجهان للمائدة، هي تخلق حديثاً وهو يدرك أنها تحاول أن تقترب بينما هو صامت كأنه فقد القدرة على الحديث، التحليل، هي تعصف بكل ما في حياته، تحاول أن ترتب كل شيء من جديد، وهل سيسمح للإمرأة بأن تعيد ترتيب عبثه؟!

وهي امرأة أقسمت أن تتحكم!، وهل خلت حياتها من الخيال؟!
بالطبع لا!

هي فقط مزجت الواقع حيث كانت سندريلا وهو الأمير الوسيم مع بعض التعديلات، فأمرها بل معيدها الوسيم لا يهمها به سوى أمواله وهو لا يهتم بأمرها بالكلية سوى أن والده أرادها وهي جميلة، جائزة إضافية، بعالم آدم دائماً يكون جزاء عبثه الزواج!

وهي عادت إلى منزلها بعد رحلة تسوق أرهقتها لتجد مفاجأة غير متوقعة:
- أنس هيتجوز!

أخبرتها شقيقتها لتتسع عيناها في صدمة، ولا تدري سبب لذلك الألم الذي شعرت به بداخلها!
- بالسرعة دي؟!

تساءلت لتأتيها الإجابة من خلفها حيث كانت تقف والدتها:

- أيوه بالسرعة دي، ما إنتِ اتخطبتي بعد ما سبتيه بأسبوع، عايزة منه إيه؟!
ورغم الألم الذي بقلها حركت كتفها بلا مبالاة:

- وأنا هعوز إيه، تلاقيه خطب واحدة بيئة زيه!

قالتها ببرود وقسوة كأنها تقنع نفسها بها، في النهاية هو اختار من هي مثله وهي إختارت من سيحقق أحلامها، وهو تخلص عن عالم الأحلام، فمذ أن علم بموعد زواجهما قرر أن يتزوج قبلها والأخرى لا تدري من الأمر شيئاً.

- الأسبوع الجاي!

قالتها بصدمة وتوتر وقلق، فالأمر ليس بهين، فهو الحدث الأكبر بحياة أي فتاة.

- مالك يا حياة مش موافقة؟ لو مش موافقة نقض الموضوع.

وقلها ارتعش للفكرة، هي لا تود إنهاء الأمر بل عليها أن تعترف أن بقلها نبضة هاربة من أجله..

- لا بس

توقفت لا تدري ما تقول، أخفضت بصرها وهمست:

- ده جواز يا خالتو!

إقتربت منها خالتها وأجلستها وجلست بجوارها:

- عارفة يا حبيبة قلب خالتو، وعارفة كمان إن أنس طيب وابن حلال وكل بنت

مسيرها للجواز يا حياة، وانتِ عاقلة وست البنات.

وأومأت برأسها ولازال القلق ينهش بقلها، حياة تخطو بقدميها إلى حياة لا تعرفها!

- قلقانة على أنس أوي!

شقيقته لا تدعم قرار زواجه لكن زوجها عكسها:

- بالعكس أنا معاه، هو لازم يخرج من دائرة بسمه

رفعت حاجبها مستنكرة:

- أنس عايز يتجوز قبل فرحها بسببها، عايز يقولها أنا نسيتك واتجوزت قبلك

وواحدة أقل منك.

ظل ينظر إليها قبل أن يجيب:

- كل السنين دي ومتعرفيش أخوك كويس، أنس لا يمكن يظلم حياة.

وبعالم حواء يكفيها أنه سيتزوجها وقلبه عالق بأخرى، تلك قمة الخيانة والظلم، بل هو

الطاغية الأكبر، لكن ألم تفعلها هي في السابق؟ ألم تتزوجه وهي تحب أخيه؟! وكيف

كانت النهاية؟!

بالنهاية هي زوجته التي يحبها ويقدرها ويرى تضحياتها بأمومتها من أجله ويغدقها بخنانه

لأنها تستحق، إحتضنها يربت على ظهرها وأسندت رأسها على صدره وتهدئتها

صامتة بينما صدرها يختنق بالكثير لكنها لا تتحدث، فالكلمات في عالم الواقع رصاصات

تقتل، والأسوأ لو إرتدت لصدر صاحبها، ففي أحسن الأحوال سترديه قتيلاً في

الحال!

وبعالم الخيال هي حاملة، ولم تفكر يوماً أنه قد يكون لغيرها، سذاجة وصلت حد الغباء
ربما لكنها في النهاية تتحمل الذنب، وفي عالم الواقع الرغبة تشتعل بسرعة وتنطفئ
بنفس السرعة!

فها قد زالت رغبته بها وربما بقي الندم، ما الخيار الآخر المتاح بيديه؟!
الإبتعاد، المقاومة؟

ولكن ألم يبتعد ويقاوم؟!

هو تزوجها رغبة بها، رغبة أضحت زائلة!
وضعت الورق بغضب، هي تعلم إتفاقهم الذي أبرموه جيداً، ليكن حوارها منطقياً
خالياً من السباب لكنها تعتذر:

"معلش بقي لازم يتشتم"!

- إتجوزها لانها عجبتة بالبساطة، هو اتنوا إيه صنف معندوش أي تمييز خالص؟!
متهمكة، غاضبة وتضع يديها على خصرها في علامة من علامات تمرد حواء منذ الصغر
وهو زفر في ضيق فهي قد عادت مجدداً لكسر الهدنة بينهما:

- يا صبر أيوب!

همس قبل أن يضع ما بيده ويتوجه إلى المكتب ممسكاً بالقلم، ومن ثم بالشريط
اللاصق يقطعه:

- لا طبعاً غلطان!، ما هو مش كل ما واحدة تعجبه هيتجوزها، كده مش هيخلص،
هيتجوز ستات البلد، مفيدش راجل مبتعجوش واحدة واتنين وتلاتة وعشرين!

وكادت تفنح فيها لئرد عندما وجدته يضع الشريط اللاصق على فمها وقد أضاف إليه
رسمة شفاة حزينة!

- وتعودي تسمعي أكثر ما بتتكلمي، ده لو عايزة تبقي زوجة ناجحة!

حدقت به بغضب وأزالت الشريط من على شفتيها متجاهلة أنه آلمها وصاحت:
- ومين قال اني عايزة اتزفت؟! أنا مش هتجوز أصلاً!
طالعتها بصمت لثواني قبل أن يجيب:
- أحسن!، ربحتي، مش ناقصين ضحايا!

وضحايا دنيا الخيال كثيرون للغاية ومنهم هي!
هي التي لم تعد تفهم؟!
هي من البداية لم تفهم، والسبب المنطقي الوحيد بعقلها أنه ببساطة لا يرغب بها،
أما الأخرى فلم تصدق حين أخبروها أنه بمكتبه فاتجهت إلى هناك مباشرة:
- حمد الله على السلامة يا عريس، إيه يا بيبى حد يسيب عروسته بعد أسبوع؟!
أبعد وجهه عنها وزفر في ضيق، هو يعلم أنها علمت بأمر زواجه فجأة وتوقع ثورة لم
يجدها، فهي هادئة مراوغة، توجهت نحوه تضع يدها على كتفه:
- مالك؟! شكلك مش عاجبني، إيه هي العروسة طلعت أي كلام؟
- أنا ملمستهاش، ريجي نفسك
قالها بغضب لتتطلق ضحكاتهما:
- هي قالت لك لأ ولا إيه؟!
أنا محدش يقولي لأ!، هتيجي لي راکعة لو أنا عايز
إندفعت ضحكاتهما مجدداً واقتربت تحدته بنبرة مغرية:
- ومتعصب ليه يا بيبى؟ بس لو الموضوع كده بقى ده أنا أقلق عليك أوي ولازم
أطمئن!
وامتدت يديها أسفل معطفه بعث لبيعهدها وهو لا يزال حائقاً يشتمل:
- مفيش فيا دماغ لهزارك

وابتعد عن مكتبه لتتبعه وتقرر أن تلقي بالحقيقة في وجهه فهي تعرفه ولو أنكروا:

- إنت خايف يا مؤمن، خايف تواجه الحقيقة، نورا غيرهم صح؟! نورا بريئة، مختلفة، نورا بتحبك من زمان، إستحالة يكون حد قرب منها قبل كده، مش ده اللي مخوفك؟، خايف إنها تصارحك ولا إنها تخدعك؟!

تخبره بكل ما عجز عن أن يصارح نفسه به، عينيه تضع أمام ثبات نظراتها، فهي تحترف تلك النظرات وهو صامت وهي تكمل كلماتها:

- سامحها يا مؤمن! يمكن حبت وضعفت، كلنا بنضعف، ما انت ضعفت، ليه هي لأ؟، متبقاش أنااني، نورا بتحبك ودي مجرد غلطة أكيد!

وجذبها من يدها بعنف وعيناه تحولتا لجمرتين من الغضب:

- إنت عايزة إيه؟!

وإبتسامتها الالهية لم تفارق ثغرها:

- بموت فيك وانت متعصب!

همست وهي تعض شفتها السفلى بإغراء ليدفعها بعيداً ونظراتها الساخرة تقابل نظراته المشتعلة بغضب

يغفر، يسامح، زلة!

وكأنها قرأت أفكاره، فحركت رأسها بإيماء متهمّة ليندفع إلى الخارج ويغادر المكان بأكمله وهي تصيح من خلفه:

- صباحية مباركة يا عريس!

أثارت جنونه، وضعت أمام مخاوفه وواجهته بها، أشعلت غضبه وتعلم من ستنحرق بذلك الغضب، لكنها لا تهتم!، الأمر أصبح أكثر متعة بالنسبة لها، وبالنسبة له هو قرر أن يقطع شكه بيقين، وليكن ما يكون، فقد دخل إلى المنزل والغضب بادياً على ملامحه:

- مؤمن، ثانية والأكل يكون جاهز.

ودون أي كلام جذبها من يدها بقوة وكلمة واحدة:

- عايزك!

أرخی قبضته على يدها بحجرتهم ووقف ينظر إليها وأمام ملامحها عاد يرتبك مجدداً هي بريئة، هي حواء، عيناها صافيتان، نظراتها تكذب، لا يمكنها أن تخون، كل حواء خائنة!

- النهاردة فرح أنس وفكرت انك تيجي معايا.

إبتسمت بسعادة، فهو يسمح لها بخطوة داخل عالمه، والبداية زفاف صديقه المقرب، وهي إستعدت على أكمل وجه وبدت له جميلة للغاية وهي تمشط شعرها، عرف من هم أجمل منها بكثير لكن جمالها هي يختلف!

- شكلي حلو؟

تساءلت ليتقدم نحوها ويلتقط مشبك شعر على شكل فراشة يضعه بشعرها ووقف يتأملها بينما هي أخفضت بصرها بخجل ورفعت عيناها على جملته:

- أحلى من القمر

أول تعليق تناله منه منذ زواجهم وهي راضية، بل سعيدة للغاية، واتجهت معه إلى حفل الزفاف بالحارة.

وخيال كل فتاة الفستان الأبيض، هي تعشقه حتى وإن كانت رافضة للزواج، وها هي ترتديه وهي سعيدة، لن تنكر الأمر، هي ترى حفل زفافها العادي رائعاً وشقتها مثالية وهو ...

هو فارس أحلامها ولو ظلت صامته ولو لم تحدته، لكنها كانت سعيدة لإبتساماته مع أصدقائه وحديثه مع الجميع سواها، وهي راقبت من بعيد تريد أن ترى العروس لكنها فشلت فقادت قدمها إلى الحفل وفور أن رأتها شقيقته تقدمت نحوها:

- مبروك يا علا
بادرت بوقاحة لتبتسم الأخرى بغیظ:
- عقبالك يا بسمه، شفتي حياة زي القمر إزاي؟، تليق بيه، ما شاء الله عليها ست البنات.
طالعتها بغضب، فلا يضع امرأة بمكانها الصحيح إلا امرأة سواها، وغادرت غاضبة لتمتم الأخرى في إثرها:
- في داهية!
تقدم نحوه يحتضنه بسعادة:
- مبروك يا عريس
قالها بفرحة من قلبه، فرحة لم يستشعرها بزفافه هو ربما، ورأى الأمر بعيني صديقه فألقى إليه بجملته:
- حياة جديدة، عايزك تشرفنا النهاردة
حلق به بغضب، هو يعلم أنه يكره مزاحه العايب:
- إتهد بقي، مراتك جنبك
وابتسم بهدوء وهو ينظر إليها تبارك للعروس بود، تبدو كالزهرة أينما وضعتها أزهرت ونشرت عبير السعادة حولها، لكنه محروم من هذا العبير، فمهما حاول بداخله عائق يمنعه، يقتله، يمزقه إرباً ولا حل!
ققد انتهى الزفاف وعادا إلى المنزل ليقف بالشفرة شارداً وهي قررت أنها لن تستسلم! إقتربت ولا تدري ما عليها أن تفعل، هي لا تعي سبباً لإبتعاده، فمن كان يقترب بفترة خطبته وتبعده هي، من كانت تحشاه وتمتني قربه انزوى بعيداً عنها، لكنها إن كانت تعشق حقاً فستحاول لن لا تهتم لكلمات زائفة من كرامة، كبرياء، كرامتها وكبرياؤها تكمن في عشق إحتل قلبها كاملاً ولم يترك مكاناً لسواه، فالحب قتال سوف ترجه!

إقتربت وهي تراه يقف بالشرفة ووضعت يدها على كتفه، فلم ينتبه سوى على جملتها
- أقولك الباسوورد إيه؟

طالعتها بدهشة لتستكمل حديثها وهي غارقة بعينيه:

- مؤمن، من سنين وأنا باسوورد قلبي وحياتي كلها مؤمن، كانت الدنيا بتفضي من
حواليا وتضلّم وانت بعيد وبتنور بس أول ما بسمع صوت عربيتك من أول الشارع،
آه والله مش مصدقي؟، أنا كنت بحس بيك من أول ما تدخل الشارع حتى لما
كانت العربية بتعطل وبتيجي ماشي، ولما غيرتها كبان يومها رغم إختلاف صوتها
حسيت بيك

توقفت كلماتها وهو صامت تماماً، عاجز عن الرد وأعجزه أكثر ضميتها وهمسها بصدق
عاشقة:

- أنا بحبك أوي

والحب لعبة حواء وقيد آدم ولو سقط به مجدداً فالعواقب وخيمة!

الحب وهم وربما حقيقة، لكنه لا يمكنه أن يتزوج من امرأة لا يحبها ولا يعرفها، في عرف الجميع هي عروسه لكنه لم يكن يوماً لاهثاً وراء شهوة، وبالأيام الماضية رآها مسكينة، كصفورة بلا جناحين، مستسلمة لقدرها، وقرر وضع النقاط فوق حروف حياتها، جلس أمامها على السرير:

- حياة

رفعت وجهها إليه بخجل ولم تجيب:

- أنا عارف إن جوازنا جه بسرعة وإن متعرفينش بس الظروف حكمت إننا نتجوز في الوقت ده، بس لازم تعرفي مفيش حد هيغصبك على أي حاجة وكل اللي هتعوذيه هتلاقيه من غير حتى ما تطلي، البيت ده بيتك طول عمرك، وأنا ضيف تسمحي بوجوده أو لا!

وأنبى حديثه وقام من مكانه ليبتسم لها بود قبل أن يغادر:

- تصبحي على خير!

وبعالم الواقع هو خيال ربما، بل هو واقع وحقيقة، لكن كان هناك الوجه الآخر لرجل آخر!

رحل المعازيم من كبار العائلات، حفل زفافها الضخم إنتهى، وها هي بمنزله الفخم الذي يشبه القصور، تحديداً غرفة نومها الملكية، فستانها الأسطوري ممزق، وزينتها الرائعة مبعثرة، جسدها يؤلمها وكرامتها مجروحة وليلتها المثالية إنتهت على يدي عريسها المخمور! فما أن انفرد بها حتى تحول أميرها الوسيم إلى وحش وكانت هي جميلة، جميلة لدرجة أذهبت بعقله، فحصل على ما أراد بالطريقة التي أرادها، وهي لم يلتفت إليها، بل تركها بعد ما حصل عليها وراح في سبات عميق وهي تطالعه، لا تريده أن يستيقظ، لا تريد أن تمر بالأمر مجدداً، إنكشيت على نفسها تحاول السيطرة على الدموع التي تسيل رغماً عنها، فمها كانت برودتها وثباتها تظل فتاة!

دفعت ثمن صفقتها التي تركت ندوبها على الجسد والروح وتركت ذكرى لن تنساها يوماً، فبعالم الواقع كل مكسب تقابله خسارة، فكن جاهزاً دوماً لتدفع الثمن!

الفصل الرابع عشر

" يجب أن تذهب إلى الحقيقة بكل روحك!"

أفلاطون

لكن من منا جاهز لدفع ثمنها؟! الحقيقة، هي تلك التي نود جميعاً الهرب منها، ولو طالبنا بها ففي النهاية نحن نحب تلك الكذبات الصغيرة التي نهرب بها دوماً رغم علمنا أن الحقيقة ستدركنا! الكذبة امرأة جميلة تغوي الجميع، لكن الحقيقة دوماً تريح!

إحدى سهراتهم الجالحة كعادتهما، مكان صاحب، رقص وكؤوس تدور، ولأول مرة تتابعه بعينها وتشعر بخطأ ما، صامت، هاديء، عينيه لا تجوبان المكان كعادته، حتى السمراء الفاتنة التي إصطدمت به تجاهلها، لم يكن ينوي الحضور لكنها أجبرته عليه والحجة أنها إفتقدته ورفض الذهاب لمنزلها فقررا الحضور إلى هنا، لكنه يود المغادرة وقرر الرحيل:

- أنا لازم أمشي.

- إيه يا baby خلاص هتسمع الكلام وتغسل سنانك وتشرب اللبن وتنام؟ قالتها وهي تمسك بذقنه بسخرية، هي مخمورة وتهذي، بل غاضبة، فدفع يدها بعيداً بغضب وغادر لتزفر بحنق وتتبعه.

نادته فلم يلتفت، فقط إستقل سيارته لتستقل المقعد بجواره وانطلق دون أي كلام، عقله يشتعل منذ الصباح، منذ أن كانت بين ذراعيه، فهو فرض إبتعاد منذ ليلة زفافهم، إبتعاد قاطعته هي عندما بدأت تقترب، فبالنهاية هي تراه زوجها الذي تعشقه، الحب متلازمة الجنون وهي تعشقه لدرجة لم تتخيلها يوماً، ولم تدركها حتى أصبحت زوجته!

إستلقت بجواره وأسندت رأسها لذراعه وعينها تحديق به عندما شعرت به يضمها، ويعبث بخصلات شعرها وقد بدأ يستيقظ فإبتسم وهي ساكنة بين ذراعيه، هي عاشقة تغرق وهو يظنها شقراؤه الالهية التي لظالما فاجأته بالإستيقاظ على وجودها وقبلاتها!

فتح عينيه لتقابله عيونها البندقية تحديق به بهيام بدلاً من العاصفة الرمادية التي إعتادها، فابتعد غاضباً لتراجع هي الأخرى وكلاهما صامت!
صمت أصبح يخنقها معاً!

وعاد التوتر يسود مرة أخرى، حتى حان موعد إنصرافه وهي تمنع دموعها، هو لا يريد لها ولا تجد تفسيراً آخر.

- مؤمن!

نادته ليتوقف أمام الباب، يتوقع كلماتها القادمة، يقبض على يده بقوة، يحاول التحكم بإفجار وشيك لا يدري كيف ستكون عاقبته وهي الأخرى عجزت عن النطق بأي شيء!

- ماما هنتغدا عندنا النهاردة

أخبرته بخبر يعلمه مسبقاً، وهو يدرك أن ذلك لم يكن ما تريد أن تسأل عنه، ورغم صمته قرأت الأخرى عينيه وتدرك أنه لازال واقعاً بحيرته ولا تفهم السبب!

- البشر دول فعلاً ناس غريبة، لازم نعقد كل حاجة ونقعد نفكر ونقرر ونحسب يا إما منفكرش ونجري ورا مشاعر هبلة، إختيارين أغنى من بعض.

قالتا بتهكم وهي تمسك بلفافة التبغ من يده وتتذوقها قبل أن تلقي بها:

- ميجبش الدخان.

والتفتت تطالعه بنظراتها الشقية:

- حتى لو من بين شفايفك!

زفر في ضيق، هو غير قادر على تحمل عبثها:

- إنت ليه مصعب الموضوع على نفسك؟، المسكينة عايزاك وده شيء واضح من أول يوم، من أول ما شفتها في أوضتك وقلت لك خليها رهان، كنت متأكدة إنك هتكسبه، عينها بتقول كده بس انت اللي قلبتها جواز، عايز إيه أكثر من كده؟

عايزها تركع قدامك وتتوسل حبك يا قاسي؟

نبرة مغوية تتماشى مع نظراتها ولمساتها، فأمسك بيدها يبعدها عنه:

- حب! إنت شايقة الحب إزاي؟!

هل حقاً يسألها عن الحب؟!

هي لا تؤمن بالحب مطلقاً، الحب رغبة واشتهاء يعقبه إمتلاك لينتهي أمر تلك المشاعر الثائرة بليلة وربما ليال عشق سرمدي لا تنسى، يُترجم فيها الشوق لأمر واقع، وتلك هي حقيقة الحب الوحيدة التي تراها:

- الحب لغة واحدة بس العالم كله بيتكلمها وانت أستاذ فيها!

وفرضت قبلة ليعدها عنه بقوة فطالعتة بدهشة قبل أن تلقي بتعليقها:

- ده انت ملكش مزاج للصنف كله بقى!

والصوت الأعلى كان لصرير السيارة، فهو قاد بسرعة جنونية وتوقف أمام منزلها:

- روجي!

غادرت غاضبة لينطلق عائداً إلى المنزل.

وكانت هي بانتظاره قلقة، متوترة، تتصل بهاتفه الذي نفذت بطاريته، لكنها فور أن
رأت سيارته توجهت للسريـر تتظاهر بالنوم، فقد صبحت هي الأخرى تهرب منه،
وربما من حقيقة لا تود أن تواجهها رغم صراخ عقلها بها:
"هو لا يريدك!"

وعقله هو يصرخ بحقيقة أخرى:

"هي من تتقرب!"

هي من تريدك، هي مثلهن جميعاً ولو إدعت البراءة، والحقيقة ضائعة بين صمت كان
الشيء الوحيد الذي يتشاركه ويمزق كلاهما معاً!

هل إستطعنا يوماً أن نواجه أن حقيقة ما وصلنا إليه كان نتيجة إختياراتنا؟!

هي لن تواجه تلك الحقيقة، هي قررت التناضي!

صبيحة ليلة زفافها تأقت، كأن شيئاً لم يكن لكنها لا تنكر رجفة قلبها التي أصابتها عندما رآته صباحاً وتبدل ملامحها الذي أقلقته، هو لا يتذكر الأمر كله، فتلك العقاقير المتنوعة والخمر لعبت برأسه، فتوجه نحوها وأمسك بيدها برقة مفتعلة:

- أنا آسف!

هسة خافتة رقيقة، وهي أخفضت بصرها وجلست على السرير بهدوء ليجلس بجوارها ويرفع وجهها إليه:

- أنا امبارح مكنتش في وعي

ولم ترد فقط عادت تطالع الأرض.

- إنتِ السبب!

وتلك المرة رفعت وجهها إليه ونظراتها غاضبة:

- جالك يا بسمة لخبطني، مقدرتش أقاومه!

ومبرره واهي، وهي تدرك ذلك وتعلمه جيداً لكنها لن تترك لأحد مجالاً للشكاتها بها، فعليه أومأت برأسها متفهمة، فبالنهاية هو زوجها وما حدث كان ثورة مشاعر لرجل أهوج وهي عاقلة لن تهدم حياتها الجديدة، تلك الحياة التي إقتمحتها الزغاريد لتسرع إلى الأسفل لائمة:

- إيه يا ماما؟!

- متزغرتوش يا بنات!، أصل الزغاريد مش من مقام الدكتور!

لامتها والدتها معترضة، فهي أكثر من تفهمها وتفهم طموحها وتمسكها بذلك الطموح مها كان الثمن وتقدمت من والدتها وجذبتها:

- ماما، أنا عايزاك تفهميني.....

قاطعتها والدتها بقوة:

- أنا أكثر واحدة فاهماكي يا بنت بطني، من وانتِ عيلة صغيرة وانتِ مش عاجبك
حالك وأنا أقول معلش بكرة تعقل، لكن لحد إمتى ؟
حدقت بالأرض لا تجد رداً عندما صدمتها كلمات والدتها أكثر:
- أنا مش بلومك، أنا خائفة عليك!
رفعت عينها إلى والدتها التي رأت بها الدموع والإنكسار، وكم ودت أن تلقي بنفسها
بين ذراعيها وتبكي، لكنها قوية ولن تفعلها:
- متخافيش عليا، أنا عارفة أنا بأعمل إيه.
والحقيقة هي تتخبط، وتعاني عدم إتران ولا تدري على أي بر ترسو!

والحقيقة هو الآخر لا يجد براً لمرسائه معها، هو ضائع، وبعدها هو نادم وكأنها ليست زوجته، هي رغبة، مجرد متعة وهي لا تمانع، فهو بالنسبة لها رغبة وربما شيء آخر، لكنه كلما حاول الابتعاد جذبته مجدداً، امرأة تعرف كيف تكون امرأة؟!!

بين ذراعها تضع كل حقائق حياته وتعلن هي كذبة حبها له، ومع الأخرى أضحي الكذب منهاجاً والحقيقة الوحيدة الثابتة أنه يخشى خسارتها، وإن كان ما بينها يتلاشى ببطء قاتل، وكلاهما يتمسك بشعرة لازالت تجمع بينهما، الحب رغم الغباء والعناد وكل شيء، هو يحبها وهي تحبه، لكن الحب لم يكن يوماً منقذاً!

فشكها يزداد رغم معاملته الرقيقة مؤخرًا، فالقاعدة الأغرب لدى كل حواء:

"إن عاملك زوجك بلطف زائد فهو بالتأكد بخونك!"

قاعدة غريبة لكنها تحمل جزء كبير من الحقيقة، أحياناً يفضل ألا تبحث كثيراً عن الحقيقة فقد تصدمك!

وهي رغم كل شيء لازالت تبحث والمفاجأة كانت من نصيبها وهي ترى غرام تجلس بسيارة زوجها الذي ترجل من مكتبه ليستقل السيارة وينطلق بها فتبعهم بحدس أنثوي لم يخطأ والبقية معروف، تقليدي، لكنه يظل موحج!

وقفت هي في صدمة تطالع المشهد، زوجها وابنة خالتها تجمعها شقة واحدة بل يجمعها أكثر من ذلك؟!!

تحاول التحدث لكنها كانت كأنها فقدت النطق والقدرة على الصراخ والعتاب واللوم

- مها،

تقدم نحوها ووضع يده على كتفها لتنتفض صائحة:

- بتخوني يا عمرو؟ ومع مين؟! مع دي؟! مش دي غرام اللي مكوئتش عايزها في بيتك؟ اللي قلت لي إبعديها؟!!

- وياريتك سمعتي كلامي!

صاح بها وكرر الجملة بهمس نادم

- ياريتك سمعتي كلامي!

رفعت غرام حاجبها مستنكرة، هل ييدي ندمه على الزواج منها أمام أخرى؟ بل مها تحديدأ تلك التي تحصل دوماً على كل شيء؟، تلك التي عاشت تغار منها طوال عمرها

- وطالما ندمان أوي يا حبيبي ما تطلق!
صاحت به معترضة لتسد طعنة أخرى للواقفة أمامهم، إذاً هي لم تكن مجرد نزوة، هي زوجة!

وهنا تأتي القاعدة الأغرب، "كن خائناً لكن إياك أن تتزوج!" وهو إرتكب الجريمة الكبرى، وضع أخرى معها ورفعها إلى مقام الزوجة والحقيقة أن كل حواء لا تقبل أن تساوى بأخرى، العشيقة أقل مرتبة من الزوجة لذا فهي تقبل عشيقة زوجها ولا تقبل بزوجة أخرى أبداً، وغادرت ليتبعها محاولاً إيقافها، لكنها كانت تقود بجنون إلى منزلهم حيث وصل هو الآخر ليجدها تجمع حاجياتها.
- أنا آسف

إعذر لترفع وجهها إليه والدموع تغرقه:
- آسف؟! آسف ليه؟! على إيه؟
- يا مها، أنا قلت لك كثير تبعديها، قلت لك إني محتاجك لكن إنتِ كنتي بتبعدي وهي بتقرب وأنا

توقف لا يدري ما يقول، وهو ضعف أمام إحتياج، أمام رغبة!
- ضعفت!

إعترف، هو إترف بضعفه، بخطئه، لكنها بقيت على عنادها:
- ضعفت؟! لا فعلاً عندك حق، مبرك قوي يا عمرو!
مسح وجهه بكفيه هو يرى حياته أمامه تهار، هي كانت تنهار من البداية و لم يحاول أي منها إيقاف إنيابها

- تعرفي كام مرة حاولت تغويني هنا وفي المكتب؟، مكالمات، تليفون ورسايل، كنت بكره وجودها عشان كنت خايف، خايف منها ومن نفسي ومنك، أنا مغلطش لوحدي ولا إنت بس اللي غلطانة، إحنا الاتنين غلطنا ولازم نسامح ونعدي مسحت دموعها بقوة وعينهاها تلمع بشعر جلي، وقررت أن تنطق بجملة قالتها كل حواء لكل آدم:

- طلقني!

الطلب الأشهر، الجملة الأقوى، واليد العليا لكل حواء بطلب الفراق، فهي ترى بعدها عقاباً مناسباً وليجرب الحياة من بعدها إن إستطاع!

- مها!

- لو كان عندك ذرة كرامة، لو شايف نفسك لسه راجل طلقني، أنا مش عايزاك يا عمرو، طلقني!

صاحت بها تكررهما كأنها لا تحفظ غيرها..

طلقتي

طلقتي

طلقتي

- إنتِ طالق!

وساد الصمت المشهد بأكمه، شعرت بكلمته كأنها رصاصة إخترت قلبها وسقطت دموعها في صمت ليقرب ويهمس بإسمها بحب لازال يحمله في قلبه رغم كله ما حدث، لكنها رفعت يدها تمنعه عن الحديث وحملت حقيبتها وغادرت بصمت وبقيت حقيقة واحدة بينها أن كلاهما دمر حياته!

- أقولك حاجة ؟

رفعت رحاب عينيها إليه في دهشة، هو دوماً ينطلق في حديثه، لم يستأذن تلك المرة:

- الستات يحبوا الكذب!

تغضن جبينها وضيق عيناها مستنكرة لكنه تابع:

- قبل ما تعترضي، الستات مش بس بيكذبوا على الآخرين، لا، على أنفسهم كمان، مسبحوش يواجهوا الواقع، سهل أوي تبغى لهم كذب تحت بند الكلام المعسول عكس الرجالة تماماً

حركت عينيها بإستنكار:

- الراجل كمان ممكن يصدق أي كلام لو إتمزج بشوية دلع واغراء ويا baby، ساعتها

هيوافق وهو حتى مسمعش الكلام اللي إتقال، هيمضي على بياض

علقت لبيتسم وهو يتجه نحو مكتبته ولم تسمع تلمته الساخرة:

- مليكة أثرت عليكى!

- أنا مفيش حد بيأثر عليا!، انت اللي متغير يا عامر
كان أول شجار حقيقي بينهما، شجار مشتعل بعد أن خرجا معاً، فهي لن تجادله أمام
والدتها لتزيد الطين بلة، وهو لن يدخل والدته الساخطة على زواجه طرفاً بالموضوع،
وكيف تحول شجار على "طقم الانتره" إلى شجار يهدد زواجهم؟!
والإجابة تكمن في أنها زيجة مصرية أصيلة، فوالدته إعتضت على الخشب والدهان
والتنجيد وكل ما يمت للطقم بصلة واتهمت أهل العروس بإستهلال الأمور
واستنزاف ولدها!

وربما كانت محقة، فوالدتها صرحت بأنها لن تهدر "تخويشة العمر" في جهاز ابنتها
وحجتها جاهزة:

"يحمد ربنا، هو كان يطول يتجوزها؟، هو لو شاربها كان خدها بشنطة هدومها!"
وهو لم يمنع، لكن طلبات والدتها لا تنتهي واعتراض والدته بدا منطقياً في تلك الفترة!
- إنت خلاص مبقتش بتحبني ولا عايزني

حجة حواء الأولى، هي لا تترك حقيقة أن الحب لا يصنع المعجزات، الحب لن يأتيها
بتلك المصوغات الذهبية "شبكة"، تشطيب منزل الزوجية وأثاثه "عفش"، إمضاء
على قائمة بكل ما اشتراه ووضع مملكاً لها أمام القانون

"طبعاً مهر بنتي، ده حقها!"

مؤخر صداق بمبلغ كبير

"ولو جدع يطلق!"

وبالتأكيد الحب لن يروض طباع والدتها التي فرضت كل تلك الشروط السابقة:
- ساية كل المصايب اللي إحنا فيها وبتقولي لي مبقتش بحبك وأنا هنتيل أستحمل
كل ده ليه؟! وهل الحقيقة عشق؟! هو يفعل كل ذلك من أجل عشقه لها، وهي
أيضاً ما يجمعها غرام يتخطيا به كل شيء، نصف حقيقة أقنعا نفسيهما بها.
وأضاف الحقائق دوماً تمزق ولو أدعينا!

وحيرة قررت أن تمحوها بعرض والدته لتناول الغداء، ورغم أنه لم يمر وقت طويل، هي شعرت بحنان لمنزلهم وبيتهم وشارعهم القديم، حنان غريب إجتاحتها، وقررت الذهاب وهو سيلحق بها بعد الانتهاء من عمله، لم تمكث لدي والدتها سوى قليلاً هرباً من إستجواب تعلمه جيداً وصعدت لشقة والدته التي رحبت بها كثيراً، وقفت تساعدوا بالمطبخ، رغم رفضها بدأت تساعدوا وهي تطالعها تعمل بإبتسامة على وجهها:

- عارفة يا نورا، أنا مجبك عشان بتحيي مؤمن، طول عمري نفسي إنه يتجاوز اللي تحبه لأنها لو حبته هتقدر تفهمه وتستحمله، خطوبته الأولانية أثرت فيه جامد.
وسردت عليها قصة جرحه الأول ولا تدري أنها لم تكن وحدها السبب وراء تغييره، هي حتى لا تدري حقيقة تغييره، هي فقط تعلم قشور تظنها نتيجة جرح قلب وتبقى الحقيقة غائبة عنها تماماً، كحقيقة هجرانه وابتعاده، ودخلت هي لحجرتها تنظر اليها وتتذكر يوم دخلتها لأول مرة، لتسقط زجاجة العطر وتعلن عن وجودها بحياته. إستلقت على السرير واحتضنت وسادته، فكل ما كان محروماً عليها أصبح يحق لها وما هي إلا دقائق حتى غابت في عالم أحلامها، ودخل الى المنزل ليفاجأ والدته:

- وحشني أكلك يا جميل

قالها وهو يطبع قبلة على وجنتها..

- ليه؟ هو أكل نورا وحش؟، دي طباحة ما شاء الله عليها، ده حتى هي اللي عاملة الأكل ده كله.

ضحك من والدته التي أصبحت تدافع عنها بشكل كبير:

- هو إنتِ أمها ولا حمايتها؟

سحبت الحبز الذي بدأ بتقطيعه قطع صغيرة كعادته وقالت:

- أمها

- واضح، هي فين؟

- في أوضتك

أخبرته فتوجه ناحية حجرته ليجد الباب مفتوح فدخل إلى الداخل وهي نائمة على السرير ، بدت كحلاك بملاحمها البريئة، إقترب يجلس أمامها، يتلمس ملاحمها بظهر يده، بريئة لدرجة مغرية، بشرتها كالأطفال، عيناها ساحرتان حتى وهي مغلقة، أهداها تعانق وجنتها المتوردة بمثالية وشقتها..

توقف عندهما نظره، يتذكر يوم إقتنصها ليلة زفافهم ووجد نفسه يريد العودة للغرق بها مجدداً، إقترب يحصل على مذاقها مرة أخرى فتململت في نومها وفتحت عينيها بهدوء لتجده أمامها!

- وهكذا إستيقظت الجميلة النائمة!

قالها مبتسماً بعث لتتورد وجنتها وتضع أصابعها على شفتيها بخرج لكنه عاجلها بإقتراب آخر، حاولت منعه بوهن لكنها كانت تضعف أمامه وهمست بهدوء:

- ماما!

- ماما مين؟!

أجابها لتبتسم وعاود الكرة مجدداً لتسمع نداء والدته فدفعته بعيداً بهدوء:

- ماما ليلي بتنادي

- طنشها!

همس بعث لتضحك وجذبها إليه لتهمس:

- إحنا مش في شقتنا!

- قوي نروح

نظرت إليه تكتم إبتسامتها وقبل أن تنطق جذبها وحقيبتها ليغادر لمنزهم بعد أن إعتذر من والدته التي إبتسمت من جنون إنها والأخرى لا تدري ما أصابه، فمن إبتعد سابقاً عاد يقترب كسابق عهده، بل يبدو شغوفاً بها، لم يطق صبراً حتى وصلا لمنزهم وأغلق عليها باب واحد، إقتراب، ضمة، همسة، نظراته الهائلة بكل ما بها تقابلها نظراتها العاشقة، وفي ساء العشق شعرت أنها تنتقل بين غيابه الوردية برقة، تحيا الحلم بكل ما فيه، تنتمي حيرتها ، في دنيا العشق هي أصبحت ملكاً لحبيبها

وللمرة الأولى تفهم معنى أن تكون إمرأته، أن يجعلها ملكه وله ويدمغها بعشقه، وفي
فلك كل ذلك تدور حقيقة واحدة..
هي رسمياً أصبحت زوجته!

- طلقني يا عمرو!
صاحت بها بداخل مكتبه ليطلعها بهم:
- أطلقك؟!

وهو غاضب منها، كان أحرق لا ينكر، لكنها تلاعبت به، بحياته..
- إحنا قضينا مع بعض وقت لطيف، مفيش داعي الأمور توصل لأكثر من كده!
جراتها ووقاحتها معتادة بالنسبة له، لكنها أضافت القوة، هو لا يمكنه أن يهددها بأي شيء وما تفعله يغضبه، رغم أنها الحقيقة كانت رغبة متبادلة، كل منها حصل على ما يريد!

- صدقني يا عمرو في البداية أنا مكنتش عايزة جواز بس الخبر اللي سمعته أجبرني،
طليقي يموت!، إنت متخيل إني بعد كل ده أطلع من غير حاجة؟ بس هو طلقني ٣ مرات والحل؟
- محلل!

نطقها بعدم تصديق، لتبتسم بسخرية، هي تعشق التلاعب بالرجال، بالنهاية هم دمي لطيفة:

- إنت قدمت لي خدمة كبيرة أوي.
ورده كان صفة على وجنتها أشعلت عيناها غضباً
- إنت سافلة!

- ده برضو كان رأيك واحنا في السرير، بس وقتها كان عاجبك
وحقة لحد لم يعد يحتمله، فأمسك بذراعها يلقي بها خارج مكتبه بعد أن طلقها وبقيت حقيقة واحدة، هي دمرت حياته وخرجت منتصرة!

وحقيقة واحدة مشوهة موجعة قاتلة، حقيقة لا يجب أن يواجهها أحد، يُفضل عليها
ألف كذبة، لكنها تبقى الحقيقة التي سمعها بأذنيه وهي تتحدث على الهاتف:
- مينفعش أقابلك يا سعيد، منير رجع من السفر ومعايا طول الوقت!
ولا يدري كيف توجه نحوها واقتنص الهاتف من يدها ليسمعه يلقي بكلمات عشق
وقحة لزوجته، يذكرها بغرام سابق عاشاه معاً، الخيانة، حقيقة قاتلة!

الفصل الخامس عشر

الحب لا يصنع المعجزات، لا تكوني حاملة حواء، واجهي الواقع، واجهي ذلك القاسي متحجر القلب، إستعدي دوماً لتلك الطعنة التي ستدمي قلبك، توقعي الأسوأ فهكذا لن يجرحك أبداً!

شهر

تمر أيامه وساعاته، دقائقه وعدد غير معروف من الثواني، ذلك الوقت الفاصل بين حياة نتمناها وتلك التي نحياها، أيام أصبحت تثقل كاهله، أضحى التنفس بها صعباً، هو لا يدري كيف مرت تلك الأيام عليه منذ تلك اللحظة التي سمعها تتحدث مع شخص آخر خيانة!

- كداب!

صاحت بها أمام والدتها التي بالكاد خلصتها من قبضة شقيقها الثائر الذي ما أن علم بالأمر حتى إتجه إلى منزلهم لا يرى أمامه سوى سفك دمائها على أقل تقدير، فهي خائنة لزوجها، لوالدهم الراحل والأهم الشرف الذي أهدرته، عارها لا يمحوه إلا الدم!

- إقتلني يا أنس!

قالتها وهي تصيح بدموعها فخذها من ذراعها مجدداً:

- ده أنا هدفنك بالحيا يا فاجرة!

وشقيقتهم الصغرى تراقب المشهد وقلها يهدير بعنف، عقلها ضائع، يديها باردتان، وتساعد الموقف عندما سمحت علا ذراعها من يده وتوجهت ناحية المطبخ تسحب سكيناً وتضعها بيده:

- إغسل عارك طالما صدقته

هو مطبق على السكين بيده ووالدته وقفت بينهم تمنع أي جنون قد يحدث، لكن كلمة النهاية خطت بصرخة حياة:

- عائشة!

إنتهى الأمر بسقوط الصغيرة فاقدة لوعياها، وعي لم تعد تحمله، فالأمر فوق طاقتها، فهي ترى صورة عائلتها تتمزق بقسوة، وهو ضائع لا يمكنه أن يكذب صديق عمره، وإن كان من داخله يريد أن يكون حقيراً كاذباً، ألا تكون شقيقته خائنة، لوثت شرف الجميع.

- هي غلظت لما ردت على رقم غريب، واحد بيعاكس يقوم يتهمها في شرفها، بعد ما إستحملت معاه كل السنين دي، واحد غيره كان حمد ربنا عليها وانتفضت والدته تدافع عن إنبتها التي انكشت بأحضانها وهي تتذكر ما حدث، كان آخر ما توقعه أن تنكشف أمامه، بل لم يصدق ما سمع حتى وقفت نظراتها المهتزة تواجه نظراته البركانية، إرتعدت وهي ترى الهاتف يكاد يتحطم تحت قبضته والتالي معروف، مكرر بوجع وهو يصفعها ويجذباها من خصلاتها يطالبها بإعتراف لقصتها على مسامعه، هو بالغرية وهي تعرفت إلى آخر، علاقة لم تصل لخيانة الجسد ربما، هي أقسمت على ذلك لكن ماذا عن المشاعر؟، الأمانة، عن القلب، الشرف والعرض الذي إئتمنها عليهم؟، هي من جعل أحلامها أوامر واجبة النفاذ، من صنع لها تمثالاً بخياله عندما أخبرته أنها لا تريد سواه، والآن هي تستغل نقطة ضعفه، تطعنه بخنجر مسموم!

- أنا اللي طلبت الطلاق، حتي يكون ليا أولاد، مش مضطرة أعيش مع واحد مبيخلفش ولو مرضيتش هكون خاينة ومتهمة بشرفي!
قالتا بقسوة، قوة، جبروت امرأة دجته بلا رحمة، قتلت قلبه ومثلت بجشته ليأتي رده بارداً برود ميت أمعنت في قتله:
- إنتِ طالق!

قالها بثبات قبل أن يغادر وتبعه أنس بصمت قبل أن يتوقف ويعود إليها ليجدها تجلس مكانها يهدوء والدموع بعينها:
- إنتِ كدابة!

رفعت وجهها إليه وهمست:

- أنت مصدقه؟!

ضرب الحائط بقبضته غاضباً، يصدقه، شيء ما بداخله يخبره بصدقه ورغبة ملحة بداخله تقنعه أنه كاذب لا محالة، هي شقيقته، رفيقة طفولته وصباه، علا الرفيقة التي معها إستحال حبها قسوة تجد الحب بداخلها، هو ضعيف أمامها، في عرف الرجال الشرف يساوي الدماء وفي عرفه هي لها مكانتها بقلبه التي لم يحتلها أحد سواها - من النهاردة إنتِ لا أختي ولا أعرفك!

رفعت وجهها إليه بصدمة تامة، أيعقل أن خطؤها سيكلفها شقيقها؟! لكل شيء ثمن، وربما ذلك هو ثمن خطؤها الذي لن تعترف به مطلقاً، هي ليست بخائنة، ببساطة هو خائن، ضعيف، جبان، يوارى عجزه بإتهامها، ذلك هو الدور الذي رسمته له وهو عجز عن إخبار حتى أهله بأمرها، فقرابة الشهر وهو صامت وأخيراً أجاب على سؤالهم:

- طلقنها ليه؟!

- أنا مبخلفش وهي من حقها تبقى أم!

والحقوق ليست جميعها مستحقة!

فطلاقها كان من حقها، لكنه لا يزال يرى أن حياتها معاً، طفلهم، وحب حملة كل منها للآخر يستحق المحاولة.

- جاي ليه يا عمرو؟، هنقولها كام مرة؟ خلصنا خلاص

إنتفض غاضباً من نفسه، منها ومن كل ما حدث، هو بالفعل نادم طوال تلك المدة، حاول إسترضائها بكل الطرق لكنها على حالها عنيدة!

- ليه خلصنا؟! أنا مستعد لكل اللي تطلبينه، أنا بحبك يا مها.

إبتسمت بسخرية:

- حب؟! كنت بتحبني وهي في حضنك؟، كنت بتتخيلها إنها أنا ولا العكس، كنت بتبقى معايا وشايفها هي.....

- كفاية!

صاح بها قبل أن تهدأ نبرته ويهمس:

- أنا غلطت، معترف إني غلطت وندمان وعازيك تسامحيني، حرام إن غلطة واحدة تهد بيتنا ... تهد حياة إبننا.

طالعه بصمت وعيناها تقسو، فعناد حواء لا يلين وإن تحجر قلبها، لم تعد تبالي بشيء، لكن القلب لم يتحجر بعد، بل يشتعل بنيران حارقة ولا تجد حلاً

- أنا آسفة مقدرش أعيش مع راجل خاين!

كانت إجابتها التي دعمتها صديقاتها ولامتها عليها والدتها:

- كفاية بقي يا مها وارجعي لجوزك.

ووالدتها ترى الكثير خلف ذلك العناد وتلك القسوة، تدرك مدى عمق عشق إبنها له.

- إنت غلطتي يا مها، إنت عارفة غرام وأنا حذرتك منها كثير والراجل ندم وطلاقت منه رد على جوازه، بس إنت كان غلطانة لما تحطي واحدة زي دي في بيتك وتطلعي لها أسرارك، بصي لإبنك، إن كان عمرو طالب يرجع النهاردة فبكرا يزهرق ويتجوز.

- يتجوز؟

قالتها بعدم تصديق ثم أدركت الأمر، ما الذي سيجعله؟ تزوج وهي زوجته!

ألن يفعلها وهي طليقته؟!

ما الذي سيجعله؟!

وحلها السحري الوحيد كان صغيرها، فهي لن تتركه يهنأ بحياته بعد ما فعل، فكانت جملتها في منتهى القسوة:

- يزن هيعيش معاك!، إنت أبوه ومسؤول عنه، أنا مش هربي عيال حد!

طالعها بصدمة، فتلك ضربة جديدة لعلاقتهم، فهي تعلم مدى تعلقه بالصغير وهو لم يعتقد يوماً أنها قد تترك ولدها، لكنها القسوة بعالم حواء التي ما إن تمكنت فلا فرار منها!

ألقت بالأوراق من يدها وتمت:

- غبية، ما يتجوز ولا يغور وتعيش تربي إبنها!

- الستات قاسيين، رغم إدعاء هشاشة حواء ورقة مشاعرها، ساعات كثير فعلاً

بلاقي قلبهم حجر، ليه مها مترجعش؟!

- لإنه خاين!

قالتها بقوة وثبات ليجيبها بهدوء:

- عمرك ما هتشوفي الموضوع من وجه نظر رجل!

- وانت عمرك ما هتشوفه من وجه نظر ست!

رفع حاجبه مستنكراً وكاد يجيبها أنه رجل، لكنه تجاهل الأمر واتجه لنقطة الأصل مباشرة...

"- عمرو مش شريف! شريف خالك مع سبق الإصرار والترصد!"

- كلهم خاينين

نظقتها بتلقائية وجرح ليأني تعليقه ساخراً:

- كلهم مصطفى أبو حجر!

إبتسمت رغماً عنها وما أن رفعت عينيها حتى وجدتة يحدق بها كأنه يخترق داخلها،
لطالما آمنت بقوة النظرات وتأثير العيون، وعينيها تحاولان الهرب من أسر عينيها حتى
تمكنك من الإفلات وهي تتمم:

- كل راجل لو جت له الفرصة المناسبة يخون، إعتبرها زي الأوكازيون في المحلات،
كله بيشتري حتى لو مش محتاج!

وعادت إلى الأوراق قبل أن ترفع رأسها بسرعة تطالعه بشك قبل أن تسأل:

- وبعدين ثانية واحدة، إنت عرفت حكاية شريف منين؟!

- والدتك

والدتها! ضيقت عيناها بغضب، تكره تلك الصداقة التي جمعت والدتها بآدم بل
جعلتها تتباه، عادت إلى الأوراق وتلك المرة متهمكة بشدة، فهي تراها قصة فاشلة
تكللت بزواج فاشل، هكذا كانت قصة عامر وهدير التي مر على زواجهما شهر وهي
عاشت أغرب ليلة زفاف، كادت تتوكل أن ينهي أحدهم صراع الطبقات المتمثل في
زفافها بين أهلها، وأهلها، نقيضان إجتماعي لتشتعل الشجارات والخلافات، والدته تهكم
على كل ما حولها ووالدتها تتصرف على طبيعتها، وتلك هي المشكلة، والمعضلة الجميع
يطالبها بتغيير أهلها، وكانت البداية الزفاف، حيث الرقص ورش الملح وعادات الحارة
التي ناقضت ذلك الفندق الفخم، رقصة شقيقتها الصغرى التي أشعلت الزفاف
وأخرجتها وفرصة التنفس الوحيدة لها ذلك الأسبوع الذي قضياه بالغرقة.
- أحلى حاجة إنك معايا، إنتِ بس.

وابتسمت بسعادة وهي تسند رأسها إل صدره وانتهت أيامها السعيدة بسرعة البرق
فقد عادت لتجد وابل من المشاكل واتهامات متبادلة!

بيئة متعاليين!

أعما بتعامل ببشاعة أمك مش عاجبها حاجة!

بقى ده جهاز اللي انتوا جاييننه؟! وهو ده محر يليق ببنتي؟!
إحنا مننفعش بعض ... الجوازة دي كانت غلطة!
وهي وجدت نفسها تضيع وسط صراعات الجميع!
والليلة هي تنتظره بعد شجار آخر والسبب عميق لدرجة السخرية هي فقط فشلت في
طهي القليل من الأرز ليتحول الأمر لحرب تبادل إتهامات بين العائلتين وانتهى الأمر
به مغادراً وقد أوشك الفجر على البزوغ وهي جالسة ووجدت دموعها تسقط
تلقائياً، هي فقط تود الحياة وهو يود الراحة والجميع يمنعهم عنها!

لكل شخص من اسمه نصيب، حقيقة يؤكدّها الجميع، لكن المدة التي عاشها معها تؤكد له الأمر، وهي بالفعل حياة بكل ما تحمل الكلمة من إشراق وأمل، فهو عاد من عمله متردداً في الدخول لشقة والدته، تلك التي لم يطأها منذ ما حدث مع شقيقته وقد قرر أنها النهاية، وإن صدقها الجميع قلبه يخبره أن القصة ليست كذلك، زفر في ضيق وأسرع إلى شقيقته كأنه يمنع نفسه عن التنازل ودخل ليجد حياة تجلس مع شقيقته الصغرى التي ما أن رآته حتى إرتمت بين ذراعيه.

- وحشتني يا أنس ... إيه خلاص طالما تجوزت نسيّتي؟
وقبل أن يحببها ربت حياة على رأسها:

- إنتِ الأصل يا عيوش، ده مش يبطل كلام عنك، المفروض أنا اللي أغير منك!
قالتها بإبتسامة سرعان ما توردت وجنتاها لها، وهي تراه يحرق بها بإبتسامة ممتنة قبل أن يغادر لغرفته، وهي تشعر به، هي كانت شاهدة على ما حدث، غادرت شقيقته لتتجه هي إلى المطبخ وقد قررت أن تعد عشاءاً من أجله ليس ككل ليلة، الليلة ستجعله مميّزاً كترضية، هي تجد نفسها تسقط بحبه شيئاً فشيئاً، سقوط هاديء يرسم إبتسامة على وجهها كلما تذكرت كيف يعاملها منذ أن دخلت لمنزله، تشعر أنها تمتلك شيء خاص بها، هي ليست ضيفة ولا حمل زائد، هي فرد متأصل من العائلة، جزء من كل بعد أن عاشت حياتها كلها مبتورة، هي أخيراً تنتمي، تنتمي له فقط.

إبتسمت وهي تضع آخر طبق على المائدة وتوجهت إلى الغرفة لتجده قد نام وهو لا يزال يرتدي ملابسه، فخلعت عنه حذاؤه وتركته ينام بينما جلست هي على الأريكة أمام عشاءها وأطفأت الشموع ولا تدري متى أعلن سلطان النوم قدرته عليها فنامت ليستيقظ هو بعد وقت قصير وخرج إل الصلاة ليجها نائمة على الأريكة، ملامحها رقيقة وهادئة، تبدو بوداعة الأطفال، وربما هو إنعكاس روحها، نظر إلى العشاء الذي أعدته والشموع وكل ما حوله، وربت على كتفها بهدوء هامساً باسمها:

- حياة؟

وفتحت عينها ببطء لتجده أمامها، فإبتفضت واقفة وهو يشير لعشائها الفاخر:

- إيه اللي إنتِ عامله ده كله؟

نظرت إلى الأرض بخجل وأجابت بصوت بالكاد سمعه:

- عشانك

لأجله! لأول مرة يجد شخصاً يفعل شيئاً من أجله، هو إعتاد أن يفعل كل شيء من أجل الجميع، ووجد نفسه يتسم سعيماً بصدق، ربما هو يحب شعور أن هناك من يهتم حقاً، إبتسم لها بسعادة:

- طيب في حد يعمل الجمال ده كله وتنامي وتسبيني نايم؟ إنتِ كده بوظتي اللحظة. واقترب لتتحول إبتسامته لعبث، لم تعرف بم تحيب، فبقيت صامتة مرتبكة.

- أنا بهز معاك، بس مكلفة نفسك شمع وورد كمان

- شوفته وشادية عملاه لرشدي أباطة في الفيلم

أجابت بتلقائية لتندفع ضحكاته قبل أن يتوقف مجيئاً:

- رشدي أباطة مرة واحدة، لا ده أنا كده أنغر بقى ، طيب بدمتك أنا ولا رشدي أباطة؟

نظرت إلى الأرض بمرح وهمست:

- إنتِ طبعاً

ووجد نفسه يتسم لإبتسامتها ويهم بتفاصيلها الصغيرة، ربما هناك دقة أفلتت رغباً عنه لأجلها!

- هسخن الأكل، زمانه برد

وكادت تغادر ليمسك بيدها ولأول مرة شعرت بخشونة يده تعانق نعومة أناملها..

- تسلّم إيدك يا حياة

إبتسمت وغادرت بسعادة حقيقية لأول مرة تدرك معناها، هي وجهاً لوجه مع قلبه الرقيق والذي ينافي قسوة عالمه.

وكذلك حال الأخرى التي لم يمر على زواجها سوى شهر، عادت من شهر عسلها بأوروبا وما هي إلا أيام حتى عاد إليها لتجد أحمر شفاه عالقاً بقميصه، يخونها، حقيقة لا تدري كيف ستستطيع التعامل معها، حقيقة تخبرها أنها ليست مثالية، هي ناقصة لا تكفي زوجها، وبالفعل بدأ بالبحث عن أخرى، وسالت على وجنتها دمعة أخفتها وهي تسمع صوت والدته يناديها فإتجهت إلى الأسفل.

- كويس إنك لسه صاحية يا بسمه، قلت نتكلم سوا
أومأت برأسها وكل ما يدور بعقلها لماذا تفشل؟! لم لا يمكنها النجاح بزواجها؟
- قاسم نام؟

وابماءة أخرى، فهي ترتجف من داخلها ولو بدت قوية!
- عارفة يا بسمه أنا وافقت عليكى لإنك قوية، عندك قدرة على التغيير، قدرة على التأقلم، قاسم مش محتاج حب، محتاج ست تدعمه، ست تكون واجهة مجتمع، سيبك من الكلام الصغير ونزوات الرجالة، خلي عقلك أكبر من كده، قدام الكل لازم تبقوا
ثنائي قوي ناجح!

تستمع إلى كلماتها ويروق لها ما تسمع، ثنائي، قوي، ناجح، متماسك، صورة خارجية فقط لا غير!، ولم لا؟! فلستظاھر حتى يصبح الأمر حقيقة..
حتى تحقق أحلامها!

الأحلام تُحطم والآمال قد تؤلم، والحب؟!

الحب هو الطعنة التي لا شفاء منها!

شهر مر على زواجها! زواجها الفعلي، حلمها تحول لكابوس ولا تدري سبباً لما يحدث؟! هو فقط يقتلها ويموت هو الآخر ببطء، هي لا تصدق الكلمات التي ألقاها في وجهها وغادر ليتركها جالسة في صدمة!

لم لا يصدق لا براءتها ولا دليلها؟

فهي توسدت صدره تبتسم وتستمع إلى أنفاسه الهادئة، صامت وكذلك هي تستمع لحديث القلوب وهو ...

هو كسر جليد الصمت بسؤال واحد:

- نورا، أنا أول واحد في حياتك؟!

رفعت رأسها ونظرت إليه بإبتسامة:

- أنا عمري ما حببت قبلك ولا هحب بعدك

أجابت بعشق خالص لم يجد صدى لدى جليد قلبه بتلك اللحظة

- أنا مبتكلمش عن الحب

توقفت وهي لا تفهم كلماته وما تلاها كان صدمة لم تتوقعها:

- أنا أول واحد لمسك؟!

إتسعت عيناها بصدمة وشعرت ببرودة تحتاح جسدها، وعينا لم يسعفها لتستوعب ما قال!

- انت بتقول إيه؟

- أنا أول واحد لمسك؟

أعاد سؤاله وهي لا تدري بم تجيب؟، هو أول من بحياتها، هي زوجته، لم تكن لغيره يوماً وحصل على الدليل فلم يتهمها؟! لكن من خاض دروب عالم حواء يدرك أن عذريتها لم تكن يوماً بدليل، تلك البراءة بتلك الأيام يمكن تزيفها

كم من فتاة كانت له وتزوجت بعدها وتغنى الجميع ببراءتها وشرفها، حتى شقراؤه يوم كانت له ظن أنه الأول لتخبره بهدوء كعادتها:

- الموضوع مش صعب يا baby ، إنت قدامك كثير تتعلمه عن الألعيب بنات حوا!
وهو عانى من تلك الألعيب التي تصرخ برأسه الآن ومن أمامه لم تجد سوى الدموع لتخفف عنها وطأة ما تسمع!

- جاوبيني!

جذبها من ذراعها لترتعد من نظرتة..

- ردي عليا

- أأأأ، أرد أقول إيه ؟! إحنا كنا ... أنا

فقدت القدرة على الكلام، ربما صدمتها جعلتها غير قادرة على تجميع جملة وانتهى الأمر بإنهارها بأكية ومغادرته ليتركها بعقل يكاد يُجن!

ساعات مرت وهي جالسة بصمت وعقلها يصرخ بسؤال واحد، لماذا؟!

وعاد ليلاً ليجدها بنفس المكان الذي تركها به، فقط إرتدت ملابسها وتقوقعت على نفسها ونظرات متبادلة وبادرت هي بالكلام بعدها:

- ليه ؟! ليه يا مؤمن ؟! مين قالك عني كده ؟!

لم تجد تفسيراً سوى أن أحدهم أخبره بكذبة ما، وكأنها أشعلت جنونه مجدداً بسؤالها:

- هو حد يعرف حاجة عشان يقولها، قولي إنتِ، إعتري في

- أعترف يا إيه ؟!

صاحت به كأنها ستفقد عقلها ليجذبها من ذراعها ونظرتة بها جنون واضح:

- كان في مين قبلي ؟ وصلتي معاه لحد فين ؟

- أسكت بقى!

صاحت بدموعها، هي لا تدري سبباً لجنونه، فكل ما حدث بينها هي أنها زوجته ودليل براءتها كان حاضراً، الشرف الذي يتغنى به الجميع أثبتته، فما هو عذره إذاً؟! - نورا الرقيقة الهادية اللي لما فكرت أقرب منها وأنا كاتب كتابي ضربتني بالقلم، لكن بعد جوازنا هي اللي بتتقرب، هي اللي بتحاول، هي اللي عايزاني، هي اللي بتبدأ، مش كده؟!

- أنا مراتك!

قالتها بعدم تصديق، فهل أصبح ما فعلته جريمة؟! محاولتها التقرب من زوجها في وجهة نظره وضعها بخانة العهر؟!

- مراقي فعلاً! وأنا المغفل، مراقي الساذجة البريئة قدام الكل إلا معايا لا كانت ساذجة ولا بريئة!

كلماته ونظراته تتهمها وهي لا تدري بما عليها أن ترد سوى أنها قررت الإعتراف:

- أنا هعترف لك يا مؤمن!

هدر قلبه بعنف عندما سمع تلك الجملة وبدأت في سرد كلماتها:

- أول مرة أحب كانت يوم ما إنت انقذتني وضربت الرجل، يومها بدأت أركز معاك، غصب عني قلبي دق، هبل بقي، مراهقة، بس من يومها وهو بيدق لك إنت وبس، رفضت أي حد إتقدم لي عشانك..

وصمتت تبتلع دموعها وحسرتها ثم أكملت:

- لما خطبت حسيت اني بموت، بس قلت ربنا يسعدك ولما سبتها وشفت حالتك وقتها مت أكثر، لما خطبتني مبقتش مصدقة نفسي، أخيراً؟

بعد كل السنين اللي حبيتك فيها وأنا ساكنة وراضية...

وصامت لا يجد رداً على كلامها، بل يحلل كل ما تخبره به وسط دوامة من الضياع يخلقها عقله الذي يرفض أن يرى بأي من بنات حواء براءة، قلبه يصرخ أنها صادقة وعقله يلومه على محاولة تصديقها!، فبنات حواء جميعهن لا يعرفن للصدق سبيل!

- أنا يا مؤمن أُمي ربتني على الصّح والغلط، بس كمان علمتني الحياة، فهمتني هي وعلمتني ما أسمعش لصاحبة ولا لكلام البنات في السر، أنا مش عبيطة، أنا عارفة يعني إيه إني أكون زوجة، وزوجة لواحد بحبه..

إنت لما بعدت أول جوازنا إستغريت بقيت أقول إتغصب عليكي، بس أيام خطوبتنا إنت اللي كنت بتقرب، يبقى ازاي مغصوب؟! بقيت متلخبطة قلت أقرب يمكن أفهم، وامبارح أنا

وصمت لا تدري بما عليها أن تبرر كونها كانت زوجة! إنها لم تدعي زيفاً وتبرر، فقديماً قالوا للفتيات أن يدعين حتى لا يكن موضع شك وكأن العقل الذكوري لا يرضيه شيء وربما كن على حق، وفي حالته هو لولا شيطانه لكان ذلك أبعد ما يكون عن الصواب!

- أنا غضب عني كنت ملبوخة ومتوترة بس حاولت، حاولت لأني بحبك، لأني عايزة أبقي مراتك وحبيبتك وأمك وأختك وحتى عشيقتك، مش عايزة حاجة غير إنك تحبني واني أسعدك، ليه فجأة أتحول لجرّمة وشك؟! والإجابة لا يقدر أن ينطق بها!، ببساطة هو رأى ألاعيب النساء بين زيف وإدعاء، خديعة، وهي

هي أين تقع؟!

أتكون أول من يعلن البراءة بعالمه؟

يريدها ويستجدي صدقها، براءتها، حبها، ولكنه عاجز عن ذلك!

- عايزة تقنعيني إنك فعلاً بريئة وخام بس حاولتي عشاني؟، محاولة متمكنة يا مدام! قالها ساخراً بقسوة لتبتلع دموعها وتنطقها بهدوء:

- طلقني يا مؤمن!

- أطلقك؟! بالبساطة دي أطلقك؟؟

صاح بها غضباً لكن أجمته نظرة عيناها المتألّمة، صراع بداخله يكاد يقتله، قلبه يستنجد به لأخذها بين أحضانه وتصديقتها وعقله ينهره ويصرخ به أنها من جنس حواء، لا تكن أحمق مجدداً!

صمت لشوان كانت فيها حديث للعيون، أردف بعدها:

- مش هطلق وهتفضلي عايشة معايا وتعملي كل اللي أنا عايزه، والأيام بينا ياااااااااا...
يا بريئة!

تهكم وعقاب لذنوب لم ترتكبه، فهي أصبحت متهمّة بلا جريمة، وعاهرة بلا خطيئة!

الفصل السادس عشر

"أكثر النساء حاقّةً يُمكنها أن تتحكم في رجلٍ ذكي، ولكن يتطلّب الأمرُ امرأةً ذكية لتتحكم في رجلٍ أحمق"

"روديارد كiplنج"

حواء، الرغبة والشغف، الإثارة والغموض، الموت والحياة، أصل كل الخطايا، سارقة القلب، قاتلة الروح، ومعدبة الجسد!

حواء تمنحك ذلك الموت اللذيذ، تلك القبلة المسمومة لترحب بموتك بشغف، هي من تمتلك البداية وتخط النهاية!

لكن تبقى مشكلة واحدة، ليست كل أنثى تدرك أنها حواء!، محظوظ أنت لو قابلت حواء أو ربما أنت أتعس أهل الأرض!

أنت لعبة حواء..

مليكَة!

رفعت حاجبها بدهشة واعتراض:

- مليكة! خلاص بقينا بنأخذ الحكمة من أفواه مليكة دلوقتي!

قالتا بتهكم لبيتسم ببرود:

- ليها وجه نظرها!

وهو بارد أكثر مما إعتاد أن يكون، تقسم أنه شارد ويجلس معها بنصف عقل فقط، هنالك ما يشغله، ورغم فضولها القاتل ستمسك بصمتها، حاولت لتطرح سؤال غير الذي ترغب بطرحه:

- هو إنت ليه مصمم إني أقرأ قدامك؟!

- عايز أشوف إنفعالاتك.

إجابة باردة لتشتعل هي بالغضب:

- فأر التجارب الخاص بيك يعني؟

رفع يده يوقفها و بدا منهك، ربما لا تدري لكن هنالك شيء به!

- رحاب ممكن نأجل أي حاجة النهاردة؟!

ولأول مرة يبدو هاديء لا يحاول إثارة أعصابها ولا إثبات نظرية أنه على حق، وقام من مكانه لتقرر المغادرة، هي تتطفل على مساحة من حياته وربما هو من يدفعها لذلك، هي وجدت نفسها حائرة بشأنه، فهو يبدو لها كمن سقط بهوة مشاعر مؤلمة.

- رحاب، إنت سمعاني؟ عمتك هتيجي تقعد عندنا يومين، متخافقة مع جوزها.

- ثاني؟

حركت والدتها فمها بالتواء أنثوي:

- جوزها ناقص، بعد العمر ده كله عايز يتجوز عليها، قال إيه عشان كبرت!

إشتعلت عيناها بغضب وأتى تعليقها:

- ندل، كل الرجالة كده!

- بطلي عقد!، بقي ما أبوك الله يرحمه كان سيد الرجالة

إبتسمت لذكرى رجل لم يعد موجوداً على قيد الحياة ولم يعد هناك من هو مثله.

- الله يرحمه، عشان كده مات بدري، الناس الحلوة دي مبتطولش.

- الله يرحمه

قالتها والدتها بأسى قبل أن تتحول نبرتها للحماس وهي تبدأ بالمقدمة المعتادة لمعزوفة

عريس جديد..

- طنط إيتسام كلمتي و.....

- لأ !

أجابت بهدوء وحزم، فهي تعلم الطلب مقدماً ولن توافق، لن يدخل حياتها رجل.

- رحاب إنت بتحي آدم؟

إتسعت عينها في صدمة من مواجهة والدتها لها:

- أنا؟!

- أيوة إنت، مش شايفة إن وضعكم مع بعض غريب وباين إن هو كان عقد زيك،

تلاقي له حكاية زي الرحالة اللي كاتبهم!

وهي تركت كل شيء وعلقت الجملة بعقلها، هو لديه قصته الخاصة، عقده الخاصة
ربما، وهنا تذكرت كلماته:

"أحداث الرواية دي كلها حقيقية، كل الحيرة والوجع والألم اللي جواها بجد مش

مجرد عرض فلسفي لنظريات، دي جروح، جروح علمت جوا أصحابها للأبد!"

جروح لم تلتئم، جروح بوجهة نظره سببتها بنات حواء!

حواء التي تركت مقدرات حياتها بيد الجميع وقررت أن الخضوع هو الحل الأسلم،
فبدلاً من زوجة حصل على دمية ماريون، لا تتذمر، لا تشكو ولا تعترض!
فقط تنفذ كل ما يطلب منها وتجيّب:

"حاضر، اللي تشوفه، اللي يريحك، زي ما إنت عايز!".

- أنا تعبت يا مها، أمك مش فهايني، عاجبها الوضع؟؟

- هي مش دي هدير اللي طوب الأرض قالك متنفّعش؟

- إنتِ كان!

إعترض و كاد يغادر لتوقفه:

- خلاص أنا غلطانة وانتوا خلاص اتجوزتوا ولازم تحاولوا تنجحوا، عامر أكبر، زمان
وانت صغير كنت تبقي هتموت على الحاجة ووقت ما توصل لها خلاص بتبقي مش
عايرها!

أبعد عينيه عنها وزفر في ضيق قبل أن يعود إليها مجدداً:

- هدير وجودي بالنسبة لها زي عدمه، لا بتهتم ولا بتغير عليا ولا أنا فارق معاها
أصلاً!

حركت رأسها معترضة، فرغم رفضها لزواجهم عليها أن تعترف أن الفتاة تحملت الكثير
لأجله:

- هدير إتحمّلت كثير عشانك وانت عارف كده كويس.

وهو يدرك ذلك، لكنه لم يعد يحتمل، ربما المشاكل أصبحت تتفوق على حبه، ربما لأنها
لم تكن من تمنّاها، هو يعاني من سلبيتها!

- أنا هوريكي بالدليل!

وقطع كلامهم دخوله لمكتبها، أربيعيني أنيق يتسم بالرزانة التي أضافت وسامة لوسامته
رغم ملامحه الجدية.

- مدام مها؟!

تساءل لتومئ برأسها، فمد يده وقدم نفسه:

- سليم الصاوي
وأضاف يذكرها بإتصاله:
- كنت كلمت حضرتك بخصوص الحملة الإعلانية
- أيوه طبعاً، إتفضل في ميعاد حضرتك بالضبط
وجلس ليدرك عامر أن عليه الإنصراف وترك شقيقته لعملها..
- هعدي عليك بعد الشغل.
وغادر لتلتفت لسليم:
- نتكلم في التفاصيل على طول!
إيماءة عاقلة وإبتسامة متوازنة ليبدأ حوار عملي للغاية...
وفي الليل كانت بمنزل أخيها الذي أخبر زوجته بقرار سريع:
- هدير، أنا مسافر شرم الشيخ!
إلتفتت شقيقته تنظر إليه بدهشة لتندهش أكثر من ردها:
- ماشي يا حبيبي
- مع أصحابي ثلاث أيام
أومأت برأسها وأخبرته أن يفعل ما يحلو له!
- هحضر لك الشنطة
وغادرت ليستنعل غضباً فهي لا تهتم!، هذا هو تفسيره، وهي تريد راحته، هذا هو
تفسيرها!
- شايقة ولا غارت ولا سألت ولا أي حاجة، تصدقي بالله لهسافر أسبوع عشان
أريها!
- إستنى بس يا عامر
وغادر ليتزكها حائرة تنظر لهدير التي خرجت من الغرفة لتجد عيناها تلومها
فأخفضت بصرها

هل كان عليها أن تفتعل شجاراً وتصر على أن يصحبها معه؟!
آدم يكره الغيرة وتقييد حريته وحواء أطلقت يدها فأصحت غير محتمة!
وهي اهتمت وما نتيجة إهتمامها؟
فشل!

وحواء حين تقرر العقاب تفقد العقل، وربما قسى القلب أيضاً!
فهي تركت الصغير بعهدته والأمور خارج السيطرة تماماً، هو يستيقظ مبكراً ليعده
من أجل الحضانة، يوصله ويتجه إلى عمله ثم يذهب لإحضاره متأخراً كالعادة،
الطعام تحول إلى وجبات جاهزة والنوم ساعات معدودة والحياة أضحت سباق
لا يتوقف، لكنه يتحمل من أجل لحظة واحدة، لحظة يضم صغيره فيها بين ذراعيه
لينام لكن تهاجمه الذكرى!
هو في ذلك الوضع بسببه، بسبب حماقة هدمت حياة كاملة، فهل كان الأمر
يستحق؟!

هل كانت تستحق أن تخسر حياتك من أجل رغبة؟
والإجابة تأتي على هيئة إعتذار يقصه على مسامع النائم بجواره وهو لا يدرك من
حقيقة الدنيا شيء:

- أنا آسف يا يزن حقك عليا
فهو الوحيد الذي يدفع الثمن بلا ذنب ولا جريمة، وهكذا حتى ساعات النوم
المسروقة فليودعها، إتجه إلى المطبخ يعد قدحاً من القهوة ربما تهدأ من ألم رأسه لكن
الذكرى تهاجمه:
- بتحبيني؟!

سألها لتزفع عيناها بدهشة ممزوجة بعشق خالص:
- المفروض متسألش، أنا معرفتش يعني إيه حب غير معاك وبس، لا قبلك ولا
بعدك.

إبتسم وهو يرى إبتسامتها وتقدم نحوها لتتراجع:

- إيه يا مجنون؟!
تساءلت بنظرات محذرة ليقرب أكثر وهي تتراجع حتى أوقفها الحائط ونظراته العابثة
تتركز عليها!
- عمرو
همست ليجذبها محتضناً خصرها:
- حب عمرو
- هتفضل تحبني؟!
- لآخر يوم في عمري
ولازال يحبها..
لازال عاشق..
رغم أن كل شيء تغير، بقي ثابت واحد، عشق حواء متغلغل بالقلب
ولا يسهل إنتزاعه!

وهو ينازع روحه ولو بدا للجميع على قيد الحياة، أي حياة؟، لم يعد يدري!، هو يحيا
روتين ممل يكرره بآلية
إستيقاظ
كوب من الشاي
المدرسة
شطائر للغداء
دروس الأطفال
ولا عشاء!

فهو ينام ليلاً خاوي المعدة وخاوي الشعور ليستيقظ في الصباح ليعيد الكرة مجدداً،
دائرة مكررة مملة رتيبة ولا يسمح لأحد بتغييرها والقصة الملعنة تجعل من الجميع يعطيها
العذر، هي تود أن تكون أمّاً، يحق لها أن تكون أم وهي بقي لديها بقايا ضمير يؤنبها،
هو بالنهاية ضحيتها وهي تعلم لكنها لم تحبه، هي فقط لم تحبه، والقلوب ليست بيد
أحد، فهي حاولت وفشلت، تغرّب من أجلها وأحضر لها ما أرادت، هي كانت
زوجته ومسؤوليته، قضت سنوات من عمرها بجواره وذلك حقها، لكنها مخطئة
قاسية....

فبحسبة العقل هو خسر وبحسبة القلب هو كُسر!

كسر!

كل ما كان ما يشعر به هو الكسر، هناك كسر خفي لا يستطيع أن يجبره، شرح بروحه وشتات عقله، شارد بما حدث، حتى أن والدته لاحظت سكونه:
- مالك يا مؤمن؟

- تعبان!

أخبرها بوجع حقيقي يعتصر داخله لترت على كتفه:

- بعد الشر عنك يا حبيبي، مالك؟ إحكي لي.

نورا!! معضلته التي لا يجد لها حلاً، لكنه لن يتحدث، فقط أجاب بهدوء:

- مشاكل في الشغل، إنسي، المهم إنتِ عاملة إيه؟! مش ناوية تيجي معايا؟

- هنا بيتي ومكاني، هات إنتِ نورا و تعالوا عيشوا هنا وتبقوا وسطينا.

رسم ابتسامة باهتة على شففيه دون أن يجيب، وقطع حديثهم طرقات على الباب لتتجه والدته و تفتحه.

- إزيك يا مرات عمي؟

- سليم، أهلاً يا ابني اتفضل

وتوجه للداخل ليتقدم منه مؤمن مرحباً:

- ازيك يا سليم؟، عاش من شافك، جيت امتي؟!

- من أسبوع

وجلس ليتحدث إليهم سليم، ابن عمه وأقرب فرد من عائلة والده لهم، وربما الوحيد،

والصدمة كانت من نصيبهم عندما سألت والدته:

- وطالما هتستقر هناء مجتش معاك إيه؟!

- إتطلقنا!

أجاب بهدوء لتشهق والدة مؤمن وتضرب صدرها بيدها:

- لا إله إلا الله، إيه؟

- غيرتها مش معقولة، مش مجرد غيرة، ده شك، شك في كل حاجة، الشك جنون بيدمر أي علاقة!

والجملة تتردد برأسه: "الشك جنون بيدمر أي علاقة!"
شك صنعته حواء، وحواء تحترف لعبة الإغراء، وهو غارق ممزق بين عاهرة وقديسة، بل هو لم يعد يؤمن بوجود القديسات، وتبقى هي ضحية!
ضحية عبثه وضحية حبها!

وفي عالم حواء الحب هو الحاكم المتحكم في كل شيء، حواء الوردية الرقيقة، مثل الزهرة، وهي تشعر أن بتلاتها تذبل وتكاد تسقط واحدة تلو الأخرى، فمنذ ما حدث والصمت سائد، ولطالما صرخ بها عقلها "إحملي حقيبتك وعودي لمنزل أهلك"، وتحشى ما سيحدث، ما سيقوله الناس عن إنتهاء زواجها بعد شهر أو يزيد قليلاً، وماذا عن عشق السنوات؟ أتدهسه أرضاً؟!

لم لا تحاول؟ فلا بد لحبها أن يجد صدى، لكن كل يوم تجد به بارقة أمل يعود لقتلها مجدداً، وها هي تقف بالكية أمام الموقد تقلب الطعام وعقلها شارد لتعود من شرودها على إقتراب ذلك الذي وقف خلفها.

وامتدت يده فوق يدها يقلب الطعام معها بهدوء يعلم أنه يريكمها، يشعر بأنفاسها تضطرب، قلبها يهدر بقوة وتجمدت في مكانها وهي تشعر بأنفاسه تقترب أكثر، وهمس في أذنها:

- وحشتيني!

والكلمة تسقط بقلبها بقسوة، أغلقت عينها ودموعها تتجمع بمقلتيها، إستجمعت قواها والتفتت لتواجهه بقوة:

- مؤمن، أنا...

وضع إصبعه على شفيتها برقة وعيناه تحديق بعينها بنظرات رأت بها حب وودت لو يكون شفيعاً لها:

- أنا آسف

تساقطت دموعها ليتقدم نحوها طابعاً قبلة على وجنتها:

- سامحيني، أنا كنت غبي ومجنون

تطبق على الملعقة بيدها بقوة، ترفض ضعف يحتاج قلبها وقبلة على وجنتها الأخرى وهي لا تزال على عنادها

- أنا بحبك يا نورا، بحبك بحد

ونظرة عينيه تضعفها، لكن كلماته لازالت بأذنيها، تطعنها بقسوة فتمزق روحها.

- نورا، أنا متلخبط وعازيك جنبي، محتاجك، هتخلي عني؟، هتخلي عن حببيك اللي أول مرة يحس إن في حد بيحبه بحد؟

وهو يراها بعينها، بدأت تلين نظرتها وضياح الكلمات من عقلها، إقترب ليضمها وهي فقدت القدرة على المقاومة وهو يمس بكلمات عشق وگرام، إعتذار، يلوم نفسه ويعدها بالكثير وإن كانت غاضبة لمحاولته إصلاح الأمر بقبلة فلتتذكر سحر القبلة التي أيقظت الأميرة النائمة، ففي دنيا الخيال قبلة حب صادق تصلح الأمر كله، وهي كانت هي تذوب بين ذراعيه واقعة تحت تأثير السحر.

- سامحيني يا نورا، وحياة مؤمن عندك لتسامحي

هل أخبرك أحدهم عن سحر النظرة؟، تلك القوة التي تسحر؟، تسكر؟، فيغيب معها العقل ويستلم القلب زمام الأمور؟

والشوق قاتل، والحب مخادع، ومعه هي خاسرة!

تستسلم له ليحيا معها تجربة الغرام مجدداً، ومعها كانت نشوى العشق غامرة وما أن إنتهى حتى إبتعد وغاب خلف باب الحمام وتركها بين أفكارها وهو تمزقه أفكاره إرباً!

راهننت نفسك عليها و فرت يا مؤمن، برافو!!!

كنت متخيل إنها هترفض؟!

اللي عملته فيها مش شوية، كان لازم ترفض!!

بس هي بتحبك!

كلهم برروا سفالتهم بالحب
هي مختلفة وانت عارف
مختلفة في إيه؟! زيا زي غيرها!
كذاب!

معاها انت مرتاح..
لا، أنا مخنوق!

لما بتبقى بعيد بس!
هي عايزة تسعدك، هي ست، بتحبك!
حوا، هي حوا زيا زياهم متفرقش عنهم!
لا تفرق ...
هي مراتك!
لا، متفرقش!

لو متفرقش مكانتش لحبطتك!
ليه بتدفعها من ذنوب غيرها، هي بريئة!
بريئة؟! مفيش ست بريئة!
مفيش حوا بريئة!
وقطعت أفكاره طرقات على الباب وهمست بهدوء:
- مؤمن!

لم يجها، هو لا يريد سماع صوتها القلق، إكتفى من تلك اللعبة وخرج بعد فترة لتقرب
منه بهددوء:

- مالك يا مؤمن؟!

وغادر دون كلمة واحدة، غادر ليتركها بصمت، وهذه المرة لم يجرح، فقط إنغلق على
نفسه كحال بداية زواجهم، إبتعد وتركها تتخبط، أصبحت ترى إستسلامها له لعنة،
رما هي مخطئة، هي عليها أن تبعد، وبالفعل إنزوت، فهو عاد ليجدها بغرفة منفصلة

ولم يسأل وهي لم تجيب، إستلقى على السرير يتذكر لمستها، عيناها التي تشع بالحب، تلك الإبتسامة البريئة التي تزين شفتيها وتجعله يود العودة مجدداً، هي تستحذ عليه، يكاد يجزم أنه يسمع أنفاسها بالغرفة المجاورة، حركتها، وجودها أضحي عذاباً لا يحتمله فإنتفض يغادر المكان بأكمله، إلى أين؟، لا يدري!

جلس بسيارته لا يجد وجهة يتجه إليها، يعث بمفاتيحه ليجد مفتاحاً يعرفه، شقة مليكة، فقرر التوجه إلى هناك، فلا زال الليل بدايته وهي لن تحضر بالتأكيد، ودخل ليجد المنزل فارغاً فإستلقى على السرير محاولاً للممة عاصفة أفكاره لكنه إستيقظ ليجد من تستلقي بجواره مبتسمة، فإنتفض قبل أن يدرك أين هو؟!

- إنتِ جيتي إزاي؟!

إقتربت بإغراء تمحو المسافة بينها وهمست:

- وحشتني، قلبي جاني لحد عندك، كنت حاسة اني هلاقيك هنا!

وجهها لا يبعد عن وجهه سوى سنتيمترات تخطط للقضاء عليها ونبرة صوتها تنخفض بإغراء:

- إنتِ كمان إشتقت زي!

أبعد خصلات شعرها عن وجهها وهو ينظر إلى عينيها بطريقة يعلم أنها تنثيرها ولا يهتم، فقط همس بغضب:

- مليكة! ابعدي عني

دفعها بعيداً ليغادر السرير وكاد يغادر الغرفة لتوقفه واضعة يدها على صدره:

- إيه؟ المرة الجديدة مش سااية حاجة لغيرها؟

ورغم غمرة عيناها ووقاحتها المعتادة كان صوتها يتشبع بغضب

- المرة اللي إنتِ بتقولي عليها دي مراتي

قالها محذراً من أن تتجرأ عليها و صدمته طرقتها!

- مراتك؟! فعلاً بقت مراتك، مبروك يا عريس ... عجبتك؟!

إشتعلت عينيها بغضب وكاد يغادر لتقف أمامه مجدداً:

- إيه مالك؟! اوعى تقولي انك حبيتها!، حبيتها صح؟، تاني يا مؤمن؟، إنت مبتتعلمش؟، كل اللي فات ده معلمكش إن مفيش حاجة إسمها حب؟ والهائم مختلفة بقى في إيه خلت قلبك يدق؟

قالتها بسخرية وأطراف أناملها تدق على موضع قلبه:

- ملكيش دعوة

- فعلاً قدرت تقنعك إنها مش سافلة؟!

والرد صفعه ونظرات نارية، صدمتها لكنها ابتلعت الصدمة واقترت بهدوء ونظرة متألمة:

- بتضربني عشانها يا مؤمن؟! هنت عليك!

- إنت عايزة إيه؟!

- عايزاك!

قالتها بوضوح وصراحة صدمته رغم أنها لم تكن المرة الأولى لكنه لأول مرة يشعر أنه عاهر، فما الفرق بين عهر الرجل والمرأة؟!

- إيه أول مرة؟! الأوضة دي تشهد علينا، الشقة كلها، أنا ممكن يكون ليا شريك مش مشكلة ما هو أنا مش معقول أطلب منك تكون ليا لوحدي بس أنا ابقى دائماً الأولى!

- مليكة، ابعدي عني دلوقتي

وكاد يغادر لتجذبه بفرض قبلة دفعها بعيداً عنه!

- أنا مش هسيبك تمشي، أنا ليا حق فيك ولما اقولك اني عايزاك يبقى مش من حقك ترفض، إنت ملكي!

- قلت لك ابعدي

ودفعها بعيداً لتصفعه فاشتعلت عيناه كجمر من النار وتقدم نحوها لتراجع، فقد كانت تلك الضربة التي قضت على كل شيء، هي تستفزه، تثير حنقه ولا تتوقف، وتلك المرة وقوفها أمامه جعلت غضبه يصل لذروته فدفعها إلى السرير بقسوة متوعداً:

- مش هو ده اللي إنت عايزاه؟
غاضب لأقصى درجة ووسط غضبه وجدها تقاومه خائفة، وكلما قاومت كلما زاد إصراره، بالنهاية هي من أغضبتة، هي من أرادت؟!
ولتدفع الثمن، لكن صدمته تلك الإبتسامة التي أفلتت منها وسط مقاومتها الضارية، لمعت عيناها بإثارة مريضة ليدرك أنها أوصلته لتلك الحال عن قصد، كانت لعبتها من البداية!

إبتعد يلهث في صدمة وعقله يردد " مجنونة"!، تدفعه للجنون وصاحت به وهو يغادر، لكنه هرب لتلعب تلك اللحظة التي دخلت تلك الفتاة حياته ولأول مرة كان يشرب لينسى كل ما حدث!
والصور تعود بذاكرته ، تلك اللعة بعينها والإبتسامة الالهية!
هي تتحكم به، جنونها يتلبسه، وعاد لمنزله ليجدها بانتظاره
- مؤمن!

إبتعد عنها واتجه للحمام يفرغ ما في جوفه وخرج مترنحاً، كاد يسقط ليجدها تمسك به.
- مالك؟

تساءلت بقلق وعيناه تقابل عينيها دون رد، هو شبه واع وغاب وعيه بين ذراعيها وهي تمسح على رأسه بعد أن إستلقت بجواره ورأسه يستند لصدرها، هي أصبحت حائرة بطريق ضياعه ولا تجد السبيل!

- ماما!
- صرخة عائشة التي كانت بالمنزل بمفردها، ولم تجبها سوى حياة لتجدها على الأرض وابنتها بجوارها!
- إيه اللي حصل؟
- معرفش، هي تعبانة من الصبح، فجأة وقعت من طولها!
- أخبرتها بدموعها، لتحاول حياة التصرف بعقل رغم إرتجافها:
- إهدي، ساعديني نوصلها السرير وهشوف لها دكتور.
- وساعدتها في وضعها بالسرير وتوجهت حياة إلى الأسفل لا تدري أين ستذهب سوى لورشة أنس.
- البشهندس فين يا علي؟
- في مشوار، خير؟!
- ومظهرها لا يوحي بأي خير على الإطلاق، لكن زوجين من العيون راقباتها فكانت شقيقة بسمة أول من رأتها.
- دي حياة!
- إلتفتت بسمة قبل أن تستقل سيارتها، فهي أتت بزيارة خاطفة لمنزلهم إنتهت كالعادة بشجار مع والدتها لتغادر وتتبعها شقيقتها، لكن إسم حياة حمد كل شيء بداخلها سوى ذكراه، توجهت شقيقتها نحوها:
- مالك يا حياة؟!
- أم أنس وقعت من طولها وعازية لها دكتور ومش عارفة حد هنا
- وعندها إبتسمت وهي تتقدم بغرور، فهي لن تترك تلك الفرصة لتمر من أمامها:
- أنا دكتورة
- وكأنها وجدت طوق النجاة، فصعدتا إلى السيدة وبكشف سريع وحقنة بدأت في إستعادة وعيها.

- خير يا جاعة، بسيطة، السكر والضغط محتاجين يتطبّلوا وإن شاء الله تبقى زي
الفل.

إبتسمت حياة ممتنة وهي ترى والدّة أنس تستفيق:

- إحنّا متشكرين أوي يا بسمّة

والإسم أوقفه بباب الغرفة قبل أن تلتفت لتلتقي عيناه بعيناها، ومن ظنت أنها أتت
تستعرض قوتها أمامه وجدت قلبها تضطرب دقاته وهي تنظر لعينه لثوانٍ جمدت
المشهد كله تحت نظر زوجته التي جمعت الخيوط بسرعة:
بسمّة!، طيبة، خطيبة زوجها السابقة، بل حبيبته لسنوات!

ولعدة أيام إختفى، وحضر لسمع تعليقاتها بصمت ونصف عقل، زفرت في ضيق:

- آدم، إنت مش معايا؟

وبدا الغضب على ملامحها ليتمّ بإعتذار:

- أنا آسف!

وبداخلها النظرية تكتمل ولم تحتمل الكتمان أكثر، فوسط تلك القصص تكمن قصته
الخاصة وانطلق السؤال على لسانها كرقصة لا رد لها:

- إنت مين فيهم؟!

الفصل السابع عشر

الحب رقصة ساحرة ياقاع موسيقي خلاب، والزواج نشاز في الإيقاع!
رؤيتها بعثرت كيانه!

حقيقة سيلومه عليها الكثير، وبالنسبة إليه فليفعلوا!
لطالما أخبروه أن يكون رجلاً، يتجلد و ينسى حب عاش بداخله لسنوات وفعل،
تركها، محاما من حياته، وتزوج!
تزوج مع إيقاف التنفيذ!

تزوج بمن وقفت ترى نظرتة للأخرى وإن لم ترى عشق لحظي تحول لبرودة تامة
فهي جاهلة!
- أنا مضطرة أستأذن

كانت كلمات الطيبة المضطربة تحت نظرات الصامت، فهي غادرت ونظرتة عالقة
برأسها، أيعقل أنه لم ينساها؟!
كان السؤال الذي تردد بعقل امرأتين، إحداها بجرح والأخرى بفخر، فهي إستقلت
سيارتها وعلى شفيتها إبتسامة مرضية لأنوثة يجرحها زوجها بخيائنه ويرضيها هو بعشقه،
من إعتقدت أنه تخطاها لازال لجام قلبه بيدها!
وصلت لمنزلها على غير العادة مبتسمة، مشرقة ولم تعتد أن تأتي من منزل أهلها بذلك
الوجه أبداً!

- مالك مبسوطه أوي كده؟

- عادي

أجابت وهي تحرك كنفها بلا مبالاة قبل أن تتجه لغرفتها، حررت خصلاتها من
الأسر، تخلصت من معطفها ووقفت تنظر لنفسها، هي أثى جميلة وكل حواء جميلة،

والمال يمنحها كل التعديلات اللازمة، فستان صمم ليرز مفاتها، زينة مبهرة
وخصلات زادت من خصلاتها الأصلية طولاً، ورموش صناعية جعلت عينيها تبدو
أكثر سحراً، وأنهت الأمر بعقد اسدل يزين جيدها، ووقفت تتأمل نفسها بعد
التعديلات!

ساحرة، مبهرة، مزينة ككل ما حولها، كحال سعادتها وزواجها، فهي شعرت بذراعيه
تطوقانها، وتلك الليلة قررت أن تجعلها مميزة، تلك الليلة مختلفة!
إبتعد يحضر لها ما أرادت، صب الكأس واقترب منها لتأخذ الكأس من يده:
- إنَّ مالكَ النهاردة؟

- عايزة أجرب!

وتجربتها مختلفة، هي قررت أن تحيا بدنيا الخيال مع من فقدت وكأسين من الشراب
أذهبها بعقلها، بل حقق مخيلتها، فهو ظن أنه قضا ليلته معها، ظن أنها منحتة حباً ولا
يدري أنها بخيالها كانت مع آخر!، تمنح، تبتسم وتذوب، وهي تظن نفسها بين
ذراعيه، رجل آخر كان كلمة السر في ليلة بينه وبين زوجته!
أنس تركته بواقعها وكان أمير خيالاتها!
في نغمة سقيمة لزواج عنوانه المصلحة، فكل يبحث عن فائدته وكفى!

وهي لم تجد نغمتها، وربما أصبحت تصدق أنها نغمة مسروقة، لا تحق لها، فند أن غادرت الطيبة اللامعة وهي شاردة، إتجهت للمطبخ تحضر لوالدته الطعام وتهتم بكل شيء، إنهمكت بعيداً وعقلها يؤلمها، بل قلبها السبب، قلبها الذي لم يعرف الحب سوى معه والشك أصبح محور تفكيرها الذي تحاول جاهدة أن توقفه حتى أنها قامت بحملة تنظيف إنتهت بها، تنظف الموقد في الرابعة فجراً!

إبتعاده عنك لم يكن شهامة، هو فقط لا يتخيل إمراً غيرها، لا يمكنه أن يكون مع أخرى سواها، مهما مر الوقت، لا ينظر إليك بنفس الطريقة، معك هو ممتن بينما هي عشق السنوات، وأنت اليتيمة الجاهلة التي يشفق عليها!

هي الكامنة بقلبه والمتغلغلة داخل روحه وانتِ الجزء الزائد بقصة عشقهم، أنتِ خاسرة حياة، خاسرة تماماً!

هي طيبة واعدة جميلة، وأنتِ ؟

أنظري لحالك تفركين الموقد لتخلصين من توترك، أنتِ تصلحين زوجة حياة روتينية، تطهو، تنظف، تنجب الأولاد وتربيهم لكن للعشق قوانين أخرى حياة، قوانين لا تنطبق عليك!

أنتِ تفتقرين للشروط والمواصفات!

واندفعت الدموع من عينيها، وجلست على الأرض بجانب الموقد، فقد فقدت القدرة على التحمل، فهي تحبه ولا تدري ماذا عليها أن تفعل؟!

- حياة! مالك إنتِ كويسة؟

تساءل بقلق لستعلق عينيها بعيناه، هو يرى ألماً بها لا يستطيع تفسيره، مد يده إليها لتمسك بيده ويساعدها على النهوض:

- الصابون دخل في عيني!

نظر حوله ليجد المطبخ يلمع حقاً!

- إنتِ بتنظفي المطبخ الفجر؟

أومأت برأسها بهدوء ليلبتسم لها ويعد خصلة شعرها التي إلتصقت بجبينها ووجنتها:

- عارفة لما كنت بتضايق أوي كنت بفضل أشتغل وأواصل الأيام من غير ما أحس، بدور على أي حاجة تلهيني، بس عمري ما عملتها إلا لما أبويا مات لإن مبقاش ليا حد، طول ما أنا عايش مش عايزك تحسي بكده.

ولأول مرة يضمها إليه لتبكي، هي حائرة وكلماته أوقعت قلبها بحيرة أكبر، تنفض باكية بين ذراعيه وهو يمسح على رأسها حتى إنتهت وابتعدت تنظر إليه، تحاول الحديث وتفقد القدرة على النطق!

- بطلي بقى اللي بتعمله ويلا عشان تنامي

كانت تود الإجابة لكنها عجزت فقط إيماءة صغيرة، وغادر لتنطق بجملتها على أثر رجليه - بجبك!

همسة لم تصل لأسماعه، لكنها ضربت بأعماق قلبها الذي أضحى يعرف لحن الألم منفرداً!

وسيفونية حياته تداخلت بها النغرات كلها، فالشاب الناجح الطموح يتحطم عالمه، فهو لم يذهب لمكتبه لمدة يومين وزميله يصبح به:

- عمرو، إنت لازم تيجي؟ الدنيا هنا ملخبطة!

- إتصرف يا كريم، يزن حرارته عالية ومش هقدر أسببه!

صاح الآخر به غاضباً:

- مينفعش يا عمرو، المكتب في كارثة!

أخبره وهو يجلس بجوار الصغير يضع كرادات الماء البارد على رأسه، فهو الوحيد الذي يعتني به ولم يجد أمامه سوى جاره وزوجته:

- معلى يا أستاذ محمد، أنا متأسف بس أنا مضطر أسبب يزن عندكم ساعتين.

- متقولش كده يا أستاذ عمرو، الجيران لبعضيا ويزن زي محمود ويارا.

وأوماً برأسه وغادر متجاهلاً حقيقة التعليقات التي تسأل عن والدته الصغير ورفضه التام بأن يخبرها حتى لا تظنها إحدى محاولاته للعودة، وهو لا زال يتذكر المحاولة الأخيرة:

- أرجع لك ليه يا عمرو؟ إيه الميزة؟

قالتها بتهكم ساخر وهي تجلس أمامه واضعة قدماً فوق الآخر:

- أنا عايشة حياقي ومش ناقصني حاجة من غيرك، إنت اللي ناقصك وإنت اللي عايز، يبقى لازم أعرف هتقدم لي إيه في المقابل؟

وكلماتها، نبرتها بل كل ما تفعله صدمه، تلك ليست هي، ليست حبيبته، زوجته، لم تعد مما التي عرفها:

- جوازنا مكانش صفقة ولا عطاء في مناقصة

- و متجرؤش إن انت تسميه حب، لو كنت بتحبني مكنتش استحييت لمسة واحدة ثانية، إزاي قدرت؟ لما أعرف إزاي قدرت، وقتها يمكن أفكر أرجع لك!

وتلك المرة انصرف غاضباً وقرر أنه إكتفى، فكلما طلب كلما عادت، إنصب تفكيره على عمله والصغير الذي لا تراه والدته سوى مرة بعطلة نهاية الأسبوع وقرر ألا يتواجد تلك المرة، فخاله يحضر لأخذه:

- مها غيبة يا عمرو، ردها غضب عنها، العدة قربت تخلص.

- مينفعش يا عامر، لو هي مبتقتش عايزاني يبتقى خلاص وحمل يزن وحقيبتيه قبل أن يعلق:

- اسوأ قرار في الدنيا الجواز!

ولا يدري إن كان يتحدث عن نفسه أم عن حال من أمامه، فما أن يغادر الصغير حتى يقضي هو اليوم نائماً إستعداداً لأسبوع آخر يقابل به كوارث جديدة، وكأن القدر هو الآخر قرر معاقبته على زلته!

- أخيراً إتحت!

ارتقى على الكرسي ينعم بدقائق من الراحة بعد أن أنهى الكارثة بعمله وأغلق عينيه بإرهاق:

- أنا نفسي أنا!

قالها بإرهاق ليعرض زميله الحل على الطاولة:

- إتجوز!

ضحك عمرو بسخرية متهمكاً على حالة قبل أن يجيب:

- ثاني! لا ثانية واحدة، ثالث؟، يا ابني أنا معملش فيا كده إلا الجواز، الجواز ده أكبر فشل في الحياة!

- وعالز ترجع مراتك ليه؟

تساءل صديقه ليجيب بنبرة متألمة:

- مها فشلي الأول والأخير!

ونعمة الفشل تساوي العشق، عشق أضاعته بسذاجة وربما غباء، لكن العناد كان سيد الموقف، فهي لن يرجعها سوى الإنتقام

فدقات قلبها الهادر بجرح لن تهدأ إلا بثأر لذلك الجرح، والثأر أتى إليها يسير على قدميه، هو يفضل الخط المستقيم، لا مناورات ولا حوارات، فقط سؤال أراد إجابته:

- تتجوزيني يا مها؟

سلم الصاوي يلقي بعرضه ليتركها في صدمة!
وتدرك أنه يمكن لسيفونية إنتقامها أن تبدأ!

والحب سيمفونية ألم..

عندما تتألم إذا أنت حقاً تحب!

كيف ذلك؟!

لا أحد يدري!، متلازمة غريبة، هو لحن سعادة وألم متلازمين وهي قررت عزف لحن الحب للمنتهى، فهي يجب أن تفهم ما أوصله لتلك الحال:

- أنا عازة أروح عند ماما.

أوماً برأسه موافقاً قبل أن يغادر لتصحح:

- ماما مسافرة عند خالتي، أنا هروح لماما ليلي.

إلتفت إليها وقبل أن يسأل كانت تجيبه:

- وحشتني وأنا طول اليوم زهقانة وانت برا

وأوصلها لوالدته التي سعدت للغاية لقدمها، فهي تحبها وتعتبرها ابنتها التي لم تنجبها، وهي قررت أن تكون والدته المفتاح:

- ماما

نطقها كأنها تحسم تردداً بداخلها:

- أيوه يا نورا

وظلت صامته بم تجربها؟! لا تدري هل تجربها أن ابنها يتهمها لأنها كانت له زوجة أم أنه عاد معتدراً وتارة تجده عاشقاً وأخرى نافراً وأصبحت تبتلعها دوامة شعوره؟

- نسيته!، أنا هدخل أوضة مؤمن أنا م شوية لحد ما يجي

- طيب وأنا كمان هشوف شوية شغل، الجدول بايظ والمدرسين بيغيبوا، حاجة آخر إهمال

وهي إستمعت بنصف عقل وغادرت لغرفته لا تدري عما تبحث أو لم تبحث؟!

هو مصاب بعقدة الشك وهي أدركت ذلك، تلك هي العقدة وعليها إيجاد الحل؟

واتجهت لمكتبه تعبت به لتجد أشعاراً وقصصاً غير مكتملة، أخذت تقرأ بشغف، هو كان موهبة وليدة قضت عليها كلية الهندسة

إبتسمت وهي تقرأ إحدى قصصه القصيرة، كانت رومانسية حاملة، ورسمت على وجهها فرحة وهي تتذكر أن هذا هو من وقعت بحبه وهو من سعيده لها مجدداً، قضت وقتاً طويلاً حتى وجدت مذكراته، فشعرت أنها وجدت كنزاً وشرعت في قراءتها، طفولته، مراهقته، إفتقاده لأبيه وعشقه لأمه، الثانوية وانتقادات زملاءه ثم فترة إقطاع طويلة وعودة للكتابة، دخوله لكلية الهندسة وحياة جامعية فارغة ولقب الشيخ إلتصق به وهو لا يراه بنفسه، وفترة إقطاع آخر ثم خطبته لندى، ولا شيء بعدها سوى صفحة واحدة:

"تقول الأسطورة الإغريقية القديمة أن الساحرة حذرت أوديسيوس من المخاطر التي سيواجهها في البحر قائلة: " ستلتقي بالخوريات اللواتي سحرن كل من اقترب منهن، إذا إقترب أي أحد منهن، وسمع غناءهن، فإن زوجته وأولاده لن ترحب به ثانية أبداً لأن الخوريات ستجلس في حقل أخضر وتغني على عظام الرجل الميت من حولها!" لقد نجح أوديسيوس في حماية نفسه والبحارة معه من سحر غناء الخوريات بأن وضع في آذانهم شمع النحل، وعندما أراد أوديسيوس أن يسمع غناها ربط نفسه بالصارية حتى إبتعد عن المكان، وكانت نتيجة هذا أن غضبت الخوريات كثيراً لأنها فشلت في الإيقاع بأوديسيوس وقامت بالانتحار!

أتعلم لم أخبرك بتلك القصة؟!

السبب واضح، حواء مخلصة جداً لهدفها، هي خاسرة سيئة للغاية، ولهذا لا تخسر، فهي لن تتركك دون أن تحصل عليك، فإما أنت أو الموت!

لكنني يوم قرأت تلك القصة وجدت نفسي أساءل: لم لا تجذب السيرين النساء؟، ربما لأن الرجال أكثر غباءاً أو في الحقيقة الوحوش لا تأكل بعضها بعضاً!"

إذاً هو يرى بالنساء ووحوشاً!

هو فاقد للثقة واعادتها إليه مهمتها!

- قفشتك!

إنتفضت وهو يضع يديه على خصرها وفتفت تضع يدها على قلبها:

- مؤمن، خضتني!
 - بعد الشر عنك يا عيون مؤمن، فأكبر لما كسرتي إزارة البرقان؟
 إبتسمت وهي تطالع الأرض تستعيد الذكرى.
 - إنت كسرتيها ليه صحيح؟
 تساءل لتطالعه بغضب طفولي:
 - إنت مش ناسيها لي؟، أنا كنت في الأوضة ولما سمعت صوتك إتلبخت
 واقترب منها بنظرة عابثة وغمرة:
 - وانت بتتلبخ برضو يا جميل
 تبدلت ملامحها وابتعدت وقد بدا الضيق على وجهها، فالجملة كأنها حملت إتهاماً!
 - نورا، أنا بهزر
 أومأت بإرتباك والدموع تتجمع بمقلتيها وتلك المرة هو لم يقصد جرحها بل شعر
 بالصدمة، فوجد نفس يطوقها بذراعيه وهي تتعلق به، قلبها يهفو وعقلها يلوم وهي
 ضائعة بلحن مشوه ناقص!
 وبينما كان كل منها يحاول جمع شتات نفسه، كانت هي قد وضعتة هدفاً أمامها!
 إن كان مؤمن يقاوم فهو بالتأكد سيسقط، لكنه لن يسقط معها، السقطة ستكون
 مختلفة تلك المرة، هو أصبح يحفظ خدعها، فإن أردت نتيجة مضمونة تلاعب
 بالحب، والحب تمثل بها، "رولا" زوجة صديقه التي كانت أحد أكبر إنتصاراته وهو
 أكبر جرح بحياتها، فرغم أنه خدع، أوجع، تسبب لها في فضيحة وزواج تعيس لكنه
 لازال عالقاً بقلبها، لازالت تتذكر وتشعر بالحنين لكل ما سبق، لكنها الآن تلعب
 دورها بإتقان زوجة رجل الأعمال الشاب وابنة رجل الأعمال الأشهر، كانت تجري
 على الجهاز بالنادي الرياضي عندما سمعت صوتاً بجوارها:
 - رولا، ممكن نتكلم؟
 رمقتها بغضب، لكن ما بينها مصلحة مشتركة بالتأكد، والأكثر كارثية من امرأة واحدة
 هو إمرأتين قررتا عزف نفس اللحن!

والنغمة مكررة ومعروفة ومدروسة بدقة وإتقان تامين، هي قررت إرضاء أنوثتها به
وبنظراته، ولكن كيف تذهب إليه لتحديثه دون أن تجرح كرامتها؟
والحل؟؟

عطل مفتعل بسيارتها لتقف بالحارة حائرة وهو يتابعها وهي تعلم حتى تقدمت في
يأس:

- العربية مبتتحرکش!

قالتها بهدوء ليطالعهها بغضب وصاح بالصبي الذي يعمل لديه:

- الأسطى عبد العال فين؟

- في مشوار يا أسطى

ولم يجد بدأ سوى أن يرى ما بها سيارتها، فهي أقذت والدته منذ عدة أيام، وشرع
في العمل وهي تتأمله، عيناها تنطق بما لم ينطق به لسانها، ولمح نظرتها الراغبة نحوه
فأدهشته لينهي عمله بسرعة، وأغلق غطاء السيارة ولسوء حظها دار المحرك ليغادر
فنادته:

- أنس!

توقف ولم يلتفت عندما تقدمت هي ووقفت أمامه:

- متشكرة إنك صلحت العربية

- ده شغلي يا دكتورة عن إذك

إبتعدت من أمامه وكاد يتخطاها ليستمع لمستها التي حمدته مكانه لثوان:

- على فكرة إنت وحشتني!

إلتفت ليلتقي بعيون عاشقة صدمته، وغادرت لتتركه ولم تفعل، فحضورها يشعر به
طاغياً بقلبه ولا ينزع اللحن سوى لحن، ولا يقتلع امرأة سوى امرأة غيرها، فطوال
اليوم عقله يمزقه بالذكريات، وقلبه يميل حتى أقى الليل وقرر قطع خط الرجعة للأبد،
وهي السبيل والطريق فليس له سواها، هي زوجته والليلة تصبح كذلك رسمياً!

ومنذ حضر وهو غريب يدور حولها كأنه يريد شيئاً لا ينطق به، كانت تضع الملابس
بالخزانة عندما وجدته يطوق خصرها بيديه ويهمس بأذنها:

- بتحلوي!

إلتفتت وهي بين ذراعيه مرتبكة وانكملت أكثر من نظرتة التي كانت تتأملها كلها:

- من يوم ما عرفتكَ وانتِ كل يوم بتحلوي عن اللي قبله

- أنس...

همست بإسمه بتوتر، وهو وجدها دعوة للإقتراب:

- أنس مبقاش قادر يستحمل أكثر من كده، أنا بتعذب وانتِ بعيد عني يا حياة،

ملكي وبعيدة، ترضي بعذابي؟

حركت رأسها نافية، فهي تخشى عليه من أن تصيبه شوكه أو يمر بقلبه حزن وفي

النهاية هي كانت فتاة عادية ودخل حياتها ليحولها لزوجة عاشقة، زوجة أراد أن ييني

معها ذكريات أقوى، أعمق، أراد أن ييني معها حياة والنهاية إستسلام حياة له،

لتكون بداية حياته ولحنه الجديد.

والحب لحن جنوني كنتك النغمات الصاخبة التي تسمعها، الحب غطاء لذيذ للرغبة وهي لا تكذب، ربما تتجمل قليلاً لكنها تواجه الحقيقة، هي باحثة عن المتعة والأمر كله ممتع، اللعبة بدايتها.

ولكل شخص طريقته، هناك من يبحث عن الحب فليس النساء وحدهن الحلمات، وهناك من يبحث عن رغبته مغلفاً إياها بغطاء الحب، تلك المشاعر الرقيقة التي يجيها معها الحلم، وهناك الواضح الصريح الذي تعلم أنه يريد، وهي تتلاعب بالجميع، فالجميع ماريونيت والخيوط بيدها، نشوى السيطرة وتحريك الأمور مغوية للغاية بالنسبة لها، هي تركت لهم العزف والرقصة تكون من نصيبها!

وبالفعل كان لها ما أرادت، فرغم إبتعاده عنها كان ليلاً بالمهوى الليلي الذي إعتادوا الإجتماع به، وما كاد يمسك بكأسه حتى أخذته من يده:

- لسه زعلان؟، أنا كنت بلعب معاك!

ابعد نظره عنها، فرؤيتها تغضبه، وفكرة قتلها تراوده مؤخراً، كأن إنهمائها سيكون الحل الأمثل!

- عارف المشكلة هتفضل دائماً إن قلبك رافض يموت، لسه بيوجعك ومحيرك، مفيش حد يستاهل إنك توجع قلبك عشانه، كله في النهاية بيجري ورا اللي هو عايزه، خلي المنفعة متبادلة، إستفيد، هي مراتك، ليه محيراك فكرة إخلاصها أو خيانتها؟، ما انت في كل الحالات هتخد اللي انت عايزه!

قبض على ذراعها يجذبها بقسوة:

- إنت مريضة!

ولأول مرة وجدها تحرق بعينه بشغف وهمست:

- مريضة بيلك، مريضة بحبك يا مؤمن، أنا بحبك!

كلمة بدايتها كانت أمنية ثم أضحت كذبة والآن هي خدعة، والأسوأ أنها لازالت تجد صدى بداخله، فإرتباك عينيه واضح

- بس أنا حي ليك مختلف لإني فاهمة، انت ممكن تكون مع مليون واحدة غيري لكن
هتشوفي فيهم كلهم لإني أنا اللي في قلبك!
ووضعت يدها الحرة على موضع قلبه:
- قلبك ليا أنا بس لإني صريحة معاك!
ملاحظه تلبن، وهي تكمل لعبة حبا، نظراته تستقر على شفتيها وهي تقترب بهدوء،
فالغواية لن تجدي شعاعاً ويقتي الحب وحده يسحر!
- إنت أكبر كذبة في حياتي
همسها بفحيح غاضب عندها انفلتت من دورها وصاحت به:
- براحتك يا مؤمن، صدقها، حبا ... حبا أوي لحد ما تلاقيها مع غيرك وتندم
وتتكسر وترجع لي!
وغادر حائقاً ليركها تشتعل
وإن ظن أن ليلته قد إنتهت فهو مخطيء، هي دوماً لها خطة بديلة، وكانت خطتها
البديلة تقف في إنتظاره بالخارج!
- رولا!
تفاجأ لرؤيتها وبدون مقدمات انهمرت دموعها في بكاء بدا له أنه إنهيار:
- أنا محتاجة لك أوي
الغواية والحب، سلاحان لا يفشلان عادة مع آدم لكنه إن فعل فلتجربي الضعف
الأشوي، فهو لا يقاوم!

- عارف، نورا مسكينة واقعة في مستنقع!
- قالت وهي تنقل الصناديق، فهو طلب منها أن تساعد في تنظيف المرسى، فهم عادوا للعمل سوياً بعد أيام من سؤال تركه مصدوماً:
- مين فيهم؟! هكون مين؟!، إختاري!
- قالها بهدوء والإسم بعقلها أخافها فلم تنطق
- جابوب على سؤالي
- أنا آدم مجرد آدم
- والأول مرة صمتت ولم تجادب، ربما هي خائفة مما قد تكتشف، فأثرت الصمت، أما هو فلم يفعل:
- نورا غيبة
- قالها برود لتلقي ما في يدها بعصبية:
- إنت إزاي قاسي كده؟ نورا ضحية قلبها اللي اتعلق بواحد متعرفش عنه أي حاجة غير إنها حبت الشهم اللي ألقدها في يوم شافته بطل وحييته، أحلامها بسيطة وبريئة، ليه ده فجأة بقى ذنب وبقى بتتلام؟
- وتحولت ملامحه لقسوة ونبرة متألمة:
- لأن حبها هينهمها، كان لازم تسبيه، تدوس على قلبها، لكن إزاي؟، لازم تقف وتستننى و تضحي بإسم الحب، والحب عمل لها إيه؟، ضيعها، الحب في حالتها سرطان ييقضي على حياتها، الحب مش الشيء الرائع اللي إنتوا بتتغنوا بيه وكل الأفلام والأغاني والروايات قائمة عليه، الحب ممكن يكون أسوأ حاجة تحصل، نورا غيبة، كان لازم تخرج قلبها وتدوس عليه!
- إنت ظالم!
- صاحت به واندفعت الدموع من عينيها لا تستطيع إيقافها وهو تنازعه رغبة في الإقتراب منها ومسح دموعها ورغبة في الابتعاد، فغادر المكان وتركها تبكي لا تدري ما السبب؟! وبين مغادرته وبكائها توقف اللحن!

الفصل الثامن عشر

قال صديقي الحكيم ذات مرة، إن جميع معضلات الكون ستبدأ في حل نفسها ما أن تتوقف المرأة عن الوثوق الأعمى في القوى الوردية للحب، وقدرته على صنع ما عجز عليه العالم.

عندما تفقد هذه القناعة عن طيب خاطر كل نساء الأرض، عندها فقط سيتحول العالم لمكان أفضل.

ثم اختتم حديثه قائلاً: وهذا يا صاحبي ما لن يحدث أبداً!

"آية إسماعيل"

وردية حاملة، ربما عاشقة بدرجة حمقاء لكنها تأمل تغييره، بل ستعمل على ذلك، فما الفائدة من عشقها إن لم تضحي من أجله؟

لم وضعها القدر بطريقه إن لم تكن هي من ستغيره؟

هي ستفعل وهو سيقبل، يتحول ويغرق في عشقها حد الثألة، لكنها في طريقها لإغراقه، يجذبها التيار وتغرق هي!

إبتسامة عشق، رجفة قلب، ولمعة باليون، وهي هائمة بملامح النائم بجوارها، ساكن بهدوء لا يناسب العاصفة التي يتحول لها أحياناً، أصبح معضلة قلبها وربما لعنة أصابته، مرض وهي لا تريد الشفاء منه!

فتح عينيه بهدوء ليجدها تحرق به:

- هتبطلي تتألمي إمتي؟

قالها لتحمر وجنتاها خجلاً ولا تدري أنها أعادت ذكرى كانت له يوماً، فشقراؤه نائمة بجواره مغلقة عيناها وهو يحدق بملاحمها، كيف لها أن تتحول من قمة الإغراء إلى قمة البراءة لتبدو كطفلة نائمة بهدوء؟، وفتحت عيناها لتلقي بنفس الكلمة:

- هتبطل تتأمل امتي؟!

والرد يا بتسامة:

- لما أبطل أحبك!

ولدهشته كان نفس جوابها، كأن الذكرى تعاد بخذافيرها:

- لما أبطل أحبك، أنا بحب أشوفك وأرسم ملاحك في قلبي

- مجنونة

أجابها وهو يقترب كإقترابها منه يومها ومواجهتها لنظراته، نظرة بأخرى وهي تخبره أنه مجنون فقد عقله ليعترف:

- مجنون بيك يا مليكة، مجنون بحبك!

والحب بينها أضحى معنى مستهلك، وربما مشوه، فالحب عندها نظرة، همسة ولمسة فإشتعال رغبة واشتهاء!

جذبها بين ذراعيه فجأة ولا تدري كيف دار بها لتجده يحدق بملاحمها بهيام، هي تحمل الكثير من البراءة ولو رفض واتهم، فلون البندق بعينها يحمل راحة غريبة، نظرتها تخبره أن كل شيء سيكون على ما يرام، تلك النظرات التي لو تمسك بها لنجت سفينة عقله من إعصار الجنون الذي تتخبط به، لكنه إعتنق الجنون مذهباً!

- الحب جنون

وقمت الجملة بماضيه الذي لا يغادره، فالعابثة إعتدلت تجلس أمامه وإقتربت تمحو المسافات وتلف ذراعيها حول رقبتة محدقة بعينه:

- جنون لذيذ لازم نسيب نفسنا له

وهو سقط سابقاً معها في جنونها وبتلك اللحظة كان يسقط الأخرى بجنون عشقه هو الآخر، لكنه جنون فعلي، فهي تدري عاقبة إستسلامها لمشاعرها الوردية!

صمت، إبتعاد وربما شك وإتهام، فدفعته بعيداً بهدوء وابتعدت ليطالعهما بدهشة ونظرتها حائرة، بم تجربه؟، لا تدري!، هي تخشى أنها عليها أن تدفع ثمن سعادتها بين ذراعيه من كرامتها، أن يعود ليخبرها أنها ساقطة بغرامه، عاهرة بسبب حبه، تهتمها أنها حقاً زوجته!

- هتتاخر على شغلك -

وكادت تغادر السرير ليجذبها من ذراعيها ويمس وسط شوقه:

- الشغل مش هيطير، هأخذ النهاردة أجازة -

- لأ بلاش، هحضر لك الفطار -

وغادرت مع تلك الجملة، ماضيها القريب يخيفها، لن تكرر الذكرى مجدداً ولو كانت هي الأخرى تريد الهروب منه إليه، لكن جروح كرامتها أصبحت عميقة ولا تحتل جرحاً جديداً ولا تدري أنه جالس يمزقه ماضيه هو الآخر، وانتهت وصلة الذكريات بصوت هاتفه ليجد رولا تتصل به فأغلق الهاتف واستند بجذعه إلى السرير يفكر بمن أضحت ترفضه!

- تتجوزيني؟!

كان العرض، الجملة، والصدمة!

وفي عالم حواء تلك الجملة هي النهاية السعيدة لكل قصص الحب الرائعة، لكنها بالتأكيد ليست قصة حب وليست بالرائعة بل هو زواج عقلائي.

وهو رجل يقدر العقل ويحترم ذكاء من أمامه، وهي ذكية جداً بعملها ومجتهدة للغاية على عكس حياتها الإجتماعية التي حملت بها لقب مطلقة، ومن أدري منه أن لا علاقة للقب بالأمر، فهو الآخر انفصل عن زوجته منذ أكثر من عام ولم يخبر أهله، بالأحرى هو لا أهل له هنا بعد وفاة والديه سوى زوجة عمه وابنها وبقية باقية من أقرباء والدته، مجرد صلة قرابة لا ترقى لشيء على الإطلاق.

بالنهاية هو وحيد وقرر إنهاء وحدته بها، هي جميلة مثقفة ناجحة بعملها، هي امرأة قوية مستقلة وتجربة زواج فاشلة لا تقيمها، فوضع عرضه على الطاولة مباشرة، وكانت الفرصة التي لم تتوقع أن تتاح لها يوماً، فرصة انتقامها ورد الصاع، فرصة رأب صدع قلبها ولملمة جراح أنوثتها المطعونة، فرصة لن تتكرر.

هي امرأة مطلقة، ستغدو مطمع للجميع ومكانة الزوجة الثانية ستكون من نصيبها بشكل كبير، إذاً هو فرصة، وماذا عن القلب؟!

القلب عليه أن يصمت، هي لن تعود لمن خانها، هي طوت صفحته أو هكذا ظنت، فكل ما تفعله هو إنتقاماً منه.

وجلسنت إلى الطاولة تحدته:

- سليم هو أنا ممكن أسألك إنت طلقت مراتك ليه؟

وضع قده القهوة من يده قبل أن يجيبها:

- طبعاً، أنا وهناء كنا قصة حب كبيرة

وقاطعته بغضب:

- كنا! بالبساطة دي، هو إزاي الحب عند الرجالة يهوت بالسهولة دي؟

إبتسم بهدوء وقرر أن يجيبها بعقلانية كعادته:

- حب الزوج والزوجة مش حب فطري، مش حب جبلنا عليه زي حبك لوالدتك أو والدك أو إبنك، ده حب محتاج مجهود عشان يكبر وينجح وينمو وجذوره تضرب جوا قلب الطرف الثاني ويبقى صعب إنه يتشال، إنما البذرة لو أهملتها الزرعة دي بموت وتبقي ذكرى.

كلامه مغمق عقلاي ومنطقي، لكنها ترفضه فقد عاجلته بالسؤال:

- ومراتك بقت ذكرى؟

أوما برأسه مجيباً:

- ذكرى بكن لها كل ود، أنا عشت معاها أيام جميلة صعب إني أنكرها بس في النهاية كان صعب إننا نكمل وإنفصلنا كان سهل لأن مفيش أولاد.

وتلك الجملة كانت دقة ألم بقلها، "يزن" صغيرها الذي تتألم بعده، لكنه جرح الخيانة الذي يجب أن تداويه أولاً قبل أي شيء.

- أنا إنطلقت من عمرو لأنه خاني، خاني لدرجة إني حسيت إني بموت، أنا عايزة أبدأ من جديد.

- الخيانة شيء بشع بس عايزك تكوني متأكدة من حاجة واحدة قبل ما تقولي ردك، لازم تكون حياتك القديمة إنتهت بكل ما فيها طبعاً إلا إبنك، والأكد انه هيبقى في مقام إبنني وهرحب بيه في أي وقت سواء قررتي يعيش معنا أو مع والده.

هو وضع كل النقاط فوق كل الأحرف وترك القرار لها ويدها، هي من ستكتب كلمة النهاية، وربما كلمة بداية مختلفة.

وردية ؟!

هي لم تكن يوماً كذلك، ولن تكون، هي تقف على أرض صلبة ولا تتحكم المشاعر بها، فهي ترغب، تأخذ وتمتلك وكفى!

وكل علاقة مرت بها فور أن تنتهي لا تعود إليها مجدداً، فالعبة إن فقدت رونقها إنتهت بالنسبة إليها، الرجال بالنسبة إليها لحن مكرر وأغنية تعيدها حتى تمل من سماعها وتبحث عن غيرها ولا للإستماع إليها مجدداً، لكن هناك دوماً القاعدة الشاذة، ذلك الشخص الذي يخالف كل التوقعات ويخرق القواعد.

وهي لم تتوقع أن تراه مجدداً، هو بداية اللعبة ومن أرسى قواعدها معها، لكنه إختفى وحوارهم النهائي كان طلباً ووداع:

- مسافر، الحياة دي مبقتش نافعاني يا موكا

قال لها وهو يزج شعرها من على وجنتها وينظر إلى عينيها:

- إنتِ الحاجة الوحيدة الي هتوحشني هنا

وابتسامة إرتسمت على شفتيها، بينما طال صمته وتحديقته بعينيها:

- مليكة، أنا بحب.....

وضعت إصبعها على شفتيه تمنعه من الكلام:

- حسام، إنت اللحظة وأحداك، بلاش تقول كلام أنا وانت عارفين إنه مش حقيقي! ودمرت الوردية، بل أصابتها في مقتل، فهو من أخذته لحظة الوداع وهي من أعادته لأرض الواقع، هي لا تسمح للمشاعر بالتسلل إليها، ولو فعلت لقتلتها بمهداها، لكنه كان مصمماً وشرطه واحد فقط:

- تعالي معايا، نسافر سوا وتبقي ليا لوحدي

وهي لن تسمح يوماً أن تكون ملكية لأحد، كان عرضه مغرياً وهو نفسه يغري كل ذرة بها، هو من تعود دوماً له كلما عاد، علاقة أدمنها كلاهما، بالبداية كان يجتلس أيام كل بضعة أشهر وفاجأته هي بالسفر إليه، مرة لم تكررهما حتى إختفى لمدة طويلة ظنت معها أنها نسيته لكنه عاد ودخل إلى الحفل الذي كانت تحضره مع والدها

ليخطف نظرها من البداية، أصبح أكثر نضجاً وبالطبع إزداد وسامة، لم يعد فتى الجامعة المنهور بل حلة رجل الأعمال الأنيق جعلته أكثر إثارة، ملامحه ونظرته الواثقة التي تشع ذكاءً وتلك الإبتسامة التي طالما ضعفت أممها، فدوما كانت تخبره أن يتسم وهي ستستسلم!

شعر بنظرات ترمقه فإلتفت بنظرة خاطفة ناحيتها قبل أن ينشغل بعالم الأعمال وهي تتابعه حتى إنشغلت هي الأخرى، فإمبراطورية الجارحي ستكون يوماً لها، فهي الواجحة الراقية، الرقيقة، البريئة ولا شأن لأحدهم بما يحدث في حياتها، والحقيقة أنها لا تهتم إن خرج مجونها للعلن، ستلعنهم جميعاً وتفعل ما يحلو لها بينما هو يخشى، بل أصبح يخشى كثيراً، فعمله وصورته، بل صورة عائلته ستعرض لهزة عنيفة إن لم يظهر بمظهر القديس أمام الجميع!

وبالنسبة لها كان قديسها العاهر، فقد إنتظر اللحظة المناسبة بالحديقة بعيداً عن الجميع لإحتضان خصرها فجأة وقبله خاطفة لم تتغير بمرور السنوات لتبتعد ناظرة إلى عينيه بإبتسامة سرعان ما تحولت لنظرة حزن وأفلتت من قبضته مغادرة بصمت ليتبعها منادياً.

إلتفتت بهدوء وملامحها بان عليها الحزن:

- حسام خلاص مينفعش يبقى بينا أي حاجة، أنا دلوقتي بقيت ست متجوزة.
- متجوزة!

نطقها بعدم فهم وربما عدم تصديق كذلك، هي تزوجت!

أيعقل أنها سلمت نفسها لقيد الزواج؟!

مليكة التي لا تكنفي برجل واحد في حياتها سلمت نفسها لزوج!

إقترب منها ومد يده بهدوء ليصالحها:

- أنا بتمالك حياة سعيدة من كل قلبي

وضعت يدها بيده ليجذبها إليه مجدداً لتبتسم بعبث وتسال:

- كشفتها إزاي؟!

- لمعة عينيك

وهي تحب قراءته لها، فاللعب معه متبادل ومثير!

- بموت فيك وانت لابس بدلة، خطر!

همستها بأذنه قبل أن تتعد وعيناها تتحدثان بالمزيد، فرغم كل شيء، رغم أنه كان رهانها الأول واللاعب الأول بلعبتها إلا أنها لازالت لا تستطيع التخلي عنه، وتعلم أن نظرتها ولمستها وهمسها لازال يؤثر به، ولو لعب دور المتزن تبقى هي تمثل الخطيئة بعالمه!

- أنا مش هقععد في مصر كثير، هنتقابل؟!

- أفكر

همست بها قبل أن تطع قبلة على عنقه وتغادر، ولسبب ما، يعود إليها محمًا حاول الابتعاد، عشقها كالسهم يسري بعروقه وإمتلاكها دواؤه الوحيد، هي من علمته جانباً مختلفاً من جوانب الحياة، أول تلاميذها! وإبتسمت للأمر، كانت لتطلق عليه أنجهم، لو لم تقابل الآخر، مؤمن دمية الماريونيت خاصتها التي تنفلت خيوطها، لكنها تحاول إحكام قبضتها مجدداً والبداية رولا!

وردية!

ليست كذلك، هي فقط تعشق الحلم الوردي، تبحث عن قصة حب مجنونة تخطف قلبها ولا تعيده مرة أخرى، وهو من إختطف قلبها ولم يعيده!

- مؤمن تعبان أوي من غيرك يا رولا

قاتلتها تلك التي ظهرت بالنادي الرياضي، التي تدور حولهم الشائعات.

"مليكة" إسم كرهته لمدة طويلة.

- فعلاً!

وهي خبيرة بنبرة التحدي وإهتزاز العيون فأمسكت بذراعها:

- متبقيش فاسية عليه، كل اللي عمله ده كان غضب عنه، عماد هو السبب، هو افكرت لما يعمل كده عماد هيسيبك، فكرة مجنونة متخيلش إنها هتوصل لجوازة! والكذبة غير منطقية وتحمل من الشغرات ما ينسفها نسفاً، لكنها تود تصديقها خاصة والأخرى تضغط على وتر مشاعرها:

- مؤمن مش قادر ينساكي، حاول كثير، عرف بنات غيرك واتجوز لكن مش قادر يحس بالسعادة الي كان يبجسها معاك! واستلمت الوردية زمام الأمور ولكن عقلها إنتفض:

- وانت إزاي عارفة كل ده؟! وإبتسمت قبل أن تتهد بحزن:

- كلام الناس كثير، أنا ومؤمن مفيش بينا حاجة غير يمكن نفس الوجع لما تشوفي حببيك في إيد غيرك بتوجع، قلت له بلاش تتجوز هتظلمها وهتظلم نفسك ورولا كمان لكن هو رافض يعترف لك حتى، مش عايز يهد حياتك لكن إنت من حقك تعرفي إن في واحد يموت بالبطيء علشانك! ترقرقت عينها بالدموع ورق القلب، لازالت تحب وتعلم أنها ستخطو نحوه:

- هو مش هيقولك حاجة ويأريت إنت كمان متقوليلوش على اللي دار بينا دلوقتي، أنا كل اللي عايزاه انك تخليه ينساكي! وغادرت لتترك الأخرى غارقة بالتفكير ... ينساها!

هي لا تود أن تجعله ينساها بل ما يدفعها للجنون أنها تراه قد نسيها!

- هتفضلي ساكنة كثير؟!

تساءل وهو يجلس معها بسيارته، رفعت وجهها إليه:

- مبقتش لاقية كلام، أنا مش قادرة أنسى، إنت عملت كده ليه؟ ليه علقتني بيك وكرهتني فيه؟! وبعدها رمتني، ليه يا مؤمن؟، أنا حاولت أعيش معاه بس مش عارفة.....

توقفت الكلمات على لسانها:

- أنا خنت عماد!

إعترفت لينظر إليها بصدمة، فهي عادت لحياته بعد زواجهم!

- مش قادرة أعيش معاه، ساعات بمثل وساعات بهرب منه، مش قادرة أستحمل

لمسته، عايزة أتطلق والكل واقف ضدي، أنا تعبت!

تهرب منه!

الجملة طرقت عقله بل إقتحمته بقوة ليستقطها على تلك التي انسلت من بين يديه

صباحاً والمبرر لديه جاهز، إتهام آخر!

وقد تناسى أن إتهاماته هي ما أوصلتها لتلك الحال!

ينسى...

هو يسير بطريق نسيان من حطمت قلبه وأين تقع الأخرى في طريق نسيانه؟! هي أصبحت زوجته وتمو بداخله مشاعر ناحيتها، ربما ليست كعاصفة مشاعره تجاه الأخرى لكنها نبتة يود البدء منها، فقد أصبحت عادة اليوم بالنسبة إليهم تناول الإفطار معاً ومن ثم تودعه وتذهب لتحضير وجبة الغذاء التي لا يفوتها، قيلولة صغيرة يتناول بعدها غداؤه ثم يعود إلى العمل، وعادتها التي لا يعرف عنها شيئاً، مراقبته من نافذة غرفتها، تراقبه بإعجاب وهيام شديدين كأنه بالنسبة إليها آخر رجال الأرض، وليلاً يعود إليها لتستقبله هي بوافر الحب والدلال حتى ينام.

ومن قال أن الروتين ممل؟، فكلاهما يحب ذلك الروتين اللطيف وتلك الحياة الهادئة، فهو جلس يطالع شاشة التلفاز يوم عطلته ليجدها تمسك بيده وتعبث بأنامله وتمت لأول مرة:

- عارف يا أنس، أنا محب ألمس إيدك، خشنة، إيد اترمطت وشقيت، عرفت معنى الشغل والتعب وأنها تكسب رزقها، إيد راجل بجد.

إعتدل يلتفت، لها فكلماتها أثرت به للغاية، لأول مرة يجد من يقدر ما يفعل بل تطالعه بفخر، حاول قول شيء، فلم يستطع، فقط كان جوابه ضمة، ضمها إليه مقبلاً خصلات شعرها وانكمشت هي بجواره كأنها تحتمي به من دنيا لم تكن يوماً وردية.

هي واقعية للغاية، لا تخطيء حساباتها ولا تخرج خاسرة، لكنه هو بداية سقوطها ربما! فالميكانيكي الذي رفضته أصبح هوسها الخاص، تعيش حلمها الوردى معه بخيالها وكفى!

هي خائنة لكنها تنكر، تعوض ذلك النقص الذي تعيشه بحياتها الزوجية المترفة، تؤرقها تلك المكالمات الليلية التي تخبرها عن خيانتها لها وهي تحاول التغاضي، لكن طفح الكيل فطالما ابتعدت نزواته عنها فليكن، لكن أن يصل الأمر للخادومات فهي لن تسمح أن تكون محط جلسات نعمة خدم المنزل، وقد لاحظت الأمر، فالفتاة التي تعمل بالمنزل منذ شهر كانت محط إهتمامه، جمعت سفرة الغداء وغادرت ليتبعها خلصة، يحاول وهي تتمتع وتزيد اللعبة إثارة، إنها القصة الأزلية بين الثري العاثر والخدمة اللعوب، دخلت إلى المطبخ ليباعد عنها وتطالعهم بغضب قبل أن تتوجه نحو غرفتها:

- بسمه، إنت فاهمة غلط؟

إلتفتت لتصبح غاضبة:

- إنت إيه؟ مفيش حاجة بتلمي عينك؟ يا أخي إنصف بقى!

- إنصف!

والكلمة أوجعت كرامته، لكنه صمت لتكمل هي وصلتها في توبيخه:

- نزوات ورا نزوات وكل ده واحنا لسه متجوزين، إيه القرف ده!

- والله دي مشكلتك لو كنت عرفتى تملى عيني مكنتش بصيت برا يا مدام!

طعنة جديدة لأنوثتها، كبريائها وغرورها، ليأتيه ردها عندما تقدمت منه بهدوء تطالعه بتحدي وتنظر لعيناه:

- مش مشكلتي إنك حيوان، يا دكتور!

إبتلع إهانتها وأوماً برأسه قبل أن يصنعها بقوة قائلاً:

- أنا هوريكي الحيوان يبقى إزاي!

وجذبها من خصلاتها وقرر عقابها كرجل كهف لم يعرف للتحضر سيلاً، حاولت أن تخفي من ضرباته المتتالية لكنه كان همجياً يعاقبها على تطاولها الذي يجده غير مقبول وتناسى خيائته!

أقلت من قبضته لتنتلق نحو الأسفل وهو يجذب خصلاتها:

- أنا هريكي يا بسمه، هعرفك مين هو قاسم مختار!

يصيح بها بينما دخلت والدته ليصعقها المشهد فصاحت به:

- قاسم! إنت إتجنحت؟؟؟؟

- أنا هريها بنت كاتب المحكمة!

لكنها وقفت تواجمه رغم آلام جسدها وصاحت:

- أنا هوريك بنت كاتب المحكمة هتعمل فيك إيه!

وغادرت إلى سيارتها تنهمر دموعها وهي تقود طوال الطريق وتتذكر صفعاته، ضرباته، إهداره لكرامتها والألم بداخلها يتصاعد حتى وصلت لشارعهم بالكاد تتماسك، وخرجت من سيارتها تستند إليها بضع خطوات وسقوطها كان بين ذراعيه، وآخر ما سمعت كان صوته يناديها....

- بسمه!

حملها بين ذراعيه وهي تنزف ووضعها بسيارته لينطلق بها وعينا الأخرى كانت تراقبه، قلبها انشطر في صراع العاقلة والعاشقة وكلتاها تصيح بها:

"أنتِ دخيلة وسط قصة عاشق ومعشوقته، مفتاح القلب لها وسيظل كذلك دوماً" والأخرى تجادل:

"بل هي شهامة رجل رآها بموقف ضعف، هي بدت ضعيفة وملابسها وشكلها يوحيان بتعرضها للإساءة"..

"ضعف! لنرى إلى أين سيقوده ضعفها!"

وبالمشفى كان هو ووالدتها ووالدها والقلق، والطبيب خرج متوجهاً نحوه بأصابع الإتهام - إنت جوزها؟

تجمد دون رد ليصبح به الطبيب:
- المدام إتضررت وآثار الضرب واضحة والمحمل نزل!
- سقطت؟!
قالتها والدتها بهمسة متوجعة ولوعة وهي تبكي:
- أنا هعمل لها تقرير طبي ومحضر ضد اللي عمل فيها كده.
ويبدو أن الطبيب ربط القصة، الميكانيكي الهمجي ذو الشحم على يديه المتسخة من
العمل ضرب زوجته حتى فقدت جنينها!
وهو لم يجب!، فقط صامت والكلمات تؤلم قلبه:
ضربها حتى فقدت طفل!
- البشهندس أنس جارنا، بسمه جوزها مسافر!
كان رد العجوز بخنوع ليطالعه أنس بنظرة نارية ويتمم الطبيب بإعتذار قبل أن يغادر
ويتركه يشتعل، لو وضع يده عليه لأذاقه الأمرين، فالطموحة اللامعة ملقاة بسرير
مستشفى كانت تود أن تصبح طبيبة بها!

نسأت الصباح الباكر بعد ليلة صاخبة هو أكثر ما تعشق، نفس عميق وإبتسامة حاملة
تتذكر بها ليلة أمس حين دخل إلى جناحه بالفندق ينزع سترته ليجدها تساعد بخلعها
فالتفت يطالعها بإبتسامة غير مصدقة:

- دخلتي هنا إزاي؟!

حركت كتفيها بلامبالاة ليضحك مستنكراً ويجذبها إليه:

- بعشق جنانك، مش عارف إنت عاملة فيا إيه؟، مهما لفيت يرجع لك ثاني!

- أنا تعويذة مفيش منها حل ... لعنة

وكلمتها الأخيرة حملت من الإغراء ما يكفي لتشعل رغبته بها وكاد يقترب لتبتعد:

- أطلب ال room service!

وغمرة عينها كانت مغوية قبل أن تلتفت ليلمح جزءاً من وشمها الذي تحجبه ربطة
فستانها:

- عقرب؟!

أومأت برأسها ليحرك يده ببطء على طول ظهرها:

- بس أنا مش شايف إلا نصه بس!

ودون تردد حلت ربطة فستانها ليظهر الوشم كاملاً على ظهرها العاري ونظرة عينها
متحدية بوقاحة متسلية:

- عجبك؟

وقحة كما إعتادها، ربما هذا ما يميزها، هي دوماً غير متوقعة وتفاجؤه جرأتها، في كل
مرة يشعر دوماً أن الأمر بيدها مهما حاول الهيمنة والسيطرة، اللعب على وتر الأثني
بداخلها لكن لاشيء، هي سرّاً رهانه الذي يحاول أن يربحه، رهان لا يهدف إلى
الإستحواذ على جسد كان له لمرات، لكنه قلبها، تلك المنطقة التي لم يمسه أحد من
قبل، لكنه بدأ يشك في وجوده، هو يشعر أنها حجر وربما الوصف الأدق لها أنها
نار، نار الغواية التي يحترق بها ولا يكتفي، بل يعود لتحرقه مجدداً!

إستيقظ ليجدها بالشرفة فتوجه نحوها هامساً:

- إسمه إيه؟

إلتفتت إليه في دهشة قبل أن يكمل:

- اللي بتحببه؟

- مليكة مبتحبش!

أجابت وهي تنظر من الشرفة، فإبتسم وطوقها بذراعيه لتستند ل صدره العاري وعقلها يفكر بذلك الذي شب عن الطوق!

- مليكة مبتحبش تخسر وأنا مبحبش موكا تزعل

وأغمضت عينها بهدوء، تفرغ عقلها من كل ما به، لكنها إبتسمت عندما لمعت الفكرة بعقلها والتفتت إليه تحرك أصابعها على صدره:

- سمسم لو طلبت منك خدمة تنفذها؟

- أوأمري يا موكا، بس الأول نفطر وبعدها هعمل لك كل اللي إنت عايزاه!

إبتسمت بسعادة وقبلته لبيعدها:

- إحنا في البلكونة!

لتصحح جملته بشقاوة:

- إحنا في السما وسط السحاب!

شدد قبضته على خصرها وهو يحرق بعينها:

- كده هنلغي الفطار!

حركت رأسها معترضة بإبتسامة:

- أنا هموت من الجوع، مكنتش من إمبارح وبعدها نطلع على الجونة، بعدها بقي

أوقفها وهو يجذبها للداخل:

- بعدها الكلام ليا أنا!

وجوابها كان ضحكة رنانة، فإن لم تكن وردية يبقى هو الثابت داخل عالمها متداخل الألوان، هي كطفلة وهو كقطعة حلواها المفضلة التي تجعلها تضحك بأي وقت لكنها لا تستطيع أن تلتزم بنوع واحد واتباع حمية لن يكون يوماً أمراً تفعله!

ووسط العالم الوردي هي إرتطمت بصخرة الواقع، زواجها الذي رفضه الجميع وتم بأعجوبة و لم ترى به إستقراراً.

هل هي عاشقة أم هاربة من حجم عائلتها؟! هي نفسها لم تجد الإجابة حتى ذلك الحادث بسيارته، فوجدت قلبها ينخلع من مكانه وعيناها لا تتوقف عن البكاء.

- ما تبطل عياط يا هدير لو كان جرا له حاجة كانوا قالوا لك قالتها شقيقتها التي كانت تتبادل مصمص الشفاه مع والدتها إعترافاً على العاشقة المتيمة التي ما أن وصلها الخبر وهي تبكي حتى وصلت للمستشفى وهرعت نحو شقيقته: - ماله يا مها طمينيني؟!

- عمل حادثة وهو راجع من اسكندرية والدكتور معاه.

أنهت كلماتها لتجد عمرو يتجه نحوهم:

- عامر فين؟

وقبل أن تجيبه خرج الطبيب ليتوجه للجميع نحوه:

- الحمد لله يا جماعة، جت سليمة، خلع في الكتف ورجله اتكسرت، شوية جروح وخدوش بسيطة، بس هيفضل تحت الملاحظة لحد ما تتأكد إن مفيش إرتجاج ولا نزيف داخلي.

- ممكن نشوفه؟!
تساءل عمرو ليجيبه الطبيب:
- هو نايم دلوقتي ممكن تشوفه الصبح
- من فضلك يا دكتور أنا مراته وعازية أتطمئن عليه
كانت ترجوه بقلق شديد ينهش قلبها فوافق على أن تراه هي وشقيقته بينما انتظرت
والدتها وشقيقتها بالخارج ونظرات شقيقتها تتركز على عمرو.
- هو ده طليق أخت المحروس؟
قالتها بهكم لتضحك والدتها:
- يا بت إيهدي إنتِ لسه راجعة لجوزك!
حركت شفتيها بإستنكار:
- ده جوز ده؟ بلا خيبة والنبى، أنا بأفكر أجي أغضب عندك يومين
- تعالي يا حبيبة أمك ويحيي يصلحك غصب عن عين أهله
وبينما كان هذا الحديث دائراً خرجت هدير تستند لكتف مها وهي لازالت تبكي
ونهرتها شقيقتها:
- ماخلاص بقى يا هدير آمال لو كان مات كنتِ عملتي إيه؟!
ونظرة نارية من مها قبل أن تقرر المغادرة و تلومها شقيقتها:
- بعد الشر ربنا يقومه بالسلامة، أنا هستنى معاه
وبقيت بينما غادرت مها يتبعها هو في محاولة جديدة لرأب الصدع، فهو كذب حين
قال أنه إستسلم!
توقفت والتفتت لتلقي بجملتها بوجهه:
- عمرو أنا هتجوز!
أخبرته لتجمده الصدمة لثواني غادرت هي بها بعد أن ألقت بالقنبلة بوجهه!
فأحلامنا الوردية هي كغزل البنات، جميلة رائعة هشنة وتذوب بسهولة!

وانتهى الأمر بها تغلق الرواية، تشعر أنها تستنزف مشاعرها بذلك الكم من التعقيد فأصحت تكره كل ما بها، ربما تبحث عنه بين حروفها، لم تعد تدري، فقط مشاعرها منهكة للغاية، وعلى ذكر المشاعر قفز هو لعقلها....

شريف!

واعتادت أن تلعه في كل مرة تتذكره فيها، لكنها تلك المرة لم تفعل، فقط بكت! أصبحت تبكي لأنفه الأسباب، فبالأمس كانت بالمكتب تترقق عيناها بالدموع لتلاحظها زميلتها في العمل:

- رحاب، إنتِ بتعيطي؟!

إنتهت ومسحت عيناها بإبتسامة مزيفة قبل أن تجيب:

- برد حقير يا بنتي، عينا بتدمع من إمبراح!

وإبتاعت صديقتها الكذبة، هو مجرد برد حقير!

سافر وتركها حائرة، ربما هي في النهاية أدركت أنها هي أيضاً مجرد فتاة بأحلام وردية!

الفصل التاسع عشر

هل نحن حقاً نعتقد بوجود الفرصة الثانية؟!
فجميعنا أساتذة بالقاء المحاضرات لكن حين يتعلق الأمر بنا يصبح هناك حسابات أخرى، فنظرياً كل شيء ممكن، السباح، المغفرة، البداية الجديدة والفرصة الثانية لكن على أرض الواقع لا يمكننا أن نفعل ذلك!
هي أنهت قراءة الرواية ووصلت لكلمة الخاتمة ولا تزال حائرة ليس بسببها بل بسببه! فقراءتها معه تختلف تماماً، كأنه يضيف شيئاً رغم أنه لم يظهر، إختفى بشكل غريب، هاتفه مغلق وحساباته الألكترونية لم يتم تحديثها، وهي بدأت تقلق، تشك، تخشى لكن لا سبيل للوصول ولا حل سوى الإنتظار.
دقات القلب على قدر بساطتها إلا أنها معقدة للغاية، لدرجة لا يتخيلها أحد، ربما نشعر بها فقط، فلا أول مرة هي وجهاً لوجه معه!

- عايز إيه يا شريف؟

- فرصة!

واجابته جاءت برجاء ونظرة عين لظالما رق لها قلبها، لكن تلك المرة وجدت بداخلها جبل جليد لتغادر معلنة أن رصيده من الفرص قد إنتهى.

"الفرصة الثانية نوع من التسامح لا يقدر عليه الجميع!"

لماذا يعتقد الجميع أن هنالك فرصة ثانية دوماً؟، ربما لا تكون هناك!

ببساطة تلك هي حياتك ولا يوجد إعادة محاولة، لا زر للبدء من جديد، ما مررنا به يترك جروحاً بداخل أرواحنا لكننا فقط نخدع أنفسنا بالمحاولة الثانية والبتة الجديدة.

عدلت من وضع وسادته ليصبح أكثر راحة وابتسمت له بحب:

- مرتاح كده؟

سألته ليومئ برأسه متعجباً من إهتمامها المفاجيء:

- ده إيه الإهتمام ده كله؟

أمسكت بيده وهي تنظر لعينه:

- أنا طول عمري بهتم بيك يا عامر بس أنا مكنتش عايزة أخنقك، أنا بلخبط ومش

عارفة أعمل ليه، أنا خايفة أفشل، خايفة أوي، مش هستحمل إني أفشل معاك.

ولأول مرة من زواجهم يراها تلك الفتاة التي وقع في غرامها، فمسح على رأسها
بإتسامة:

- أنا بحبك يا هدير وعاليز أحس إني مهم بالنسبة لك

- انت أهم حد في حياتي

قالتها وهي تحتضن كفه بين يديها، هي قررت إعادة ترتيب حياتها والبدء من جديد

معه، فيكفي ذلك التخبط الذي عاشه منذ بداية زواجهم، وقطع لحظةهم دخول والدته

بلوعة وخوف على فلذة كبدها ووالدتها وشقيقتها، ومرة أخرى تجد نفسها وسط

المعمعة، تقف بالمنتصف بين صراع حموات طبقي هي الخاسرة به، وفرصتها الجديدة

تلوح مودعة!

وهو كان فرصتها بالحياة، لكنها تشعر أنها فرصة مسروقة ليست لها ولا ملكها، فيوم عاد من المشفى كان غاضباً للغاية ومن يومها وهو متوتر، عصبي، يقيم شجاراً لأنفه الأسباب وهي مبتعدة، متأللة وتتجنبه، تزوجته وهي على علم بوجود قصة سابقة لازالت عالقة بقلبه فلتتحمل العواقب كاملة!

لكن قلبها يؤلمها ولو صمتت، واليوم تحديداً عاد مشتعلأً يصيح بشقيقته لتأخرها لدقائق:

- والله يا أنس التاكسي عطل و.....

- تاكسي إيه وزفت إيه؟ ما أنا قلت لك خدي العريية وحد يوصلك، إنت اللي عايزة تلقي مع أصحابك، مفيش خروج من البيت يا عيشة لا دروس ولا مدرسة!

وافجرت في البكاء من صياحه غير المبرر بها لتتدخل حياة:

- يا أنس هي

- اسكتي إنت ومتدخليش!

صاح بها غاضباً لأول مرة ليتجمد المشهد من غضبه الغير مبرر ناحيتها، فغادرت المكان كله وصعدت إلى شقتها تبكي، فهي تدرك سبب غضبه ولا تجرؤ على الحديث، لكن يكفيا عذاباً وصمتاً، ففور أن عاد قررت مواجهته، مواجعة قراها بعيناها وهي تعد طعام العشاء بهدوء، وانتظرت حتى تناول عشاؤه وبدل ملابسه لتقف أمامه بهدوء:

- ارجع لها يا أنس!

رفع عينيه إليها وقد صدمته جملتها!

ابتلعت غصتها واستحضرت أقصى درجات قوتها، هي لن تكون اليتيمة المغلوبة على أمرها التي لا ملجأ لها سوى جدران منزله:

- إرجع لبسمة، إرجع للي قلبك وعقلك معاها.

إنتفض يواجمها غاضباً:

- إنت بتقولي إيه؟!

- اللي سمعته ولا تحب أوضح؟، ماشي يا أنس، إرجع للي اتجوزتني عشان تنساها،
للي قلبك متعلق بيها ورافض ينسى، أنا صحيح جاهلة بس نظراتك مش محتاجة
علام عشان تتقري وتنفهم، أنا الحياة لفت ودارت بيا، إنت لسه بتحبها وأنا مش
هقولك إختار

وصمتت تبتلع دموعها تدعي القوة و تدرك أنها تطعن قلبها بقسوة:

- أنا إخترت مكانك، طلق.....

وقبل أن تكمل الكلمة كان رده وعيناه تشتعل والنبرة محذرة غاضبة:

- منتطقيهاش!

حذر لتحرك رأسها نافية:

- ليه؟! المفروض إني أفضل عايشة في عذاب، أشوف جوزي يميني واحدة تانية،
نظراته بتحن لها ويفكر فيها، ليه أتعذب كده؟! ذنبي إني حبيتك مش بإيدي، أنا
حبيتك غصب عني يا أنس ومبقتش قادرة أسكت أكثر من كده ، إختار يا أنا يا
هي!

وبعلم آدم هو يكره الإختيار، يكره أن تخيره امرأة، أن تضعه بين المطرقة والسندان

وسياسة لي الزراع لا تنفع!

- حاضر يا حياة هاأختار!

كانت جملته والرد على هيئة إنسحاب، فقد بدل ملابسه وغادر ليتركها باكية، فهي
ترى الإختيار محسوم تماماً، بينما هو يجوب الشوارع بصدمة، فهي لا تدري سبب
عصبيته بل سبب صدمته، ربما إعتقد يوماً إنه يكرهها وانه سيبتسم في ذروة
تعاستها، لكنه وجد نفسه يتألم لألمها، مظهرها أوجع قلبه، هي عشق السنوات،
أيقبل أنه ضعف أمام مظهرها المجروح وفقد لها لطفها!؟

طفل من رجل آخر! رجل أهانها وأوجعها، والأخرى أين تقع من حياته؟، خياة لا
ذنوب لها، هو من سحبها لدوامته، حولها لزوجته في محاولة يائسة لنسيان مالكة
القلب لسنوات!؟

ظالم، أحمق، أرعن، غبي، عدة صفات أطلقها على نفسه ليواجه حقيقة وحيرته،
حيرته التي خلصته هي منها دون أن تدري عندما منحته فرصة ثانية!

- إزاي تقوله إن جوزها مسافر، هو اللي عمل فيها كده يا عم محمود؟!
تستمع إليه يلوم والدها بينما هي تدفن رأسها بصدر والدتها ودموعها تسيل بصمت
تام، فقدت صغيراً؟!!

قتل طفلها، حلم صغير كان ينمو بداخلها ورغم واقعيتها وكرهها للأحلام الوردية كانت
تتألم بغريزة فطرية:

- منقدرش نقف قدامهم يا إبني وبعدين ده جوزها وهو حر فيها!
نبرة خائفة لدرجة جعلت غضبه يتصاعد، ضرب الحائط بقبضته قبل أن يغادر يلعن
ذلك الضعف والظروف الذي جعلت منه غريباً فبقي عاجزاً عن تحطيم كل عظمة في
جسد ذلك الهمجي، صفة ألصقتها به سابقاً لتفاجأ بها تتجسد في زوجها الطبيب ذو
الحسب والنسب، وعادت لمنزل أهلها لتلزم غرفتها تتحدث لنفسها أين خطتها؟!
ترتيبها وأحلامها؟!!

أيعقل أنها فقدت كل شيء؟، لم يسأل عنها ووالدته حضرت لزيارتها بالمستشفى
وأخبرتها أنه سافر!
- إبنك قتل إبني؟

صاحت بها غاضبة لتبتلع السيدة الجملة بهدوء:
- طيش يا بسمه، قاسم عصبي وانتِ إستفرتيه.
- لا يا جيهان هانم مش عصبي، هو بيريل وعينه فارغه، إبنك المحترم كان مع الشغالة
في المطبخ!

قالتها تصفعها بها لتفاجأ ببرود وهدوء لم تتوقعه:
- كل الرجالة كده، إدي له مساحته، في الأول وفي الآخر إنتِ الزوجة هيلف ويرجع
لك!

منطق غريب للغاية لا تستسيغه وتلك البرودة تشعلها:

- أنا هوديه في داهية!

وابتسمت السيدة بهدوء تميز به:

- إنت ذكية يا بسمة، أكيد مش هتعملي حاجة تضرك

ووقف بهدوء تتجه نحوها بإبتسامة وهي تربت على أسفل ذقنها:

- أنا هسيبك تراحى شوية في بيت بابا، حمد الله على السلامة.

وغادرت لتتركها مع أفكارها، وبعد عدة أيام وجدت نفسها بمنزل أهلها مجدداً، شقيقاتها بالمدرسة ووالدها بعمله ووالدتها ذهبت للسوق وبقيت هي بين جدران منزلها القديم المهترئ ونافذتها التي تطل على الحارة ...

على ورشته تحديداً، ولا تدري لم أصبح هوسها وخيالها عنه قررت تحويلها لواقع! أسبوعين وهي تراقبه حتى قررت الإتصال به، هاتفه يرن بإسمها وهو لا يجيب فهو لا يجد كلمات ووصلته رسالتها:

"أنا متشكرة على كل اللي عملته عشاني"

لم يصلها الرد لكن قلبه كان يرق، تتسلل إليه مجدداً، فهو كاذب لو إدعى طردها من قلبه.

وباليوم التالي كانت تقف بباب ورشته وهو منهمك في الترتيب قبل أن يأتي العمال، الشارع هاديء تماماً، فالوقت مبكر للغاية وصوتها تردد بأجواء المكان:

- أنس!

نادته فلم يصدق أنه حقاً صوتها!، إلتفت ليجدها تقف بالباب تلف شال حولها وبدت مرهقة للغاية بلامح شاحبة، هناك شيء ما إنطفاً بها، لم تعد كما كانت.

- ممكن أتكلم معاك؟

- هنا؟!

حركت رأسها نافية قبل أن تهمس بضعف:

- هستناك في مكاننا...

ولحت التردد بعينيه، فنظرت إليه براءة مصطنعة أتقنتها معه طوال السنوات الماضية:

- من فضلك يا أنس، أنا محتاجك

وغادرت وهي تراهن نفسها أنه سيظهر فوق سطح منزلهم بجوار عيش الحمام الذي كان يعيشه، لكنها وجدت العش قد تحطم وقد هجرته حماماته، فأصبح حطاماً فارغاً يذكرها بنفسها، أخذت نفساً عميقاً، هي لن تصبح كذلك، هي ستحصل على كل شيء، وممر الوقت ولم يظهر، إنتظرت وانتظرت ولا شيء، هاتفه مغلق وأخلف موعداً كانت متأكدة أنه لن يخلفه، لكنه فعل فهو لا يضمن عاقبة تواجدها معه ويعرف الجميع هي لم تعد تؤثر فيه، أما بعرفها هو يهرب منها، إذاً لازالت تملك التأثير!

- يا أسطى عم محمود عايزك في البيت ضروري

كانت الجملة التي أخبره بها أحد صبيانها، فأتجه إلى هناك وطرق الباب لتفتحه:

- عم محمود بعث لي عايزني

- أدخل يا أنس

وأفسحت له المجال ليدخل ليكتشف أنها بمفردها وقبل أن ينطق كان دفاعها جاهزاً:

- بهرب مني؟، من حتي إني أتكلم معاك

زفر في ضيق يحاول جمع أكبر قدر من الهدوء عندما تقدمت لتغلق الباب فأمسك به لتطالعه نظراتها بإعجاب:

- خايف مني ولا من نفسك؟

- عايزة إيه؟

وتركت الباب موارباً وتوجهت نحوه ونبرة ألم تتشبع بها كلماتها:

- عايزة أقولك إني ندمانة، قاسم لعب بدماعي، خلاني أشوف كل حاجة بالعكس، رسم لي دنيا وردية.....

وأخفضت بصرها بإحتراف قبل أن ترفع عينيها بنظرة محسوبة بدقة، ربما حسبت مقدار الدموع المتفرقة بها وأكملت:

- أنا كنت غبية لما ضحيت بأجمل حاجة في حياتي، أنس من يوم ما سبنا بعض وأنا حاسة قلبي ناقص، في حاجة كبيرة ضايعة مش بلاقيها غير لما ببص لك!

طالعتها بصدمة وهم بالمغادرة لتمسك بيده وتضغط عليها بكل قوتها تخبره أنها تعني ما تقول:

- أنس!

- إنت ست متعجزة

حركت رأسها نافية قبل أن تجيب:

- مش قادرة أشوفه ولا أحس بيه، أنا بحبك انت، أنا عايزاك انت

واقتربت تنظر إلى عينيه، هي حلمه لسنوات، عشق حمله بقلبه ونظراتها تخبره عن قصة إشتياق، نظرات لم يراها بعينها من قبل، والرد كان صفعه أسقطتها على الأرض بجاورها:

- أنا أول مرة أكتشف إنك سافلة، إني طول السنين دي كنت بحب واحدة مش موجودة، كنت أعمى وأنا بديكي فرصة واثنين وعشرة لإني كنت بحبك، بحب بني آدمة مش موجودة إلا في خيالي وبس...

وإبتسم بتهكم وألم، هو فتح عينيه على حقيقة كاملة!

- وهم! مسخ بشع، إنت عايزة كل حاجة، مستوى جوزك الإجتماعي وفلوسه وكل الإمتيازات اللي بيقدّمها لك وبالمرة الميكانيكي اللي بيعحك ينفع يبقى عشيق طالما الصورة قدام الناس متهزّتش، إنت عارفة إنت إيه يا دكتورة ... بصي لنفسك في المراية هتعرفي إنت إيه بالظبط!

وغادر وتركها مزروعة الكرامة والكبرياء ورغم أنه لم يمسه فقد أفقدها الشرف، بل هي من إنتهكته، هي بكامل هيئتها، لكنه عرى روحها وتركها تواجه نفسها وهو الآخر كان يواجه نفسه بحقيقة ضياع عاشه لسنوات وفرصة ثانية تنساب من بين يديه، فهو أحدث جروحاً صغيرة لا تُرى وربما لم يشعر بها، لكنها كانت تنزف، هو إختيارها وهي رغم الألم خيرته!

وفي الليل عاد إلى المنزل ليجدها على الأريكة، فوقف أمامها ونظرتة تخبرها أنها راحلة:
- يوم ما تجوزتك قلت لك إن ده بيتك تحت أي ظرف والخيار اللي حطيتيني فيه
مش أنا اللي هختاره، عارفة ليه ؟ لإني لو قارنت بينك وبينها أبقي بقلل منك ومن
نفسى.

رفعت عينها بصدمة من كلماته:

- اللي إنت بتقولي عليها ست متجوزة وأنا مش بالندالة دي إلا لو إنت شايقة كده!
وهنا إنطلقت تدافع:

- أنس أنا مقصدتش.....

رفع يده أمام شفيتها يمنعها عن الكلام:

- القرار في إيدك، إختاري

وغادر لحجرة الضيوف تاركاً إياها، بل معاقباً بإبتعاده الذي ترى أنها السبب به، ما
كان عليها أن تصرخ بحقيقة ضاق بها صدرها لكنها كانت قد إكتفت، وهو وضع الأمر
بين يديها وأصبح لها حرية الإختيار!

وهي إختارت فرصة أخرى، دنيا جديدة، بل هي قررت أن تقطع خط الرجوع، فهي تحتضن صغيرها وتنساب دموعها بصمت وهي تتذكر عشقها له، كل ما مر بهم من لحظات عاشتها بكل جوارحها، والذكريات تقتل والعناد مؤلم للغاية:

- طلقني!

- إنت طالق!

والمشهد يعاد بذاكرتها كأنها تعيشه مرة أخرى، والألم لا يخف، بل مازالت طعنة قلبها تؤلمها، طبعت قبلة على وجنة صغيرها النائم بأحضانها، فهي إفتقدته للغاية ولم تعد تقوى على إبقاؤه بعيداً، عنادها يقتلها والنار تشتعل بصدرها لا يطفئها شيء وربما إنتقامها ينهي الأمر!

نادتها والدتها التي دخلت فجأة لتجدها تحتضن يزن وهو نائم وتمسح دموعها:
- أيوه يا ماما.

أجابت بصوت مختلط بدموعها فجلست والدتها أمامها
- مها، إنت
وقبل أن تكمل والدتها أمسكت بيدها:

- أبوس إيدك متتكلميش!

- إنتِ بتعملي في نفسك كدا ليه؟ يا حبيبتي، عمرو غلط بس إنتي كمان غلطتي.
الدموع تهمر على وجنتيها بقوة وتحاول التماسك لكن لم يبق وقت طويل على زواجهما وهي عاشقة، لازال قلبها الخائن مدموغ بعشقه ولو لعنت وأعلنت العصيان وأقسمت أن تطرده خارجه لكنها كاذبة وهي تعلم فقوتها التي تظهرها أمامه يعقبا إنبهار وهو حضر لأخذ الصغير.

- أنا عايزة إبنِي يبقِي معايا يا عمرو!

وهو اشتعل غضباً، تركه عندما تريد وتستعيده وقتما تشاء:

- إنتِ هتتجوزي وأنا ابني مش هيعيش مع جوز أم
- سليم شخص محترم جداً ومرحب بيزن في حياتنا

وسأعه لإسم الآخر أشعل نار الغيرة بداخله، أن تجمعها حياة مع شخص غيره وأن
تتحدث عنه بمنتهى البساطة كأنها أصبحت ملكه!
والتفكير يشعل عقله ويقوده للجنون، هو أخطأ؟ يعلم ذلك..
وهو يعتذر ورفضت وعاد متوسلاً ورفضت، حاول وحاول ولم يحصل إلا على
الرفض، فأصبح يؤمن أن الفرصة الثانية هي فقط ضرب من الخيال والواقع لا توجد
به فرص ثانية!

جلست على رمال الشاطيء تحرك أصابعها بين خصلات شعرها لا تكاد تصدق ما حدث في الصباح، هي هنا معه وقد أبعدت عقلها عن كل شيء سوى وجودها معاً لكن صدمتها صباحاً كانت مرعبة، فقد غادرت السرير مرهقة وخطوات قليلة قبل أن تسقط أرضاً دون أي مقدمات فإلتفض في رعب يحاول إفقتها:

- مليكة، مليكة!

يرت على وجتها ولا إجابة، فحملها إلى السرير وأحضر زجاجة العطر يمررها أسفل أنفها ففتحت عينها ببطء:

- إنتِ كويسة؟

ولم تجبه، فقط إندفعت إلى المرحاض تفرغ ما في جوها وبدت شاحبة للغاية، فأمسك بها:

- إحنا لازم نشوف دكتور، هأخذك المستشفى.

حركت رأسها برفض، فهي تكره المستشفيات والأدوية وربما الأطباء لكنها كانت تشعر بالتعب بشدة فتركته يذهب بها إلى هناك.

- الضغط والسكر مضبوطين بس إحنا هنعمل للمدام تحليل حمل يمكن يكون خبر سعيد!

تبادلا النظرات بصدمة وخيم الصمت على الأجواء!

وبقي الصمت طويلاً حتى كسره هو:

- مليكة، هو لو.....

توقف لا يدري ما عليه أن ينطق به، عدة أسئلة صادمة لن يجد لها إجابة ...

طفل؟! ماذا عن الأب؟!

هي! تصبح أمّاً؟

تتقيد حياتها وحريتها بطفل؟، هل ستقرر التخلي عنه؟، ربما لا تدري فرأسها كان يدور حتى تركها وذهب يحضر نتيجة التحليل وهي جالسة على الرمال عقلها يعصف بها وتقرر أنها ستتخلي عنه!

فهي لا تريد أطفالاً الآن!، وبينما هي على تلك الحال إصطدمت بها كرة شاطيء أخرجتها من شرودها لتتظر نحوها فتجد صغيرة ترتفع عن الأرض بسنيميرات قليلة، خصلات ذهبية مصففة على هيئة ضفيرتين وعيون بلون سماء ديسمبر ولمعة رائعة، حدود وردية متوردة ووضعت يدها على فمها ونطقت بصوت طفولي:

- سولي "sorry"!

إبتسمت لتلك اللدغة الرائعة وتوجهت ناحيتها تعطيها الكرة:

- أنا عازية ألعب معاكم!

ظلت الطفلة تحديقها قبل أن تحرك كتفها بالموافقة، بدت كدمية بملابس السباحة وظلت تلعب معهم وتلك الدقة بقلها تخبرها أن هناك شعوراً يتحرك بداخلها، رغبة لم تعرفها من قبل، وجدت خوفها من أن يكون حملها حقيقة يتلاشى، بل تسلس إليها ذلك الشعور الذي يخبرها بأنها تريد أن تصبح أمّاً، أن ترى جزءاً صغيراً منها يتحرك أمامها وينتمي إليها، بينما هو وقف بعيداً يراقبها تلعب مع الأطفال وهز رأس مستنكراً، هو لن يفهمها أبداً مهما فعل، فبالأمس فقط كانت تعد خطة ينحني لها الشيطان إحتراماً واليوم تلاعب الملائكة الصغار، ولحنته فألقت إلى الصغيرة بالكرة التي إقتربت منها وطبعت قبلة على وجنتها ومن ثم هرولت ناحية أصدقائها بينما هي تراقبها بإبتسامة وهي تجري كقطعة صغيرة، توجهت ناحية الشاليه ليعطيها التحليل مبتسماً:

- مبروك!

إبتسمت وهي تفتحه، سيكون لها طفل ولا يهم أي شيء آخر، فليذهب أي شيء سيقال إلى الجحيم، هي ستسافر لتضع طفلها بعيداً وتؤمن له حياة وربما ستكون طفلة فتحصل على نسخة مصغرة منها كذلك التي أرادت ضمها وإغراق وجناتها المتوردتين بالقبل، وفتحت المطروف لتجد النتيجة:

- سولي!

قالتها بصدمة وربما عدم تصديق، فكل ما بنته من أمنيات لساعات قليلة تحطم فوق رأسها، أغلقته وجلست على السرير ومظهرها عبر عن خيبة أملها مما زاد من دهشته:

- مليكة، إنتِ كنتِ عايزة تكوني حامل؟، مينفعش طالعتنه بغضب، لم يخبرها أنها لا يمكنها أن تحمل طفلاً؟
- أنا أقصد إنك لازم تتجوزي، لإن ...
- ولم تعد تحتمل كلماته فرفعت يدها توقفه:
- حسام، خلصنا، الموضوع كله على بعضه سخييف أصلاً وأنا عايزة أنام لإني مرهقة.
- قالتها وتذثرت بالغطاء ليقبل رأسها ويتركها لترتاح وما كاد يخرج حتى نادته:
- أنا عايزة أرجع مصر!
- حاضر يا موكا، أنا كده كده مديت أجازتي إسبوعين.
- وغادر ليتركها بين أفكارها وذلك الشعور الذي ترفضه وتحاول طرده من داخلها بكل ما أوتيت من قوة، فالبعض لا يدرك أنه بحاجة لفرصة أخرى بل يرفضها وربما شووها!

وفرصتها تم تشويهها تماماً بذلك الشجار الذي نشب بين والدتها وحياتها:
- أنا غلطانة إني وافقت على نسب زي ده، أنا تقف تروح لي في وسط الشارع من
أحقر الألفاظ عشان بقولهم يوطوا صوتهم وإحنا في المستشفى، أنا صبرت لحد ما
عامر خرج من المستشفى...

وحاولت إستعطف الجميع، والدتها وشقيقتها وشقيقته والآن والدته..

- حقك عليا يا ماما

طالعتها بغضب والتفتت لإبنها الذي لا تزال يده ملفوفة بجيرة:

- عاجبك اللي حاتك عملته فيا ده يا عامر؟

وما كاد يفتح فمه ليرد حتى إعتزت:

- إيه؟ هتدافع تاني؟ مش كفاية اللي حصل لنا؟، إنت السبب في بهدلي دي، لا
وكان مسمعتش أخت مراتك وهي بتقولي هي هدير لسه مش حامل ليه؟، إحنا
بنتنا زي الفل!

إلتفتت إليهم بحرج ولا تدري ما عليها أن تفعل!

وهنا قرر أنه لو كان هناك فرصة واحدة لحياته فيجب إتخاذ قرار مصيري، قاسي لكنه
ربما الحل الوحيد للأمر وآخر فرصة!

- كتب كتاب مما أختك يوم الجمعة!

أخبرته ليزفر في ضيق:

- ده إستبهال، ما ترجع لعمر، إنت موافقاها في اللي هتعمله ده يا ماما؟

مطت شفيتها بإعتراض قبل أن تلقي عليه السيفونية الشهيرة:

- هو أنا حد بيسمع لي كلمة ولا ليا رأي؟ أنا خلاص راحت عليا

ولم يجرؤ أحد على الرد خاصة هي، ولكن فور أن صعدت معه لشقتهم جاءها القرار:

- هدير، أنا عايزك تقطعي علاقتك بأهلك تماماً!

والفرص الثانية أحياناً تحتاج للتضحية، تضحية ربما لا تقدر على إتخاذها!

ضحية، مظلومة..

هي فقط في المكان الخطأ والزمن الخطأ ومع الشخص الخطأ ربما، لكن ألم يكن هو اختيارها وحلمها الذي تمنته؟، هي تجهله ولا تعرف من هو حقاً وإن كان من هو بدأ يلتقي بظلاله عليها!

البداية شك وصولاً إلى مخطط يحاك حولها ولو رفض في البداية لكنه تنازل!
- أشوفها الأول.

- حسام!

إعترضت وهي تعقد يديها إلى صدرها، فهي لن تكون لعبة ويماطلها حتى يرحل
- يا موكا، لازم أشوفها عشان أقدر أقيم الموقف

ورفعت حاجبها مستنكرة والنظرة متهمكة ومعبرة، فمن أخبرها أنه لا يمكنه العودة إلى اللعبة أغراه الأمر، فها هو يمر بين طرقات المتجر يراقبها ويحضر لإصطدام بها عند مفترق الطرق، وها هي تتقدم، خطوة يحرق بها، بشرة كالأطفال وجسد مشوق تخفيه ملابسها المحتشمة، لكنها تبدو أنثى بحق!

والخطوة الثانية رأى بها شعرها البني متوسط الطول منسدلاً على كتفها كأنه ينام بهدوء، والثالثة حركتها بهدوء وسط الأروقة، تبدو جميلة جادة، والرابعة كانت إصطدام وهو يحرق بعينها وتعجبة لمعة البراءة بها، البراءة ساحرة، مغوية وعملة نادرة الوجود!

- إنسي، نوع نورا دي قرب ينقرض، بريئة جداً وفي نفس الوقت صعب جداً إنها تقع!

جلست تضع قدماً فوق الأخرى:

- كل ست وليها مفتاح

- ونورا ليها مفتاح

أخبرها وارتسمت إبتسامة خبيثة على ثغره لتعتدل محدقة به، بلمعة عينيه، وتحرك حول المكتب وهو يشرح الأمر لها:

- إنتِ قلتي لي إن مؤمن بيشك فيها، كتر شكه فيها ممكن يدفعها إنها تغلط حتى لو
بزلة صغيرة، مش هنحتاج أكثر من كده وساعتها تبقى وقعت في إيدينا.
إبتسمت بإعجاب فهو الوحيد الذي يكملها بلعبتها!
وبدأ التنفيذ برقم هاتف يطارد رقمها ومحما حاولت منعه يعود مجدداً، ربما في وضع آخر
لكانت أعطته الهاتف تصيح به:
"مؤمن الرقم ده بيعاكس!"
لكنها لن تفعل، ببساطة تخشى أن تتجه أصابع الاتهام لها فأثرت الصمت، في النهاية
فرصة قد تبني حياتنا، وفرصة قد تهدمها تماماً!

الفصل العشرون

"يتزوج الرجال النساء على أمل ألا يتغيرن أبداً، وتتزوج النساء الرجال على أمل أنهم سيتغيرون، ويخيب أملهم جميعاً بكل تأكيد!"
ألبرت أينشتاين

ولا أحد يتغير، حقيقة إقبل بها أو لا تفعل، كلاهما سيان!
إن أحببت شخصاً حقاً لا تحاول تغييره فماضيه سيظل دوماً عالقا بداخله، ماضينا هو ما يصنعنا، ماضينا هو ما نحن عليه الآن، والماضي لا يغادر أبداً!
ماضينا الحاضر بحياتها الجديدة، تزوجت من آخر ليلة زفافها إنتهت بها حبيسة داخل الحمام تبكي وتكتم شهقاتها، فهي كانت ملكاً لآخر منذ لحظات ولا تدري كيف إستطاعت؟!

خاتته!

أيها خانت؟، من لا يزال قلبها معلق به أم من تزوجته؟! ضمت ركبتيها إلى صدرها ودفنت رأسها بينها والدموع كانت حلها الوحيد، كيف وصلت حياتها لتلك الحال؟ وكيف ستستمر؟

هي تود العودة للماضي لكل ذكرياتها معاً، خطبتها وزواجها، ولادة يزن، وحياة كانت كاملة، ماضي تود الهروب إليه، ماضي يوجعها بقسوة وقلها يتألم بقوة!
عندما سمعت طرقات على الباب:

- مها

كان نداء زوجها لمسح دموعها:

- إنتِ كويسة؟!

نهضت من على الأرض واتجهت ناحية الباب لتتوقف، فإن فتحته وواجهته بدموعها فما التفسير؟!

- ثانية واحدة يا سليم!

غسلت وجهها وبدلت ملابسها بمنزر الحمام قبل أن تغلق المياه وتخرج راسمة إبتسامة على وجهها:

- قلت أخذ شاوور بسرعة

إبتسامة مرتبكة وهو يعيد إرتباكها إلى مخجلها كونها ليلة زفافهم وإن كانت متزوجة من قبل، يبقى الخجل جزء من صفات حواء التي لا تتغير ولا يدري أنه الماضي الذي لا زالت معلقة به، ماضي يسترجعه وهو جالس بغرفة المكتب يقلب باليوم ذكريات كانت تمثل أسعد أيام حياته ونظراتها كانت سعيدة للغاية، عاشقة!
كانت تكذب؟!

والرد أتى من داخله:

"إنت اللي بتكذب يا عمرو، كنت بتحبك وانت عارف!"

كانت! دي غلطة، لو بتحبني كانت سامحت!

إنت قتلتها!

وهي دبختني، قدرت تكون لغيري؟!

ما إنت قدرت!

هي غيري!

صاح من داخله وهو يقبض على الورق أمامه دون وعي:

"هي غيري، هي صعب، صعب أوي، هي كانت حبيبتي ومراقي وأم ابني، مها كانت كل اللي ليا في الدنيا!"

وخسرهما ليكتشف أن الدموع أحياناً تسقط من عيني رجل فقد عشقه، فقد لها رجعة، ولم يتبقى له سوى ذكريات عشق قديم وطفل هو كل ما له بتلك الحياة، طفل مها حدث ستبقى هي شريكته به، رابط أبدي وضحية لا ذنب لها!

لعن ماضيه وألقاه وراء ظهره، كرهها، لا!، لم يفعل، بل أصبح يحتقر كل ما تمثله
وحواره معها كان نهاية الأمر:

- أنس أنا حاولت اتجاهل حبك ليها بس

أوقفها ليتحدث هو:

- أقولك حاجة أنا كنت مغفل وغبي يوم ما عرضت على بسمه إنها تتجوزني وأنا
هتكفل بمصاريف تعليمها، عارفة ليه؟!!

حركت رأسها حائرة لا تدري السبب..

- لإن بسمه وافقت بصفقة موافقتش بيا، كل كلامها ليا واحب اللي رسمته واللي أنا
وهمت نفسي بيه كان إلترامها مجزءها من الصفقة.

- بس إنت مكانش قصدك كده!

قالتها ببراءة حواء التي لا تريد أن تراه سوى مثالياً بكل شيء حتى لو كان يعشق
غيرها، فتلك مشكلتها هي، هي الدخيلة ولا يحق لها الاعتراض!

- ومعاكِ إنتي كمان الموضوع صفقة، البنت اليتيمة الغلبانة اللي قررت أوفر لها بيت
وحياة، بشتري حبك إنتِ كمان!

وساد الصمت وهي تطالعه قبل أن تنطق:

- بس أنا مش للبيع يا أنس

أوماً برأسه وتقدم نحوها يرفع وجهها إليه:

- ما عاش ولا كان اللي بيعع ويشتري فيك يا حياة، إنتِ غالية أوي، مش عايزك
تقارني نفسك بجد تاني لإن إنتِ مفيش حد زيك.

وكلماته تدق بقلها العاشق لكنها تخشى أنها مجرد كلمات ليس إلا، عقلها يخبرها أن
تصمت وستنتزع حب الأخرى رويداً رويداً وأنوثتها لازالت تعاني من الغيرة:

- هتصالحني؟

- أصالحك!

حركت رأسها وهي تبتسم بشقاوة بريئة، مزيج يخلصها وحدها:

- أيوه، ما إنت زعلتني يا بشمهندس يبقى تصالحني مش هو ده الحق؟

- إنت مش سهلة أبداً!

إتسعت إبتسامتها قبل أن تجيبه:

- لا صعبة جداً وزعلي وحش كمان!

- لا ما هو واضح، عايزة تتصالح إزاي؟

واقترب بعث لتوقفه بيدها:

- نفسي نخرج سوا زي ما بسمع، تتعشى برا، نروح سينما أو حتى نتمشى على النيل!

وأحلامها بسيطة للغاية تجعله يود تحقيق كل ما تريد، فهي حاضر يود أن يعيشه بكل ما فيه.

وهي تخلصت من ماضيها، فهو وضعها بخانة اليك إما هو أو أهلها؟!، وهنا وجدت نفسها تواجه تضارب المعتقدات والموروثات:

" اللي ملوش خير في أهله ملوش خير في حد "

" جوزك ومن حقه يقولك كده وانت لازم تسمعي كلامه "

" دول أهلك ... بيخربوا عليك "

" حافظي على بيتك "

واستسلمت في سبيل الحفاظ على زواجها فانزوت وابتعدت عنهم، ألم ترد الإبتعاد من البداية؟!

إنتزاعها من جذورها سيكون سهلاً:

- إيه دول يا ماما؟

سألت حمايتها التي وضعت أمامها كومة من الملابس الجديدة:

- دول عشائك يا هدير

طالعها بدهشة، فالسيدة لا تسيء لها، لا تنكر ذلك، بل في كثير من الأحيان تعاملها بلطف.

- يا حبيتي أنا زِي أمك ونفسي إنتِ وعامر تبقوا كويسين بس أهلك هما اللي بيعملوا مشاكل، أنا عايزاكِ وسطنا.

أومأت برأسها بطاعة تامة، فالأيام الماضية كانت هادئة وهي كانت سعيدة لكن بقيت تلك الغصة بقلبها، لظالما أرادت الابتعاد لكن رغما عنها إشتاقت لسباع صوت والدتها وغلبها شوقها عندما رن هاتفها لتجيبه:

- أيوه يا ماما

- أخيراً رديتي يا سنيورة، هو المحروس منبه عليكِ متكلميناش ولا إيه؟

وحاولت الاعتراض:

- يا ماما

- مَو لما يشننح قلبك يا بنت حسنين!

واستسلمت لوصلة من التويخ ربما تراها مستحقة لكن تبقى الحقيقة، ماضيها جزء منها لا يمكنها تركه ولا تملك إلا أن تظل ممزقة ...
ضائعة!

كأس تلو الآخر، يود خلق دوامة من الضياع، ضياع كانت بدايته بين ذراعيها، ولأول مرة منذ زواجه كانت له امرأة أخرى غيرها، لكن اليوم كان مختلفاً من بدايته التي كانت شجاراً تركها على إثره، فهي القرية البعيدة، زوجته الممنعة التي أصبحت تخل بكل ما في حياته وتخطم ذلك الجدار بعقله، تكسر ثوابته كأنها متعتها الخاصة!

- إنتِ مبتحنيش، عايشة معايا ليه وانتِ مش عايزاني؟

إقتربت تضع يدها على وجنته وتحقق بعينه بعشق خالص أعشى إن لم يراه ويميزه:
- أنا عمري ما حببت ولا هحب غيرك يا مؤمن بس يا حبيبي إنتِ فاهم الحب غلط، الحب إنك تلاقيني جنبك وقت ما تحتاجني، إني أمسك إيدك وأنا م على كتفك متطمنة، أنا فضلت سنين أحبك من غير حتى ما تعرف، من غير كلمة ولا مسكة إيد.

وهو يتذكر عندما كانت تختلس النظر من خلف نافذتها وهو يتجاهلها، هو صدق يوماً في ذلك الحب.

- بس إنتِ مراقي من حتي إنك تكوني ملكي

- وبعدها نرجع لدايرة الشك؟

إنتفض من على الأريكة مبتعداً عنها:

- ده إنتِ بتعاقبيني بقي، ماشي يا نورا براحتك

وكاد يغادر لتتبعه ممسكة بذراعه:

- مؤمن عشان خاطري، افهمني أنا

بترت كلماتها لا تجد رداً ولا تدري ما عليها أن تقول سوى المبرر الذي يجعلها تستمر
وسط كل هذا الهراء القاتل:

- أنا بحبك والله العظيم بحبك

وبكت، بكت حيرة ترققها وقرار عجزت عن إتخاذها ليكون القرار من نصيبه هو،

هي ملكه، هي له، هو ربحها مجدداً وبطريقة مختلفة، بالنهاية هي تخضع وكل ما يمر بعقله هي لا يمكنها رفضه ولو حاولت!

وفي الأيام التالية عاد لجنونه مجدداً، عصبته، تقلباته المزاجية وإبتعاده، فهذا هو أسفل المنزل يجلس بسيارته ورسالة وصلت لهاتفه:

"قابلني في العنوان ده، مستنيك"

وهو يعرف عنوان الرسالة، بل ذلك عنوان مرسمها، هي كانت رهانه يوماً لذا جمع كل المعلومات عنها ويعرف ملاذها البعيد، فإنطلق بسيارته إلى هناك ليجدها بين اللوحات فجلس صامت شارد:

- سرحان في إيه؟

- فيك

أجابها بعث لتضحك تلك الضحكة الصاخبة التي تتميز بها دوناً عن نساؤه جميعاً:

- ليه حق عماد ميقدرش يبعد عنك، أصل الضحكة دي صعبة أوي!

ورغم وقاحة الجملة والنظرة كان ردها متجهماً:

- متكلمنيش عنه يا مؤمن أنا معاك بنسى كل اللي فات، برجع لأيامنا سوا.

- منستيش؟!

- ولا عمري هنسى.

صمته طال قبل أن يرفع عينيه إليها مجدداً واللعبة تتردد بعقله، هي خائنة كانت ولا زالت:

- بس إحنا مينفعش يبقى في بينا حاجة

واقترب يجلس بجوارها على الأريكة وعيناه تأسر عينيها التي لا تحيد عنه:

- مينفعش أتوه في عينيك

والنظرات تتعاقب بشوق متصاعد..

-ولا أمسك إيدك

واللمسة أحرقتها كأنها أول مرة تتشابك أصابعهم..

- مينفعش إني أتمنى أسمع همستك ياسمي من بين شفايفك ونظرتة إلى شفتيها حبست أنفاسها، هي غارقة به..
- مؤمن
- همستها بأنفاس متلاحقة وهو يرى الرغبة بعينها ليقرر تحريرها من أسر النظرة ويتعد
- مينفعش، إنت ست متجوزة!
- بكرهه، بكرهه بكل ما فيا وانت السبب!
- غادر الأريكة وابتعد ليتركها للوحاتها وقرر إتخاذ الخطوة التالية:
- أنا لازم أمشي
- وخطوتين ورهانه أنها ستوقفه عند الثالثة..
- وفعلت!
- ممكن تخليك معايا، مؤمن انت الحاجة الوحيدة الوحيدة اللي مخلياني مستحيلة الدنيا دلوقتي!
- إلتفت إليها يستدعي كل براعته باللعبة:
- يا رولا
- أمسكت بيده تقبض عليها بكل ما أوتيت من قوة:
- متسبينش
- مينفعش
- أنا عايزاك انت
- إنت ملك واحد تاني
- بكرهه
- وبتحيني؟
- لدرجة الجنون
- إبتسم وهو يعد خصلاتها عن وجهها:
- الحب جنون!

جنون إنتهى به يلطخ لوحه حياته برسم الخيانة، يضيفها لكل ما حدث وجنون الحب
تفوق على غواية اللعبة فوسط ثورة مشاعره وجدها هي كَأَن الشغف أضى حكراً
عليها وهمسه العاشق يَاسمها جعل الأخرى تتعد وهي تنظر إليه بصدمة:

- يااه للدرجة دي؟! أنا مش نورا يا مؤمن

صاحت بها بغضب وألقت على مسامعه قصيدة خيائه لها ولحبها له!

ليضحك متكبهاً على حالها وربما حاله:

- أول مرة أشوف بنت ليل بتعترض

- بنت ليل!

رددتها بصدمة تامة ليجيبها بسخرية:

- أيوه معلش، صحيح نسيت إننا لسه بالنهار، عارفة إيه الفرق بينك وبين بنات

الليل؟!

تساءل وهو يرتدي ملابسه ويخرج بعض النقود من محفظته ووضعها على الطاولة

بجوار الأريكة:

- كان وقت لطيف يا رولا!

وهي بلا ماضي وحاضرها يقتلها، أما المستقبل فيخيفها للغاية، فهي حملت حقيبتها وعادت لمنزل أهلها بجملة واحدة:

- أنا عازية أنطلق!

ألقت بطلبها الصاعق ليدهش الجميع، العروس السعيدة تطلب الخلاص وهي لم تعد تتحمل، لو بقيت لانتبت بمصحة نفسية أو ربما ميتة والسيناريو الأسوأ قد تتحول لحاطئة بسببه!

- أنا تعبت والله العظيم تعبت

قالتها وهي تجلس على الأريكة وتمرر أصابعها بين خصلات شعرها بينما هو يقف يحرق بها تنهار تحت الضغط:

- أنا مقولتش حاجة!

لم يتحدث بالفعل، الأيام الماضية لم يتحدث بأي شيء لكن عينيه تنطق بشك بكل تصرفاتها وما كان ينقصها إلا ذلك الرقم الذي يطاردها برسائل غرامية، عقلها قادها أنه هو من يختبرها، أصبحت على حافة الجنون وسط دوامة حياتها التي لا تنتهي، تبتعد فيقترب، تزوي فيكون القرب من نصيبه، إتهام تراه بعينه ولو صمت، رآته يعبت بهاتفها وهي كانت قد محت كل الرسائل وحظرت الرقم الذي يتصل بها والذي وصل لحساباتها الإلكترونية فأغلقته!

- كنت بعمل مكالمة من عندك، تليفوني فصل شحن!

أومأت برأسها وغادرت، هي إحتملت الأمر لأيام وبدا الجنون قريباً لعقلها وهي تراه بكوايسها يقتلها من أجل خيانة مزعومة بعقله، والنهاية كانت بياقة من الأزهار وصلت لباب المنزل!

- ورد يا سمس so romantic!

قالتها مليكة بهكم عندما إبتسم:

- الهانم غيرت رقم تليفونها، عيدة أوي يا موكا مردتش ولا حتى شمت، قفلت كل حساباتها على النت، قفلت كل الطرق قدامي!

وكانت باقة الزهور تلك الشرارة التي أشعلت النار فهي حملتها لتجد بطاقة رقيقة
بجملة رومانسية من معجب مجهول!

- نورا

أجفلت قبل أن تلتفت بخوف على إثر ندائه، ووضعت البطاقة والأزهار أمامه.

- إيه ده ؟

قالها بغضب لتجيب بهدوء:

- معرفش

جذبها من ذراعها بقسوة يضغط عليها وعيناه تقسو أكثر من لمستته:

- يعني إيه معرفش ؟ إنطقتي!

والدموع بعينها تحكي قصة حيرة، ألم ووجع لا تدري كيف يمكنها أن تهيه، إقتربت
فأصبحت عاهرة، ابتعدت فكانت خائنة ولم يكن ينقصها من يحاول تخريب حياتها
كأنها ليست خراباً بالفعل!

- في حد بيعت لي رسائل غريبة على التليفون وانت وقفلت كل حاجة وغيّرت
الشريجة و....

- وايه ؟ مين ده ؟

- والله العظيم ما أعرف، معرفش

وتدرك أنه لن يصدقها فصاحت تكرر الكلمة مراراً...

- كل ده و متعرفش ؟ ماشي يا نورا، أنا بقى هعرف وأدبجه قدامك عشان ترتاحي!

- كفاية بقى!

صرخت بها بكل ما تملك من قوة:

- إنت السبب، أنا خفت أجي أقولك لأنك هتهمني، أنا بقيت بخاف منك، بخاف
منك يا مؤمن، فاهم ؟ شفت إنت وصلتني لإيه؟! وصلتني إني أخبي وأحس إني
بغلط وأنا معلمتش حاجة، أنا مش مذنبه زي ما إنت دائماً محسستي، أنا معلمتش
حاجة ... معلمتش حاجة!

وانهارت باكىة غير قادرة على التوقف وهو أمامها صامت:
- طلقني يا مؤمن، طلقني وكفاية، بجد كده حرام!
وغادر دون كلمة واحدة ليتركها لإنهيارها، لكنها قررت لم أنه لم يعد هناك مجال
للمحاولات الوردية، هي اكفت، بل نفذت منها كل الحيل، فلم تجد حلاً سوى أن
تجمع ملابسها وترحل، والمبرر الذي ساقته للجميع:
- خناقة على مصروف البيت، بس أنا خلاص يا ماما....
ووالدتها تدرك كذبتها فهي تراه بعينها:
- مصروف بيت إيه يا نورا؟! أنا عمري ما جيت لك ولقيت البيت ناقصه أي
حاجة!
طالعت والدتها بدموعها التي تختنق بها وتحاول إبتلاعها بصعوبة وهي تردد:
- خناقة على مصروف البيت!
ظلت تكرر وارتمت بين أحضان والدتها تبكي وتشعر أنها تموت، وهي تخفي سرها عن
الجميع، فهي شكت بالأمر ليؤكد إختبار حمل لتتكم على الأمر، وتشعر بكل ما بها
يرتجف، فلسبب لا تريد الإعتراف به تحولت فرحتها لكابوس!
فهي وجدت نفسها تحمل طفالاً لأب يتهمها بالخيانة ويشك حتى بأنفاسها، ولم تعد
تأمن على نفسها معه، هو براءة يُحسد عليها إستطاع أن يتحول من ملجأها الآمن
لمصدر خوفها الدائم!

وهي تراقبه، جالساً يشرب بصمت، ولكنها لا تريد مواجهته، الآن فهي للتو أنهت علاقتها بحسام للأبد، وهو كإنسحاب المخدر من جسد المريض، فهي غير مستقرة والسبب كبرياؤها!

حواء وإن لم تهتم برأي أحد، يبقى كبرياؤها حاجز لا يمس، وهو حطمه دون قصد، فهما كانا بمنزلة الخاص وهي تعبت بأوراقه الخاصة:

- الورق ده يودي ورا الشمس يا بيبي، رحلة ذهاب بلا عودة
إنترزه من يديها وأعاده إلى الخزانة:

- وانتِ فهمتيه؟!

سألها لتطالعه بدهشة، وقبل أن تجيبه كانت طرقات على الباب تجذب إنتباههم.

- إنت مستني حد؟

وحرك رأسه نافياً وتوجه ناحية الباب ليجد المساعد الأول لوالده:

- إيه يا حسام، إنت فين؟ بكلمك على الموبايل مقفول، والأسهم دي لازم توقع على شرها، الجنيدي خلى الأسهم في الأرض ويكرة ولا بعده السعر هيضرب فوق، مكسب ٢٠٠ % !

وقبل أن يستكملا حديثهم خرجت هي من المكتب ليتجمد كلاهما من الصدمة وتتحول نظراته هو لغضب، فلا أحد يعلم عنها وهي فضحت الأمر أمام الجميع:
- مجموعة الجنيدي واقعة، والأسهم هتنزل أكثر دي لعبة وإشاعة لو اشتريتهم هتنتضر صدقي.

وغادر الرجل بعد أن استمع إلى كلامها ليلتفت هو بغضب هادر:

- إنتِ إيه اللي خرجك من جوة بمنظرك ده؟ هوت شورت وقيصي؟ الراجل يقول إيه؟!

وارتسمت الدهشة على ملامحها فهي لا ترى سبباً تختفي لأجله:

- وانتِ محتم هو هيقول إيه ليه؟!

قالتها وهي تعقد يداها لصدرها، فهي لا تهتم لرأي أحد!

- لإننا مش عايشين لوحدا ورأي الناس.....

- رأي الناس!

قالتها بسخرية قبل أن تتقدم نحوه ليكمل:

- إنت مش قادرة تفرقي ومش هأمك إلا نفس مش عارفة ده ممكن يضرنى قد إيه ؟!
أنا

- إنت متجوز في لندن بنت رجل أعمال كبير وكنت فاكّر إني مش هعرف صح؟
صدمته كلماتها لتتقدم نحوه وتضع يدها على وجنته:

- أنا عيني دائماً كانت عليك.

وابتسمت قبل أن تتبعد:

- أنا مش عشيقَة حد، أنا اللي البداية عندي وأنا اللي بنهيا.

واقتربت تطبع قبلة ناعمة على وجنته قبل أن تتبعد:

- مع السلامة يا حسام

وهو لا يصدق أنها ستغادر عالمه، فخطوات إبتعادها آلمته فجذبها من ذراعها:
- مليكة...

نظراته تطلب منها البقاء ونظراتها تعلن إستحالتها، فهي جبل الجليد الذي تتحطم عليه سفينة كل عاشق، وقررت جعله جزءاً من الماضي، بينما الآخر هو الحاضر الذي إقتربت من جعله يعود إليها فهي ترى الضياع بعينه، والكأس الآخر أعاده للماضي البعيد يوم كان طفلاً فقد والده والجميع يعزي والدته التي رفضت الزواج وعاشت لتربيته فقط وكلمات النساء يتعجب منها:

- مؤمن هادي يا ليلي ولا البنات!

ورغم صغر سنه يتساءل لم تقرن صفة الهدوء بالفتيات فقط؟، فتاة الحارة التي تضربه كلما رآته فتاة!، ولا تنسم بأي هدوء، وزميلاته الشقيات يغرن من بعضهن ويجذبن شعور بعضهن ويصحن حالهم كحال الفتیان!

لكنها مختلفة، سلمى أول قصة حب وهو بالصف الثاني الابتدائي، تلك التي إستبدل ورقة الإمتحان الشهري الخاصة به بورقتها والنتيجة هو رسب بإختبار الرياضيات وهي توجت الأولى، وهو سعيد لأجلها لكنها كانت البداية عندما وجد رسالة غرام من أحد أصدقائه لها وهي تبتسم بخجل طفولي وتناست تضحيته الكبيرة ودرجاته الغالية.

أول صدمة بحياته والتي كتب لها رسالة وقعت بيد والدته لتلومه وتعنفه فما يفعله "قلة أدب"، وتراجع عنها ليترك الآخر يفوز بها وانتهت قصة حبه بسفرها مع أهلها ومن يومها ورغم صغر سنه قرر ألا يحب، فالقاعدة الأولى من ماضيه "الحب وهم"، واعتزل الوهم!

وفي مرحلة الثانوية حيث كان يرى أقرانه كل منهم يتحدث عن عدد الفتيات اللاتي يوقع بهن، فتلك تعشقه وهذه تشاغله والأخرى يقسم أن تنضم لقائمه، مراهقة بها كل التجارب متاحة وهو لم يقرب أي شيء مما جعله محط سخريتهم وإستهزائهم وجملة والدته:

"أنت أحسن منهم!"

وإن كان كذلك فلم كل منهم يصبح نجما متألقا وكلما ازداد فحشه بدا أكثر رجولة؟! لن ينسى يوم أوقع به أحدهم:

- إسطوانة إيه دي؟

- دي ملخص منهج الأحياء!

أجابه صديقه بخبت وهو لا يدري شيئاً عن المبتسمين من بعيد، فالشيخ كما يلقبونه سيواجه أولى خطوات الضلال!

- قلت له إيه؟

- قلت له ملخص منهج الأحياء

وانهالت الضحكات ليأتي تعليق آخر:

- عقبال منهج الكيمياء!

وهاله ما رأى، فظل تحت تأثير الصدمة لثواني قبل أن يغلق الحاسوب ويفرغ ما في جوفه، فهو رأى الأمر مقززاً لأبعد حد، المشهد علق برأسه وعينييه، والأسوأ إكتشاف والدته للإسطوانة، فنال توبيخاً وخصاماً وهو يرجوها أن تصدق أنها كانت خدعة لكنها عنيدة صعبة المراس وفي النهاية لانت محذرة ومتوعدة:

"انت أحسن من العيال دول ومتعاملش معاهم تاني!"
وبالفعل إبتعد عنهم، بل عن الجميع، فهو لا يجب أن يخطيء، هو مثالي، هو كبا تخبره والدته:

"أنت أحسن منهم كلهم!"

وفي المقابل تهال عليه التعليقات:

"عيل خرع .. خيخة"

"إنت مش راجل"

"معقول ملكش ماضي"

"انت ممل وأنا مبقتش قادرة أعيش الملل ده"

"الحياة ممتعة عيشها يا مؤمن، ليه حابس نفسك"

"أنا مجبك يا مؤمن"

"ده انت ملكش في الصنف بقى"

"انت شاذ يا ابني، مفيش واحدة عجبتك"

"فوق بقى"

"الحب لغة واحدة ولحن انت بارع فيه"

"أنا عايزاك انت"

"أنا مراتك"

"كفاية" !!!

كانت صرختها التي ترددت برأسه وسط زحمة أفكاره وهو اكتفى من التمزق والضياع
فلاول مرة هو على قمة حياة العريضة، هو حلم كل النساء، هو الوق، العايش، المراوغ
ولا زال يشعر أنه لا ينتهي!

وشعر بها تمسح على رأسه فنظر إليها لتبتسم له:

- مقدرتش أسبك حتى لو انت عايز في أبعد

ونفس عميق كانت إجابته، فهو يبحث عن الراحة وربما يجدها معها، فترك إرادته لها
لتمسك بيده وتتجه إلى سيارتها:

- أوصلك البيت؟

تساءلت رغم أنها تعرف الإجابة:

- لأ... أنا عايز أبعد، عايز أهرب

وانطلقت بالسيارة تسير على غير هدى وهو يهذي عن خيائه لنورا وحماقاته معها
وبالنهاية إعترافه:

- أنا بحبها .. بحبها يا مليكة!

والحب إدمان وهي تعلم علاجه جيداً!

وماضي لا نود العودة له مجدداً، فهي تشتعل غاضبة، تتحرك جيئةً وذهاباً وهو لا يدري ما بها!

- حأموت، حاسة إني هتشل، هتجنن!

- ممكن تفهميني اللي حصل؟

- وبدأت تقص الأمر كله عليه وما سمعته يحدث به محاميه:

- كل حاجة للمليكة، دي بنتي الوحيدة.

- أوما المحامي برأسه قبل أن يسأل:

- ومدام كاريمان؟

- جرى إيه يا فريد؟ ما كفاية عليها المجوهرات والعريبة اللي باسمها، هي ملهاش أي حاجة.

- إتسعت عيناه وهو يستوعب ما قالت له قبل أن تصيح:

- هقتلها، الحل الوحيد إني أقتلها!

- طالعها بصدمة والشرر ينطلق من عينيها، فهي لن تنسى أبداً ما فعلته بها وقررت

- جعلها تدفع ثمن كل شيء!

الماضي!

الماضي لا يغادرك أبداً

الفصل الواحد والعشرون

بلا مقدمات ... هكذا تصفعنا الحياة!

بلا مقدمات...

أسند رأسه إلى الحائط وهو يجلس على الأرض ولا يدري عما حوله شيئاً سوى أنه بمشفى أمام غرفة العناية المركزة حيث كانت ترقد هي بالداخل بين الحياة والموت، وهو عاجز عن إقازها، عن فعل أي شيء سوى الإنتظار، يلوم نفسه بقسوة، هو السبب ولم يتمنى أن يعود الزمن للوراء.
هي امرأة شكلت عالمه ولا يحتمل خسارتها.
- مؤمن قوم روح يا إبنى..

قبل عدة ساعات ...

هادئة على غير العادة، بل تعمل، فهي ترتدي منامة قطنية وردية اللون وتجلس بالسرير أمام حاسوبها وكوب من القهوة الساخنة بجوارها، خصلاتها الذهبية تخلت عن توجها الثائر وانسابت بهدوء على كتفها، وجه غير معتاد لها لكنها متقلبة لا يمكن توقعها أبداً مهما حاول أحدهم.

دخل والدها إليها ليجدها على تلك الحال، فجلس على السرير بجوارها:
- موكا

رفعت عينها إليه بهدوء دون رد، تنتظر ما سيخبرها به:

- غريبة إنك قاعدة في البيت من كام يوم!

- إيه بقطع عليك إنت وكوكي؟!

قالتها بسخرية وحقه لتتسع عيناه بدهشة من طريقتها:

- أنا عارف إنك بتكرهها بس

قاطعته قبل أن يكمل:

- dad دي حياتك وأنا مش من حقي أَدْخَل، براحتك، كل واحد حر بس نصيحة خلي بالك منها.

وجملتها أثارت حفيظته، وربما شكوكه التي لا يريد أن يجعل منها يقيناً وهي تراها يهتزاز نظراته لتجيب بشبه إبتسامة:

- البورصة النهاردة عالية والسهم طالع.

وعادت لحاسوبها ليغادر غاضباً وتبتسم هي متهمكة قبل أن ترشف بعضاً من قهوتها الساخنة

الرجال يسهل التلاعب بهم فكل منهم بداخله طفل، قد يكون أحمق وربما غاضب وفي كثير من الأحيان راغب، عصبي، عنيد، غيور، عابث، لكنه في النهاية يظل طفلاً يسهل السيطرة عليه والتلاعب به.

قاعدة لم تدركها تلك التي شاركتها منزلها وقررت إنهاء حياتها، لكنها تتردد، تخشى وتخاف، فطوال الأيام الماضية كأنها على وشك قتل شيطان ستصيبها لعنته!

- يعني إيه؟

صاح بها عبر الهاتف لتقبض على هاتفها وهي تتحدث وتهمس:

- خايفة

- بصي يا كريمة يا إما تخلصي منها يا إما هي اللي هتخلص منك والعملية بسيطة،

عندي اللي هيدخل الفيلا ويخلص عليها والموضوع هيبقى سرقة!

وعقلها يتلاعب بها للدرجة جعلتها ترتعد من مجرد الفكرة، سينفضح أمرها وسيزججها إلى السجن وربما ستعدم وتفقد حياتها

والنتيجة كانت الرفض!

- لآ، أنا هحاول معاه تاني ... رشوان سهل إني أقدر ألعب عليه
وهي قررت العودة مرة أخرى للقاعدة الأولى من اللعبة، الإغراء فهي أوقعت به عن
طريقه ولا تدري أنها جارية لا حقوق لها، فمن البداية هي لعبت دور الجارية فلا
تتوقع أن تصبح ملكة!

المقدمات تؤدي إلى نتائج، فهي قاعدة درستها وتعلمها هو بأصعب طريقة ممكنة، لكنه يدرك الآن أن مقدماته كانت خطأ كبير، وأنه الآن على الطريق الصحيح، فهو الآن يشعر أنه يملك الدنيا بأسرها، سعادة لم يعرفها مسبقاً وهو يمسك نتيجة الإختبار التي أحضرها للتو من المعمل وكلمة الطبيب مهنئاً "مبروك".
هو سيصبح أباً..

إرتباك، شعور مخيف، رائع وسعيد لدرجة لم يتوقعها، أراد أن يصل إليها ليخبرها أنها هي من ستصبح أمّاً لأولاده ولا يتخفى أن يكون هذا اللقب لغيرها، ووصل ليجدها تقف على الطاولة وتحاول تنظيف الثريا ليصبح بها:
- حياة !

أخفضت بصرها تنظر إليه لتبتسم إليه:
- أنس

وكادت تترجل من على الطاولة ليتجه نحوها ويحملها منزلاً إياها إلى الأرض ولمسته لخصرها جعلت قلبها يدق بسرعة، فمهما مر الوقت وجوده ينجلبها، يربكها وتوقفت تحديق بعينيها بينما هو إبتسم لها:

- من النهاردة هتبطل شغل الشعلة والتنظيف زي القروود كده
إتسعت عيناها معترضة بضحكة واستنكار:
- قروود؟

أوماً برأسه وأخرج نتيجة التحليل من جيب معطفه:

- أيوه عشان هتجيبى لنا قرد صغير

والدموع تجمعت بعينيها لتسقط معلنة عن فرحة لا يكفيها الضحك والإبتسام بل الدموع كانت أبلغ تعبير لتسأل بخوف:

- إنت متأكد يا أنس؟ يعني الدكتور أكد لك؟

أوماً برأسه مبتسماً قبل أن يجيب:

- أيوه وبعدين ما الحاجة أم أنس أكدت لك من قبل الدكتور

إبتسمت وألقت بنفسها بين ذراعيه ليضمها معلناً عن دفء مشاعر لم يعرفه سوى معها هي فقط، فالأخرى لم تكن تستحق أن تدخل إلى حياته، فالطبيبة المغرورة عادت لزوجها، فقد شاهد سيارته الفارهة تدخل إلى حارثهم وغادرت معه وهو لا يعلم شيء عن تفاصيل الصفقة الجديدة، فهي عادت والمقابل عيادة فخمة بأحد الأحياء الراقية وبها أحدث التجهيزات، صفقة جديدة رابحة فهي لا تخسر أو هكذا تعتقد!

فها هي جالسة أمام مرآتها تحرق بلامح لم تعد تعرفها، ووجدته يضع يديه على كتفها:
- بسبوستي!

إنتفضت مبتعدة تتجه نحو السرير بوجه عابس..

- خلاص بقي يا بسمة قلت لك إني آسف واعتذرت

- وانت شايف إن كده الموضوع خلص خلاص؟

- أعمل لك إيه تاني؟، إنت مش أخدتي اللي إنت عايزاه؟

صاح منقلتها عن محاولته إدعاء الهدوء لتحقق به غاضبة وهو يواجهها بحقيقة صفقتها وتلك المرة كانت أحقر ما يمكن، باعت كرامتها، بل قايضت حياة جنينها الذي قتله من أجل طموحها..

- إمشي يا قاسم

قالتها بحزم ليحقق بها غاضباً ويغادر الغرفة، فهي عادت، قبلت بالصفقة لكنها لا تزال في حاجة لبعض الوقت لتجمع شتاتها وتستطيع المضي قدماً!

هي تدعي أنها إستطاعت أن تمضي لكنها فقط هربت لعملها، تدفن نفسها فيه لكي تنسى أنها تزوجت من شخص وتحب آخر!
آخر كان زوج، حاولت عقابه لتجد أن العقاب من نصيبها والحل مصدر إلهاء وعملها كان مصدر إلهاء جيد، فهو دخل ليجدها تنثر الأوراق حولها على السرير فمسح على شعرها بهدوء:

- الجميل يرهق نفسه في الشغل
وزيفت إبتسامة وكذبة:

- معلش يا سليم تقرير مهم لازم يتسلم بكرة، هقوم أكمله برا
وكادت أن تجمع الأوراق ليوقفها:

- لا يا حبيبي خليكي، كمي، أنا هتفرج على التليفزيون شوية وأعمل شوية مكالمات.
وطبع قبله على جبينها قبل أن يغادر ويتركها تختنق أكثر، فمعاملتها الطيبة له تجعلها تود أن تحبه لكنها ببساطة غير قادرة على ذلك، فالقلب ليس بخالٍ، فتلك الدقة الهاربة الخائنة التي إرتبكت لرؤيته أمام حضانة الصغير كانت كافية لتخبرها أنها على خطأ تام وصمت كل ما كان كلاهما قادر على فعله وكعادتها هي صاحبة السيطرة
الواهية:

- أنا هاأخذ يزن يقضي ال weekend معايا

أخبرته ليحرك رأسه بهدوء وعقله به مئات الأسئلة والآلاف من عبارات اللوم وإعتراف بأن قلبه لازال ملكاً لها، لكنه صمت وهو يراها تغادر، لكن نداؤه بإسمها
جمدها:

- ممها...

توقفت، وكادت أن تبكي، كم تود أن تعود لماضٍ دمره معاً، والتفتت لكنها قبل أن تتقدم سمعت نداء آخر، زوجها الذي وصل بسيارته لتستقلها معه تحت أنظاره ولا يمكنه منعه فهو قد تحول إلى غريب لا حق له وتحول الآخر لزوج له كل الحقوق، فكيف حدث ما حدث؟!

زواجه ... طلاقها زواجهما

كأنها صفعات متتالية، درب من العناد سلكاه وتركوا قلوبهم تتمزق، فهو على سريرته بالمنزل وحده يود الهروب بالنوم، وهي تحرق بالصغير الذي يجلس منشغلاً بألعابه وملاحمه دليل دافع على عشقها لوالده والحقيقة أن هناك آخر يلف ذراعه حولها، يقربها منه وتسند رأسها لكتفه.

جالسة بجواره جسد بلا روح أو بلا قلب، فقلبها أهدته ولم يعد ملكها ولم تستعيده، هي ضحية غائبا، عنادها، تهورها ولم يعد هناك سبيل للرجوع، هي بالكاد تمنع دموع عينيها من النزول، هي فجأة أصبح ضحيتها ثلاثة من جنس آدم!

- تتجوز؟!

سأل شقيقتها بإعتراض لتجيبه والدته:

- وفيها إيه يا أنس؟، هي اتطلقت ومش هأقعدها جنبي

هو لا يحد كلمات يخبرها بها، يخبرها عن رجل كسرتة إبتها؟، أم عن خيانة لا يكررها بينه وبين نفسه؟، فلو واجه نفسها بخيانتها، لو تأكدت شكوكه فسيكون قتلها السبيل الوحيد أمامه، لكنها شقيقته والأمر مؤلم وحملته كانت مؤلمة:

- بنتك دي هتقعد في البيت ده ومش هتخرج منه إلا على القبر!

طالعه والدته بغضب فهي غير راضية عن ما يفعله بشقيقته وقطع علاقته بها، تلك الشقيقة التي غادرت غرفتها معلنة أنها لن تقبل شروطه بعد الآن:

- أنا موافقة يا أنس

قالتا بتحدي لينتقدم نحوها:

- ما هو اللي زيك عينها بجهة

- إنت لسه مصدقه؟، ماشي يا أنس يبقى وافق واخلص من عاري

طالعهما بتهم، غاضب ساخر حائق، وغادر، ولم يمنحهم موافقة لكن والدته تضغط وكذلك هي وبالنهاية استسلمت لتجتمع مع من كسرتة من أجله!

- علا، اتجوزت!

قالتا زوجة أخيه في صدمة:

- اتجوزت وهو يا حبة عيني رافض يتجوز.

نظرت إليها بأسى، فكل من يعرفه مشفق على حاله حقاً ولو بدا لهم متماسكاً.

- هو عرف؟

أومأت والدته برأسها وتوقف حديثهم عندما دخل وهو يحمل ابن شقيقه:

- إيه يا أميرة، الواد ده ريشة أوي طالع لمين؟

- ليك ولأبوه

أجابته والدته ليجازحها:

- لا إنا العيلة عندنا كلها مكبطين ودباديب.
ضحكت منه أميرة وهي تشعر بالأسى لأجله ولمعت الفكرة برأسها:
- بقولك إيه يا منير، أنا عندي ليك عروسة متترفضش
- أميرة
كاد يعترض لتقاطعه:
- إيه شوفها بس وبعدين أرفض أو إقبل، إديها فرصة.
- ربنا يرزقها إن الحلال، أنا منفعهاش
ومن داخله يردد أنه لا يصلح لأي امرأة، هو روح مكسورة بالكاد تحيا، بيتسم
ليخفي ذلك الكسر، يمزح حتى لا يحصل على كلمات المواساة، والوقت الأسوأ ليلاً
عندما يكون وحيداً فتواجهه الحياة بتلك الصفعة التي تعاد بذاكرته دوماً ويبحث عن
خطأه ولا يجد!

وهي لا تدري من منها الخطيء، هي أم هو؟
هي أخطأت عندما تزوجته، الآن تتردد تحذيرات والدتها بعقلها، هل أخطأت حين
عشقت بكل كيائها؟؟

عادت لمنزل أهلها وهو إبتعد تماماً ولم يظهر، هو عاد لسابق عهده وحياته وربما أسوأ،
فقد إنغمس بكل شيء في محاولة لملأ الفراغ الذي أصبح يتسع بداخله، والدته تحاول
رأب صدع لا تعرف سببه حتى، ولمدة شهر أو يزيد هو غائب بحجة سفره للعمل
وهي مصممة على رأيها:

- أنا عيزة أتطلق يا ماما!

- نورا يا حبيبتي إنتِ عاقلة فهميني إيه اللي حصل؟
عاقلة! هي لو بقيت معه أكثر فبالأكيد ستفق كل ذلك العقل الذي يتحدث عنه
الجميع، هي كمن يستقل افغوانية من الجنون وعليها أن تترجل قبل أن تسقط
وسقوطها متوقع وتحطمها حتي.

وبالنهاية قررت والدته أن تضعه أمام الأمر فهي تصيح به على الهاتف:

- سايب مراتك أكثر من شهر في بيت أهلها!

- مشيت لوحدها يبقى ترجع لوحدها

يخبرها بعناد لم تعرفه عنه في السابق، فتاها الهاديء عصبي ولا يستمع إليها!

- انت إزاي بتتكلم كده؟! مراتك حامل

والخبر كان صاعقاً وهو يستمع لوالدته التي توجهه وترك كل شيء متوجهاً نحوها، هي
تحمل طفلاً منذ ثلاثة أشهر ولا يعلم عنه شيئاً.

وصل ليجدها غير موجودة بمنزل والديها، بل لدى والدته فإندفع من الباب ليقف وجهاً
لوجه معها، وانسحبت لغرفته فكاد يتبعها لتقف والدته أمامه:

- عايز أتكلّم معاها يا ماما من فضلك

- بالراحة

همست وغادرت متممة بكلمات متمنية هدوء الحال لابنها وزوجته، إنها الذي لا تعلم عنه سوى الوجه الهاديء البريء..

- مؤمن، الله يخليك طلقني وأنا مش عايزة أي حاجة قالتها بإنفطار قلب وهي تواجه نظراته الباردة:

- إنت كنت عارفة انك حامل؟

أولمأت برأسها بصمت، فهي كانت تدري وكتمت الأمر وحاولت النجاح وفشلت وحاولت مجدداً ولم تعد تدري ما تفعل!

- خبيتي ليه؟!

سألها بقسوة لتصمت، عندما تقدم منها وهي تخشى كلماته القادمة وتحسبها، تتوقعها ولا تريد سماعها:

"الله يخليك متقولهاش"

كانت ترجو من داخلها ولم يقوى لسانها على التردد...

- إين مين؟!

وكسر ..

ألم ..

موت بالحياة، بل ربما عندها بدا الموت أخف وطأة، حالة من الجنون والرد صفعه! صفعه كانت الرد!

ردها على إتهامه، على كل ما فات، رد لم تتوقع أنها ستفعله يوماً، ربما هي على شفا الجنون وهو ردها بقسوة فسقطت على الأرض ليجذبها من ذراعها:

- خبيتي ليه؟! انظقي

وانعقد لسانها، اختنقت كلماتها ولم تجد إلا الدموع، فآفة حواء الصمت عندما يكون الكلام فرضاً..

- ما هو مبيستخباش إلا ابن الحرام

وشيطانها يحثها على إعتناق الجنون أن تصيح به وتقتله بكل شكوكه

"مش إبنك، أنا خنتك، إرتحت؟ ده اللي انت عايز تسمعه؟".
كلمات ودت لو صاحت بها، فإن لم تشفي جراحها فعلى الأقل ستجرحه بالمقابل،
لكنه جنون، تعلم ذلك جيداً، تلك ليست هي ولن تكون يوماً!
- اتجوزتي ليه؟!

سؤال تعشق كل حواء أن تسأله وكأنها ستجد إجابة ترضيها، لكنها لم تنتظر جوابه:
- بتعمل فيا كده ليه؟! أنا عملت فيك إيه عشان تعمل فيا كده؟ لو مش عايزه أنا
هنزله، أرحم له من انه يبجي الدنيا دي، هأرحمه منها وانت ارحمني وارحم نفسك
وكفاية... كفاية بقى أنا تعبت!
ودموعها انهمرت، فلم تعد تقوى على الكلام، سوى شهقات بكاء..
- ردي عليا يا نورا أحسن لك

دخلت والدته على إثرها لتجده يطبق على ذراعها بيده وهي تبكي، فتوجهت تبعده
عنها:

- إنت إتجننت؟ عملت فيا إيه?!
ولم يجب، فقط راقب بكاؤها بين ذراعي والدته التي تحاول تهدأتها وهي تدفن رأسها
بين أحضانها، لا تود حتى أن تنظر إليه ونظرات والدته تلومه دون حتى أن تعرف
القصة، فإنيار الفتاة أمامها يكسر أي قلب وعلى إثر ذلك المشهد إنسحب لتكمل
حماقته بخسارة كل شيء، هو يحطم ما حوله ببراعة غير مسبوقه وجنون لم يعلم
بوجوده في نفسه، نفسه التي سلبت منه فرحة أول طفل له!
- هنزله!

قاتها لتشهق والدته:

- الله أكبر، إستغفري ربنا يا بنتي، ده روح
وانهمرت دموعها بقوة، تحاول التوقف ولا تستطيع لتحضنها والدته وتمسح على
رأسها، ربما هي لا تدري عن ما فعله شيئاً، لكنها تدرك أن الأمر ليس بهين أبداً، وهو
إبتعد مجدداً، غرق في ملذاته ولم ينتشله منها سوى رسالة لهاثفه:

"ماما ليلي في المستشفى" !
وسقط قلبه لمجرد الفكرة، والدته هي آخر النساء بالنسبة إليه، هي النقاء، هي الحياة ودونها لا توجد حياة على الإطلاق.

- غيبوبة سكر

أخبرهم الطبيب وهو لا يدري من حوله، زوجته ووالدها، هي غائبة عن الوعي ولا يعلم أحد متى ستعود وانتهى به الأمر جالساً على أرض المشفى بجوار غرفة العناية المركزة ونظراته ضائعة، هو تحول لطفل تركته والدته في خضم الحياة وحده!

- هتسيني لوحدي

تمم بغير وعي لنتبهه هي لكلمته، بمفرده!

ماذا عنها هي، ألا يراها؟!

هي زوجته، هي يجب أن تكون بجواره...

- مؤمن قوم روح يا ابني .. مفيش فايدة من قاعدتك دي

أخبره والد زوجته ليرفض رفضاً قاطعاً:

- أنا مش هسيبها

- أنا كمان هفضل معاها

وبالنهاية كان كلاهما جالساً، هي على الكرسي وهو في المقابل على الأرض، لا يدرك ما حوله سوى شريط حياته الذي يعاد أمامه وهي كانت موجودة من أجله، إنتبه لنداءها:

- قوم أقعد على الكرسي، الجو برد

ليحرق بها دون رد وكم ود أن يسألها:

"ألم تكرهه بعد؟"

والفيصل كان نداء الفجر الذي تركه منذ مدة طويلة، لتربت على كتفه مرة أخرى:

- صلي يا مؤمن وادعي لها.

يصلي! هو ترك الصلاة منذ فترة، ترك كل شيء، لكن الآن لمن يلجأ، وكيف يلجأ لله وهو عصاه عن دراية وعمد؟، هو مذنّب مع سبق الإصرار والترصد، ولمدة أيام لا جديد، حتى وجودهم بالمشفى على حاله، نورا تقاوم تعبها، هو يتعجب من قدرتها على التحمل، مبهور بكل ما تفعل، لكن ألم تتحمل كل ما فعله بها وحاولت إنقاذه من هوته الساحقة؟، وهو عاند، رفض، إتهم وجرح وعمق جروحها بلا رحمة، كيف إستطاع أن يتحول لتلك البشاعة؟!

إنتفض مغادراً واتجه لمنزل والدته، ودخل إلى الحمام تاركاً الماء ينساب على جسده يبحث عن طهارة فقدها، يتنمى لو غسل الماء آثامه، آثام علقت بقلبه، وبالنّهاية إنهار وهو يصلي لأول مرة منذ مدة، هو بمفرده بجوف الليل يدعو ويدعو ألا يفقدها وإتصال لهاتفه أخافه، أمسك بالهاتف ليجدها نورا:

- انت فين يا مؤمن؟

- ماما كويسة؟!

سؤال بسؤال لتجيبه بنبرة حزينة:

- الحالة زي ما هي

وربما لأنّه توقع الأسوأ حمد الله واتجه إلى المشفى مرة أخرى ليجد نورا غير موجودة وتنمى قلقه عندما أخبرته إحدى الممرضات أنها إتجهت للمرحاض فتوجه نحوه ليجدها تغادر ويدها على بطنها، وجهها أصفر والإرهاق يغلف ملامحها، أمسك بها لتستند إليه وأوصلها للكرسي:

- مالك؟

- التعب اليومي

أخبرته ليزج خصلة شعرها بعيداً عن وجهها:

- ساحيني

رفعت عينيها إليه بصدمة وعادت تنظر إلى الأرض مجدداً:

- أنا بشع، أنا أوحش مما إنتِ تتخيلي، مستحقكيش ولا أستحق اللي في بطنك ولا
أستحق حتى أُمي، بس...أنا بحبك
أخفضت رأسها ولم تجب، ليمسك بيدها:
- والله العظيم بحبك، أنا عملت كل ده لإني بحبك
وأسوأ عذر ممكن لكل ما يفعله آدم بحواء هو الحب، فحواء لا تصدق أن الحب قد
يؤذي، قد يكون مدمراً، وآدم قرر أن يعترف وينطق بها، أحبك لكنني مذنب،
أحبك بكل عيوني، بكل جنوني، بكل خطاياي، فهل علي أن أكون قديساً لأقع في
الحب؟!

وهي لا تؤمن بالحب ولا تؤمن بشيء سوى نفسها، وجدت نفسها في موقف لا
تحسد عليه، فهي تقف أمام جثتها وتهزها بصدمة:
- كريمة!
ولم تجب!
قلبا إرتعد، هي قتلت!

الفصل الثاني والعشرون

" وهذه المرة دعني أحدثك عن الأمر من وجهة نظري أنا، من وجهة نظر امرأة، فلتستمع " !

هذه المرة كانت هي أمام حاسوبها، وقررت أنها هي من ستخط الحروف، هي من قررت أن تسرد، فغيا به أصبح يريكها، وقررت أن تلفت إنتباهه بل إثارة حنقه، فقررت إعادة صياغة فصله الأهم لتسرده من وجهة نظرها هي، من وجهة نظر أنثى! ووصله الملف على هاتفه لتتسع عينيه مصدوماً وهو يقرأ !!

هي ضائعة، حائرة، ولم تعد تحتل ذلك التمزق بينه وبين قطيعة تامة مع أهلها وجملة استدرت بها عطف الجميع:

"أبوس إيديكم سيبوني أعيش!"

جملة لم يكن لها بها أي حول ولا قوة، فهي مقيدة بأغلال يجذبها منها الجميع، والدتها تتهمها بالعقوق لأنها لا تسمع لنصائحها وتسب زوجها لأنه رفض أن يكون طوع أمرها كزوج أختها الكبرى، أما عن الصغرى فكانت تسعى إلى الطلاق عندما أعلنتها على الجميع بعد زفافها بمدة قصيرة:

- إنجوزتني ليه يا حبيبي طالما ملكش في الجواز؟

صاحت بها على الملأ تعابره بعجزه وهو يود التستر على الأمر، وهي لم تفعل، فقد جاءت إليها تخبرها عن الأمر لتجيبها:

- إيه يا سمر؟ مينفعش يا بنتي، الكلام ده تتكلميه معاه وتروحوا لدكتور يشوف إيه المشكلة.

حركت فيها بحركة أنثوية متهكمة على حالها:

- وانتِ صحيح هتحسي بأختك الغلابة إزاي وانتِ بطنك قدامك؟ يا أختي حسرة عليا

رفعت حاجبها في دهشة، فكلمات شقيقتها آخر ما تفكر به، هي تحب عامر وكانت لتعيش حياتها معه ولو بقيت فقط تسند رأسها لكتفه وتشعر به بجوارها لكفاها، هي تحبه، كلمة لن تفهمها شقيقتها، فهي تعيش بعالم الرغبات، عالم بعيد عن ورديتها هي، ووسط نقاش الشقيقات عاد إلى المنزل ليجد شقيقتها، وهي إرتبكت عندما وجدت شقيقتها تصيح:

- أهو عامر جه! هوه يحكم بينا بدل ما إنت مش حاسة بأختك.

- أهلا يا سمر

وهي تعلم نبرة صوته الغاضبة لكن لا حول لها ولا قوة، لم تعتقد أنه سيأتي مبكراً ولم يكن بإمكانها إغلاق بابها بوجه شقيقتها والأدهى كلماتها التي راحت تسردها على مسامعه:

- سمر!

- إيه؟ هو مش جوزك زي أخويا والمفروض يكلم الزفت ده يطلقني، ويقف لي راجل طالما مليش أخ ولا هو البيه فأكر إنه هيتجوزني ويهدلني وأنا هسكت! وقطع هو الحوار، رغم أنه لا يود علاقة مع أهلها، لكن الشقيقة تبدو في مشكلة - عمل لك إيه يا سمر؟، شتمك ولا مد إيده عليك؟

- يستجري، ده أنا كنت قطعنها له

قاتلها بقوة وثقة، فهي ابنة أمها بالتأكيد، قالها متهمكاً برأسه ولم ينطق بها لسانه:

- أو مال عمل لك إيه؟

- معملش حاجة وهي دي المصيبة!

ولم يفهم ما ترمي إليه أو ربما لم يتوقع تلك الجراة التي تصل حد الوقاحة وربما تعدتها!

- ده من ليلة الدخلة وأنا صابرة ومستحيلة، عملت كل اللي ممكن تتخيله،

ولم تترك شيئاً لحياهه فهي قصت عليه ما إرتدت وكيف تصرفت، تفاصيل التفاصيل
لنترك الجميع في صدمة من كلماتها وغادرت لتواجه هي العواقب، بل تهرب إلى المطبخ
والغداء ونظرات زوجها تتساءل عن شقيقتها ذات الخبرة عديمة الحياء!، ودخل إلى
الغرفة لمتبعه، بدل ملايسه ليتجه لعمله وقبل أن يغادر إلتفت إليها:

- سمر تقطعي علاقتك بيها تماماً.

ولم ينتظر رداً بل صفق الباب لتحفل هي!، ولا تدري تلومه أم تلوم أهلها؟، في
النهاية هي ضحية!

نظر إلى ما كتبت وقرأ ما كتبه هو:

" الندم! شعور لا ينكر أنه يساوره، فلو عاد به الزمن لما تزوجها!

بل سيفعل، سيتزوجها، هي لم تكن رغبة زائلة ولا علاقة عابرة، هو يحبها لكن كل ما
حولها خطأ، أهلها وطريقتهم وحياتهم، هو لن يسير بركهم والنتيجة والدتها تتحدث
عنه بكل السوء، كلمات لم يخبرها إياها، فالجميع يخبره عما تقوله حماته المصون عنه
ووالدته تعترض والجمل، الكلمات من حوله تلقى كالحجر بوجهه، وهو يعلم أنها لا ذنب
لها، لكنه لا يرى في أمها جدة أولاده ولا في شقيقتها خالات لهم، هي ورثة رائعة
لكنها ملطخة بطين أرض تربت بها، ولا عزاء للحب بتلك المنطقة!

فبعالم الواقع، حواء تود من الحب أن يصنع المعجزات وآدم يؤمن أن زمن المعجزات
قد ولى، هو تزوجها والأمر في حد ذاته معجزة، هو يرى الأمر من وجهة نظرها
الآن، تكمل وجهة نظره ليكتب تعليقه:

"الأتين غلطتين على فكرة مش حد واحد فيهم، جوازهم محكوم عليه بالفشل لأنه
مفتقد لأقل درجات التوافق الإجتماعي".

قرأت رسالته ولأول مرة تصلها رسالة منه منذ زمن وودت الصياح به:

" أين أنت؟!"، لكنها لم تفعل، فقط أجابت:

"عامر كان عارف إن دول أهلها، هي مخدعتوش، هو اللي خدع نفسه إنه هيقدر يتأقلم وفي النهاية زادت الخناقات ووصلوا لنقطة الصفر".

أوماً برأسه وهو يقرأ تعليقها، بالفعل وصلوا لنقطة الصفر، فلا يتذكر أحدهم ما حدث ولا ماهية الشجار الذي ترك المنزل على إثره وبقيت هي وحيدة حتى ذلك اليوم الذي ذهبت معها والدتها للطبيب واكتشفت أنها تحمل مولوداً ذكر لتتهلل أساريرها، فهي لديها الكارت الراجح الذي ستكسره به، طفله:

- مش هترجعي بيته ثاني غير لما يجي يصالحك ورجله فوق رقبتة!
ولم تستسغ ذلك الحديث، هي كسرت أوامره بالذهاب مع والدتها للطبيبة ويكفيها ذلك التمرد.

- إسمعي كلام أمك يا هدير، هتجيب لك عامر وأهله راكعين تحت رجلكي!
هي جربت كل شيء، فلتنعلن العصيان، ربما يكن هو الجواب الذي تستقيم حياتها بعده!

جالسة على الأريكة تطالع ما حولها بتهكم، هي مجبرة على التواجد هنا، مجبرة!!
كلمة لم تعرفها من قبل لكنها عليها أن تفعل فوالدها لأول مرة يدخل إلى عالمها بعد ما
حدث، وما حدث كان شجار مع زوجته:

- إنتِ فاكدة نفسك حتاخدي كل حاجة؟

صاحت بها غاضبة لتبتسم مليكة بتهكم شديد:

- إنتِ أصلاً ملكيش أي حاجة هنا يا كوكي، إنتِ مش فاهمة إنتِ إيه؟ إنتِ مجرد
تحفة، أنتيكة، زي التحف اللي في الفيلا ممكن أو تتغير وسهل جداً تتكسر!

والنفتت للغادر، لتشتعل الأخرى وتجذب السكين من على الطاولة أمامها وتبعثها
على السلم لتطعنها ويرد فعل لا إرادي دفعها مليكة لتسقط من على درجات السلم
وتجمدت في إنتظارها أن تتحرك!

هي عليها أن تتحرك، وبجالة من الضياع أخذت تخطو درجات السلم إلى أسفل حتى
وصلت إلى جسدها وحركتها بهدوء:

- كريمة!

هزت جسدها مرة أخرى ولا إجابة، وتلك المرة هزتها بعنف رافضة لإحتمال أنها
قتلتها، فقد كان حادث، مجرد حادث!

وهذا ما صاحت به عندما دخل والدها الذي صدمه المشهد، إبنته بجوار جثة
زوجته:

- زقيتها بس... م...مكنتش أقصد، أأأ...أنا

ترتعش، كل ما بها يرتجف ولا تستطيع تكوين جملة واحدة، كل ما فعلت أنها
جلست على الأريكة متفوقة على نفسها ووالدها إستلم زمام الأمور!

بينما هي ترتعد بخوف ونظرات والدها تتهمها ولأول مرة يوجعها إتهام، وجدته يتجه
نحو محاميه الذي دخل من الباب ليفاجأ بالجثة على الأرض:

- إيه اللي حصل يا رشوان؟!

سأله ليجذبه بعيداً يخبره أن ابنته قتلت زوجته لتنتفض:

- مقتلتهاش، انت ليه مش عايز تصدقي، أنا مكنتش عايزة أقتلها، أنا
- اخرسي!

صاح بها والدها لترتجف وتراجع للوراء قبل أن يلتفت لمهاميه:
- أنا جبتك هنا قبل أي حد يا زهدي عشان تتصرف في المصيبة دي!
- متقلقش يا رشوان، مليكة زي بنتي إعتبر الموضوع منتهي!
وعد بالخلاص!، ولكن أي خلاص وهي تشعر أن كل ما بداخلها ينهار والمشهد يعاد
بذاكرتها ولا تقدر على إغلاق عينيها ولا ففتحهم؟، هي سقطت بحفرة من الجحيم
وانتهى الأمر بدفن جثة كريمة وسبب الوفاة هبوط حاد بالدورة الدموية واهلها لن
يتحدث أحد منهم، فمن يمكنه أن يجابه نفوذ رشوان الجارحي أو يشك به حتى؟، فهو
أجلها وقضاؤها وانتهى الأمر!

- مليكة!
إنتبهت إلى نداء الطبيب النفسي الذي أجبرها والدها على الذهاب إليه، فهو لأول مرة
يتعرف إلى حياة ابنته وكـ الدمار الذي تحياه..
- برضو مش عايزة تتكلمي؟
تدندن بأصابعها على الأريكة قبل أن تنطق بسخرية:
- ألومات الصيف ده كلها تجن!
- مليكة، إنت لازم تتكلمي، اللي والدك حكاه عن حياتك، سهر وشرب وسفر...
حركت رأسها بتهم ساخر جميعهم حمقى!
fine -

قالتها وهي تحرك يديها في الهواء، خلعت معطفها لتبدو من أسفله بلوزتها القصيرة
الملتصقة بجسدها وأنزلت قدميها إلى الأرض معتدلة تنظر لعيني الطبيب الشاب
وبدأت حديثها:

- عايز تعرف إيه؟، أنا عايشة بستمع بجياقي، لما بعوز حاجة باخدها، أنا جربت كل حاجة في الحياة، الشرب، المخدرات، العلاقات، السفر، كل حاجة، أنا ممكن أنط من طيارة ومخافش أموت، أنا حرة ويمكن ده اللي بيخوفكم مني!
يستمع إلى كلماتها بهدوء وهو يحدق بها، هنالك خوف دفين بعينها، إهتزاز بنظراتها وحركة قدمها بعصبية، هي تحاول إثبات أنها الأفضل!
- الفرق أنا بأعمل اللي أنا عايزاه من غير ما أفكر، معنديش أي رغبة مكبوتة زيك مثلاً!

رفع وجهه إليها بصدمة لتستكمل حديثها:
- أنا شفت نظراتك ليا كويس يا دكتور، بس في حاجات كثير منعاك!
وبحركة جريئة وضعت يدها على ساقه، وهي خبيرة بنظرات الرغبة، وإرتبك لتبتسم لكنه سرعان ما ابتعد يعدل من وضع نظارته..

- آتسة مليكة

وقاطعته بوقاحة:

- أنا مش آتسة!

ألقت جملتها وهي تضع ساقاً فوق الأخرى.

- إنت محتاجة علاج، إنت مدمنة لعلاقات بتحاولي بيها تملي فراغ عاطفي جوا روحك، إنت من جواك خايفة، مش حاسة بالأمان وعندك مشاكل في الثقة وحب سيطرة و.....

إنتفضت غاضبة وتوجهت نحوه لتقف قليلاً وتواجهه قبل أن تتحول ملامحها لهدوءها المعتاد:

- عينيك حلوة يا دكتور!

إبتلع لعابه بإرتباك وتجاهلها قبل أن يتوجه ناحية مكتبه يخط بقلمه وصفة طبية:

- الأدوية اللي هكتب عليها تهديكي وتصفي عقلك، لكن لازم تعترفي بمشكلاتك الأول يا مليكة، دي أولى خطوات العلاج.

وغادرت وهي لا تعبره إهتماماً، فهي لا مشاكل لديها سوى كوايس ترى بها كريمة!
عدلت مرآة

مدة، وكادت تغادر عندما رأت سيارته تتوقف وهمت أن تخطو ناحيته لتجد معه زوجته، ولم تهتم لشيء سوى ذلك التغير الظاهر عليها..
نورا الساذجة الحمقاء تحمل طفلاً لا تستطيع هي الحصول عليه!
أتريد أن تعلم من هي أخطر المخلوقات على وجه الأرض؟!
إمرأة غيور!

"إمرأة غيور! مليكة محووسة، الدكتور النفسي قال إنها مريضة!"
ضيق عيناها وهي تنظر إلى الشاشة معترضة:
"مقتولش مريضة!" وبجانها وجه غاضب
"مش أنا اللي قلت، ده الدكتور!"

لازال بارداً كعادته، فهو يطبع وهو تحرك بغرفة الفندق يجمع أغراضه ليغادر:
"بتبرر لها، طبعاً مليكة لازم يكون لها ألف مبرر، بس ده مش مبرر لإنحلالها!"
ووجه متهكم جعله يضحك، فكم هو شاكراً للتكنولوجيا التي تجعله يتخيل تعبيرات
وجها:

"أنا مقولتش إنه مبرر، لعلمك معظم طغاة العالم مرضى نفسيين، هل ده مبرر
لظلمهم؟"

حركت عيناها بتهمك لم يراه بالطبع قبل أن تحجب:
"ومليكة طاغية!"

جالها طاغ بالتأكيد وأنوثتها مستبدة وكم ود لو أرسل تلك الجملة التي يعلم أنها ستثير
حنقها ويتوقع رد فعلها، ربما أغلقت هاتفها فأثر السلامة:
"كل حواء طاغية!"

"مستبدين العالم كلهم من جنس آدم!"
وقصف جبهة تركه يضحك ليقرر المتابعة وليرى ما فعلت!

هل حدثك أحدهم يوماً عن الحيرة؟!
الحيرة هي امرأة عاشقة خذلها حبيبها وعاد متوسلاً وهي ساحت وعادت ويلومها من
يلوم، فهي عادت تحت تأثير كلمات أهلها ووالدته والطفل الذي تحمله بداخلها وحبها!
كاذبة لو قالت أنها توقفت عن حبه!
وكم من حواء ساحت وعادت و كان الندم لديها مبرراً للساح.
فكم من ملاك بقي غفر للشيطان حرقه لأجنحته!
طوال تلك المدة الماضية تحسنت صحة والدته وغادرت المستشفى لتقرر هي أن الأمر
بينها متهي ولا رجعة فيه:

- طلقني يا مؤمن
- نورا، أنا إترجيتك إنك تسامحيني، أنا كنت غبي، مريض، مجنون وندل وجبان
كمان، بس صديقي غصب عني، أنا بعد اللي مريت بيه كان مستحيل أرجع أصدق
إن في واحدة بريئة، واحدة مش عايزة أي حاجة غير إنها بتحبني، قلبي كان مصدقك
يا نورا لكن عقلي رافض، أنا عارف إني وجعتك بس صديقي أنا كمان كنت بتعذب
يمكن أكثر منك!

وهو صادق فيما يقوله، لكنها ورغم العشق لازالت تتألم، هي من سقطت الآن بين
قلبا وعقلها، قلب يجذبها لطريق المغفرة وعقل يحذر من مغبة الإستمرار ويعلمها إن
عدت فلا تلومي إلا نفسك!

- كل ده بسبب ندى، للدرجة دي حبيتها؟
إبتسم بحزن وحرك رأسه نافياً:
- الحب ملوش أي علاقة، صديقي لو على الحب فأنتِ حي، إنتِ حي الوحيد.
إبتعدت لا تود النظر إلى عينيه:
- صعب أوي يا مؤمن، غصب عني مش قادرة
وقف أمامها محتضناً يدها بين كفيه:

- نورا، أنا مش عايز عقابي يبقى إني أخسرك، عاقبي زي ما إنتِ عايزة، بس متبعديش عني، إنتِ لسه بتحبييني، اللي زيك ميعرفش الكره.
وزاد من الضغط وهو يضع يده الأخرى على الإنتفاخ الصغير الذي أصبح ظاهراً قليلاً:

- وحياة إبننا يا نورا بلاش يدفع تمن غلطي
وفي النهاية عادت، إستسلمت وعاشت أجمل أيام حياتها، فهو غير عمله وأجازة سافر معها لتجديد شهر العسل وربما للحصول على شهر عسل لم يكن لها يوماً.

- شهر عسل وأنا حامل!
أشارت إلى بطنها التي بدأت تظهر وهي بشهرها الخامس:
فجذبها إليه يطبع قبلة على وجنتها:
- ده إنتِ أحلى من القمر
- مؤم...

ولم تكمل نداؤها لتبتعد وهو ينظر إلى عيناها:
- كنتِ بتقولي حاجة؟
حركت رأسها نافية واستسلمت للرحلة التي يريد لها لتحييها أسعد أيام حياتها، تلك هي الحياة التي تمتنها وأخيراً حصلت عليها وعادت معه إلى منزلهم ليوقف السيارة:
- نورا، أنا مش عايز أعيش في الشقة دي، عايز أروح البيت القديم ولدهشته وجدها توافقه:

- وأنا كمان، هنطلع نجيب شوية حاجات وبس
ووافق غافلاً عن من كانت تراقبهم من بعيد واشتعلت غاضبة، هي في أقصى حالات جنونها وعواقب جنون حواء دوماً وخيمة!

"عارفة، سذاجة نورا غايطاني، برايتها بتستغزني أوي!"
"سيبك من نورا دلوقتي مها في كارثة، أنا مقدرتش أعدل مشهدك لأن بصراحة
الكسرة دي وجعتني ومبقتش عارفة إيه اللي ممكن يحصل!"

حياتها متخبطة، لا تجد لها برأ ترسو عليه، قلبها لا زال يملكه ولا زال له السطوة
وكذلك هي، لازالت تمتلك قلبه وهو لا يزال عاشق لها والرابط.. "يزن!"
صغيرهم الذي حضر لأخذه من منزل والدتها التي تركتها لتزور جارتها، رن جرس
الباب لتفتحه وتتجمد مكانها وهي تراه أمامها وكذلك هو، إتجهت لتغادر عندما
أمسك بذراعها فابتعدت عنه بقوة، فيكفيها حبا الذي يمزقها، لا تنقصها لمسته ولا
نظرة عينيه التي تخبرها بدم حقيقي وعتاب :

- ليه يا مها؟ قدرتي تكوني لغيري؟!

ضحكة ساخرة لا تعكس روحها التي تتمزق:

- ما إنت قدرت تتكون مع غيري!

إقتربت تنظر إلى عينيه بقوة وشراسة، لمعة الإنتقام بها واضحة، ونبرة التشفي لا
يخطؤها أحد، هي تستمتع بمزيقه بكلماتها:

- بس أنا خنتك، أول مرة كنت معاه كنت بنتقم منك فيها في كل لمسة، كل نفس،
كل كلمة كنت بحسها خنجر بطعنك بيه، بطعن كرامتك ورجولتك، يوم عيد
ميلادك كنت معاه، عملت له حفلة كبيرة اوي وعيشته ليلة من ألف ليلة زي ما
يقولوا، كل تاريخ جمعنا عشته معاه هو، كنت بنتقم منك بخونك بس أنا خياني
كانت مشروعة!

ذبحته وأجادت الذبح وهي تنظر اليه أمامها صامتاً لكن ملامحه تنطق وعيناه تصرخ بما
لا يقوى على النطق به، إقتربت وهمست في أذنه:

- هو جوزي يا مستر عمرو، من حقه

وحواء بارعة في القتل البطيء ولطالما أجادت فن الإنتقام، لكنها غفلت عن أن سكينها ذبح آخر، زوج لا ذنب له، زوج ظن أن كلمات غرامها حقيقة ولم يدري أنه كان مجرد أداة إنتقام!

"مش لاقية كلام! ضياع وسليم صعبان عليا جداً، صعب، إحساسه فعلاً صعب، زي إحساس منبر وأنس كان، أقولك حاجة..

حوا لو قررت تكسر رجل، كسرتها بتوجع بجد!"

ولأول مرة يجدها تعترف..

"هقرا مشهد علا أهوه بس مضطر أقفل لإني طالع الطيارة!"

طبع وصمت لتصدّمها كلمة طيارة، أهو مسافر أم عائد؟!

هي الآن تتذكر أنها لم تسأله أين كان أو ما حدث؟، محاولتها لإخراجه من قوقعته نجحت واسترسلا في الحديث وهو صعد إلى الطائرة، وفتح هاتفه يقرأ ما خطت.

"حواء قادرة على الكسر والجرح وبارعة فيه بأنانية لا مثيل لها وهو عانى من الأنانيات، خطيبته السابقة لم يعد يدعوها بحبيبته بل حتى لم يعد يكرهها، هي لا تمثل شيئاً بالنسبة له، لكن الأخرى أنانيتها توجعه، هي شقيقته ويعلم أنها تدبح رفيق عمره الذي خسره بسببها، فهو لا يمكنه أن يضع عينه بعينه.

- يا حبيبي هي من حقها إنها تتجوز

قالتها لتجد منه نظره لم تجدها من قبل، نظرة أخافتها ولا تعرف السبب، لم يعامل شقيقته بتلك الطريقة؟! هو حنون، متفاهم، عطوف، إذاً لم تلك القسوة؟!

- متتكلميش في الموضوع ده ثاني!

ولم يدرك أنه يقبض على ذراعها بقسوة فتركها وزفر في ضيق:

- أنا آسف يا حياة بس عشان خاطري متتكلميش في موضوع علا، علا موتها أرحم!

مسحت على وجنته تواجه عينيه:

- انت مش قاسي يا أنس، أعذرها، هي كانت عايزة تبقى أم!

ووضعت يدها على بطنها تمسدها:

- أنا حاسة بيها..

- لو أنا كنت مبخلفش كنت هتسبيني ؟

- لا طبعاً

إجابة تلقائية صريحة، سريعة وابتسم بحزن:

- أنا بحبك يا أنس

- هو ده الفرق

ولم يقصد بالفارق حباً على الإطلاق، بل الفارق أن حياة ليست بخائنة ورغم كل شيء ورغم محاولته المستميتة حصلت على ما أرادت، زواجهما قد تم وهو سمع الخبر ليتجه إلى غرفته هارباً بالنوم!

في عرف حواء هو ضعيف وفي عرف الحياة هو رجل هاديء، لم يرد شيئاً من الحياة إلا أبسط الأمور!

والحياة بالنسبة لها بسيطة للغاية، لكنها الآن فقدت السيطرة، كوايس، هلاوس لا تتخلص منها سوى بشكر الخمر ورغباتها تشتعل ولا شيء يطفئها، فما تبحث عنه شيء واحد، شيء ينتمي إليها لكنها تعلم أن شخص واحد يمكنه أن يكون أباً لذلك الطفل!

دخل لمكتبه ليلاً ليجدها جالسة على الكرسي تضع قدميها على المكتب وزجاجة الشراب بيدها ويدت مخمورة للغاية، هو أخبرها أن ما بينها إنتهى لكنها لا تأتمر بأمر أحد!

- أقول حمد الله على السلامة ولا مبروك؟

حرك عينيه مستنكراً وغاضباً من وجودها:

- روجي يا مليكة!

قامت من على الكرسي واتجهت نحوه مترنحة:

- عايزاك في موضوع مهم!

وهو رافض لكل حديثها قبل أن تنطق به حتى:

- إنتِ ليه مش عايزة تفهمي اللي بينا انتهى للأبد، مبقاش ينفع

- ليه؟ كل ده عشانها؟! خلاص مبقتش تحبني، مبقتش عايزني

واقتربت، لمساتها عابثة، ليمسك بيديها ويدفعها بعيداً عنه:

- لا مش بسببها، بسببي أنا، أنا قرفت، نهاية اللي احنا فيه ده إيه؟ هنوصل لإيه؟!

أنا بقيت زي ناس فضلت طول عمري أبص لهم بنظرة إحتقار، بقيت أنا أحقر منهم،

أنا عايز أعيش حياتي ... يبقى عندي حياة!

- مكنتش أعرف إن البت كيفتك أوي كده!

وقحة!، ليست بالمعلومة الجديدة لكنه أصبح يحتقر وقاحتها وإن كان يعاملها بالمثل:

- أيوة، عارفة ليه؟ لان كل حاجة معاها مختلفة، لما يكون معاها مبحسش اني مخنوق

وبكره نفسي وكل مرة بحبها أكثر، عكس كل مرة كنا سوا، كنت بكرهك شوية

بشوية، أنا كرهتك بالبطيء!

جوابه كان طعنة سددها إليها بقسوة ولم يهتم، ولأول مرة عيناها بها شيء مختلف ونظراتها حائرة وبها شيء ما لا يستطيع تحديده، فنظراتها ضائعة:

- ماشي يا مؤمن، أنا هسيك لحياتك بس أنا عايزة حاجة واحدة صمت يسمعها لتلقي بأكثر العروض جنوناً:

- بيبي، أنا عايزة بيبي منك أنت!

إتسعت عيناها في صدمة وهو يراها تلقي بالعرض دون إغواء ولم تكن إحدى ألعابها:

- إنتِ سكرانة؟

ألقت بالزحاجة من يدها بعنف لتتخطم وتقدمت نحوه:

- لا مش سكرانة، إيه مش من حقي ولا أنا مش زي نورا

- لا مش زي نورا، نورا مراقي

عيناها تشتعل بغضب، هو يحدثها عن أخرى بفخر كأنها نالت شرف كونها زوجة!

- وأنا مش عايزة أبقى مراتك ولا عايزاك، أنا عايزة طفل، وانت هتديني اللي أنا عايزاه!

- إنتِ اتجننتي؟ عايزة عيل ابن حرام ولما يسألك مين أبوه هتقولي له إيه؟! واحد نمت معاه؟!

صاح بها بحنق لتجيبه بهدوء:

- بسيطة، عقد عرقي وهيتنسب ليك، هيبقى إبنك يا مؤمن، أنا مش هخلف غير منك!

- إنتِ خلاص اتجننتي رسمي!

- إعتبره جنون، أنا مش هطلب منك أي حاجة، هأخذه وأسافر، الموضوع مش صعب ومش أول مرة هنكون سوا!

تتحدث بهذيان كأنها فقدت عقلها، واقتربت لتلقي نفسها بين ذراعيه بجنون وامتدت يدها تجذب حزام سرواله ليدفعها بعيداً عنه بقسوة، فسقطت على الأرض وعيناها تطلعا بحنق متبادل!

- إنتِ خلاص مخك ضرب!
- ليه؟ لاني عايزة أكون أم، مستحقهاش؟!
- أم!
إنطلقت ضحكاته بسخرية وهو يخبط كفاً بالآخر:
- إنتِ أم؟!، إنتِ مش عارفة إنتِ إيه يا مليكة، إنتِ عاهرة ... عاهرة متصلحش إلا
لشيء واحد بس، إنتِ مسخ مشوه محدش يستحق إنك تدخل حياته إلا كعقاب!
حدقت به وهي على الأرض وم دت لو تبكي وتتهار في البكاء، لكن كبرياؤها
وغرورها يمنعانها من أن تفعل، فحملت معطفها وقررت جعله يدفع الثمن، فحياته التي
أصبحت وردية أصبحت هدفها!

إنتهت من أعمال المطبخ وكانت تتجه لتنظيف باقي المنزل لتوقفها والدته:
- أدخلي نامي بقى يا نورا وريجي على ضهرك شوية، كفاية عليك كده أوي.
- أنا كويسة يا ماما متقلقيش
أجابتها لترت على كتفها بحنان وإبتسامة أم:
- اللي في بطنك محتاج راحة
- ربنا يخليك لينا يا ماما
واتجهت إلى الغرفة لتنام، إستلقت على السرير لتشعر بأنها مرهقة وتلك الركلة جعلتها تبتسم وتمسح على بطنها، هو تعب لذيد تتمناه كل أنثى، وأخيراً إستطاعت النوم وسط إرهاق حملها، وما هي إلا دقائق قليلة وشعرت به يحتضنها ويقبل وجنتها فإبتسمت وهي تهمس:
- أنا هموت وأناام!
- نامي، أنا مش حاضنك، أنا حاضن البت القمر دي!
قالها وهو يضع يده على بطنها المنتفخ فأتسعت إبتسامتها والتفتت وهي بين ذراعيه:
- أنا افتكرتك زعلت لما عرفت إنها بنت
ولا ينكر الأمر، لكنه لا علاقة له بعقدة ذكورية تطالب بصبي ليخلف والده:
- خفت عليها، خفت أوي، الدنيا قاسية ووحشة، خايف تدفع تمن حاجات ملهاش
ذنب فيها!
نظرت إليه حائرة لا تفهم من كلماته شيئاً وهو لا يمكنه بأن ييوح بأكثر مما فعل، أراح خصلة من شعرها سقطت على وجهها لتتقرب وتدفن رأسها ب صدره، وغلبها النوم لتتركه بين أفكاره يلعن ماضي يؤرقه وحاضر يعيشه، ومستقبل يخشاه بكل ما فيه، وكان محققاً فيما يخشى، فما هي إلا أيام وسافرت والدته لحالته وبقيت هي بالمنزل ولم تعد لشقتها، فهي تكره ذكرياتها هناك وتعشق حاضرها هنا.

غادرت المطبخ على إثر رنين الجرس وفتحته لتجد هدية ملفوفة بشريط أحمر بباب الشقة فحملتها إلى الداخل وفتحتها لتجد إسطوانة مدججة والفضول لم يمهلهما، تود معرفة ما بها، لتجد عدد من المقاطع المصورة، فتحتها بعشوائية لتتسع عينها بصدمة تامة! وضعت يدها على فمها لتمنع نفسها من الصراخ ودموع عينها تتساقط بصمت وهي تراه أمامها، تفاصيل خيانتها لها متجسدة أمامها مع نساء أخريات والتاريخ يعود لقبل زواجهم وبعده أيضاً!

والصدمة كانت وصفاً دقيقاً لحالتها لكن ما حدث بعدها كان الأبعد وهي تنظر إلى أحد المقاطع يحمل اسمها، إرتجفت يدها وهي تفتحه، وفي أسوأ سيناريوهاها توقعته! رسالة لها لتشعر ببرودة تجتاحها، بل عري!

مسحت وجهها بكفها ظناً منها أنها تحلم، فهي ترى نفسها بغرفة نومها معه وتفاصيل علاقتها الخاصة معروضة أمامها، إقترابها، همساتها، كلماته، ضمته وتفاصيل كل شيء معروضة أمامها على شاشة الحاسوب!

- يا نهار أسود ... يا نهار أسود

كانت تكرر الكلمة بهستيريا تامة وهي تلطم وجنتيها غير قادرة على التوقف والدموع تنهمر من عينيها لا تصدق، هي عارية، ضائعة وإن كانت صدمة خيانتها بشعة فهتك سترها أضل سبيلاً!

الفصل الثالث والعشرون

عزيزتي حواء، كم كنت غرة وساذجة وسمحت لعالم الواقع بصدمك بعد غرقك في أحلامك الوردية، سقط قناع الحياة لتري مدى القبح الذي تخفيه، لا تجزعي يا صغيرة، لم تكوني أنتِ السبب، هو فقط قلبك الأحمق!
في الحقيقة كل القلوب حمقاء، كان القلب لحواء أو لآدم هو أحمق وحقاقته الهوى!

جلست مكانها متجمدة تحتضن نفسها كأنها تسترها، تشعر أنها عارية تماماً وعقلها لا توجد به فكرة واحدة ولا حتى تساؤل، لا شيء، هي تشعر بفراغ، ضياع، عري وانتهاك!

واستفاقت من شرودها على عودته مع والدته، فتحركت ببطء لتقف لكن خذلها قدماها، بل خذلها كل ما بها لتسقط فاقدة لوعيا وهو يصبح باسمها قبل أن يسرع نحوها بقلق محاولاً إفافتها، وابتعدت والدته تهايف طبيبتها بينما هو وضعها بالسرير وجلس بجوارها، مسح على رأسها بحنان والقلق ينهش قلبه، تأوهت بصمت وفتحت عينها ببطء، تشعر بها مثقلان للغاية، جسدها كله يئن كأن شاحنة دهستها لكن الحقيقة أنه الحب من سحقها بلا رحمة ولا هوادة، الحب الذي تمثل بذلك الذي يبتسم إليها بطمأنينة تراها مخادعة:

- مالك يا حبيبتي سلامتك؟

إنتفضت مبتعدة عنه ونظراتها تحرق به بغضب، لوم، خوف ومشاعر ضياع لا يدري سببها، طالعها بدهشة، فهو لا يدري ما تعنيه نظرتها، غادرت السرير بالكاد تحملها قدماها وتوقفت تنظر إليه وران صمت طويل بينهما!

هو لا يفهم وهي يدور رأسها بالآلاف الأفكار والذكريات التي اندفعت لرأسها دفعة واحدة وابتسمت بهكم قبل أن تسأل:

- قولي يا مؤمن، أنا أول واحدة في حياتك؟!

نظر إليها لتكمل بمرارة:

- أنا أول واحدة لمستها؟! كان في مين قبلي وبعدي، إعترف كنت مع كام واحدة غيري؟

والكرة تعاد مع إختلاف الأدوار وتفاصيل صغيرة، هي كانت بريئة وهو متهم بل مذنب ودليل إدانته بين يديها..

- نورا، أنا.....

- انت إيه؟!

صاحت به وانهمرت دموعها وهي تصرخ:

- انت إيه؟! انت ازاي كده؟!

واستطردت بسخرية متألمة تبكي، بها قهر، وجع لا يشعر به سواها:

- ازاي أنا مكنتش شايفاك بالبشاعة دي كلها، أنا شفتك بعينيا وحاولت أكذبهم بس معرفتش!

تصبح به غاضبة بألم، كل ما بها يرتجف كأنها ستفقد عقلها وهو الآخر كلماتها تطعنه بقسوة مستحقة:

- مش عارفة إزاي اتخذعت فيك، إزاي قدرت تعمل كل ده؟!

تتساءل وتعلم أنها لن تجد إجابة ترضيها:

- غراميات ونزوات ورهانات وقرف

صرخت جملتها وهو في صدمة تامة لا يجد دفاع ولا مبرر، ولا حتى آسف، هو فقد القدرة على كل شيء من هول ما يمر به واقتربت تنظر اليه وتشير إلى نفسها:

- وأنا.....

وصمتت لذكرها نفسها، هي من عشقته حد الألم، ألم تبتلع مرارته ممزوجة بدموعها لتكمل:

- أنا كنت إيه يا مؤمن؟، كنت رهان أنا كمان؟، صح؟! رهان مش كده؟

واسم واحد صرخت به دماؤه الثائرة، سيقتلها، سيطبق على عنقها لينهي أنفاس الحياة منها بيديه العاريتين، سيربها العذاب أصنافاً بعدد كؤوس الحب التي ارتشفها معاً، ألقى بالحاسوب أمامه مخططاً إياه تماماً والتفت ليواجه دموعها:

- أنا معرفش، نورا صدقيني....

- أصدقك ثاني! أكذب نفسي ثاني! طيب أبرر لها إياه، ليه؟! أنا إديتك كل حاجة، حاولت أسعدك لدرجة إنك اتهمتي في شرفي وسامحتك! وانهمرت الدموع مجدداً بألم حقيقي وصوت كسرة قلبها موجه:

- نورا، أنا عارف إني غلطت غلط كبير ويمكن ملوش مبرر، يمكن لو حكيت لك مش هتنتهي!

ونظرتة ترجوها أن تفهم وعيونها تلعن حبه بعدد الدموع التي تذرفها، يود أن يقترب ولا يقدر:

- يمكن أنا نفسي مش فاهم، حاسس إني كنت غبي لما فكرت إني أنغير، لما كرهت اللي أنا عليه وغرقت في دوامة من القذارة!

وتوقف يسترجع الذكريات بمرارة، تلك الدوامة التي سقط بها بإرادته، هم من دفعوه إلى الطريق لكن هو من سار به بإرادته وهي كانت السبب بعودته!

- إنت متعريفش أد إيه أنا كنت متقطع من الحيرة كنت رافض إني أشوف حاجة نضيفة وسط عالم كله قدر، كنت حاسس إني بتخفق، وسط كل الحياة دي كنت بحس إني مش عارف أنتفس، نفسي محبوس جوا صدري ومش بيطلع، أنا كنت مريض يا نورا وانت كنت دوايا..

والرفض كان سيد الموقف، هو يدعي أنها دواؤه ولا يدرك أنه كان مرضها!

تحرك رأسها رافضة لكل مبرراته فلم يعد بها قدرة على المغفرة، لم تعد تستطيع ولا تجد لها ذنباً ولا جريمة:

- هو أنا كل ذنبي إن أنا حبيتك!

أشارت إلى نفسها وهي تتحدث بألم:

- أنا مكنتش أعرف، زمان كنت بشوفك وبقف أبص عليك من ورا الشباك، ضحكك صافية، وعينيك بتلمع زي الأطفال، وبعدها تغيرت، طريقة لبسك وشكلك، وقتها إستغربت، بس حتى ضحكك لما تغيرت كانت لسة بتخطف قلبي، بس كانت بتخوفني وعينيك.....

وابتلعت دموعها قبل أن تكمل بنبرة تخالطها الدموع:
- عينيك بقت حبطة، سد مش شايفة اللي وراها، نظرة جامدة وساعات كثير قاسية بس كنت بصبر نفسي لإني بحبك..
طالعها بأسى ودموعها تنهمر دون توقف:
- بس أنا خلاص يا مؤمن...

وضعت يدها على بطنها وابتلعت دموعها في قسوة:
- أنا حتى نفسي اللي في بطني ينزل، أنا مش عايزة، مش عايزة أي حاجة منك!
صاحت به كأنها تلقي بالحقيقة في وجهه!
قاسية، ربما ترد الصفعة لكنها ألمته بل ذبحته برفضها له ولكل ما يمثله، بل حتى طفله لا تريده ولو قرأ عينها لأدرك عمق الجرح، لكن آدم في الحب أمياً وحواء تسطر مفردات الوجع!

إندفع يغادر الغرفة لتوقفه نظرة والدته المصدومة مما سمعت:
- إطلع برا بيتي!
- ماما

- إخرس، أنا إبني مات، إنما النجس اللي قدامي ده معرفوش!
ولم يعد يحتمل، فالصدمات متتالية والألم يزايد والإنفجار حتمي.
- معاكي حق، أنا فعلاً وسخ وزبالة كيان، أنا مش أحسن منهم مش كده؟، أنا بقيت زيم بس أنا لما بقيت كده عرفت أعيش، عرفت يبقى ليا أصحاب والبنات تترمي تحت رجليا بيتمنوا نظرة رضا!

إفجر بها بجنون غير منطقي، يريد التوقف وغير قادر عليه، بل مستمر بصياحه دون أدنى سيطرة:

- عارفة العيال كانوا يقولوا عليا إيه في المدرسة، خبيتها واين أمه، لقب الشيخ اللي كنت فرحانة بيه كان تريقة مش فخر ولا حاجة!

عيناه تقسو وملاحمه غاضبة من كل ما حوله، خسر ويعمق خسارته بل يتحدث بكل ما جال بقله ولم ينطق به من قبل:

- أنا فعلاً وسخ، بس الدنيا دي بتاعت شياطين، مبقاش فيها مكان، مش بس للملايكة ده ولا حتى البشر عارفين يعيشوا لكن إنت إنتِ هناك في المدينة الفاضلة لوحديك!

ودوت صفقة على وجهها وصياحها:

- برا ومتعشش البيت ده تاني وورقة طلاق نورا توصلها!

- أنا مش هطلقها!

- هتطلقها ورجلك فوق رقبتك!

صاحت به عندما اقترب منها:

- إنتِ بتعملي فيا كده ليه؟، إنتِ المفروض تقفي جنبي، تساعديني!

وبمنتهى القسوة طالعته بثبات وعيناها تلوم وتعاقب:

- أنا ضيعت عمري على كلب يا خسارة، يا ألف خسارة، كنت فاكدة إني بري راجل!

- ماما، أنا آسف، أنا غلطت ورجعت عن الغلط، صديقي أنا رجعت، رجعت من كل القرف اللي أنا كنت فيه، اتخنقت وتعبت، تعبت أوي، ساحيني، أبوس رجلك ساحيني!

وانهار على ركبتيه أمامها يبكي بمرارة، هو فقد كل شيء ومن خلفه كانت تقف باكية
هي الأخرى آسفة على حالة والمجمود احتل ملامح الأم وحدها،
فالأكثر حناناً كانت كانت الأكثر قسوة!
لن تسامح ولن تغفر، فالأمر إنتهى لا محالة، وتزامن إغلاقه للباب خلفه سقوط من
عشقتة أرضاً والدماء تسيل على قدميها، فهي فقدت أي قدرة على التحمل!

حدثوك كثيراً عن كسرة قلوب الرجال فهل أخبرك أحدهم من قبل عن جرح كرامة الرجال؟

وهي كذبت، خدعت وأدعت، بل خانته عندما إعترفت أنها جعلت منه مجرد أداة إنتقام من حبيبها وهو ما لا يحتمله، فمنذ أن سمع كلماتها وهو يشتعل، كرامته أهدرت وكبرياؤه ذبح ورجولته جريحة، هو سألها مراراً إن كانت ستعود لزوجها، إن كانت لازالت تحبه والإجابة كانت الرفض القاطع.

لن تفعلها ولن تعود، لكنها كانت ولا تزال عاشقة، تحولت بنظره لخائنة وقراره لا رجعة فيه، فهو عاد إلى المنزل متأخراً على غير العادة لتتجه نحوه:

- كنت فين يا سليم؟

تقدمت نحوه بقلق بينما هو متجمد مكانه، وفور أن رآها إندفعت الكلمات إلى عقله مجدداً:

"أول مرة كنت معاه كنت بنتقم منك"

زوجته كانت معه وتفكر بآخر، بل كانت معه إنتقاماً من آخر، آخر لازالت تعشقه، فهي منحتة الجسد وبقي القلب مع غيره..

"كل تاريخ جمعنا عشته معاه هو، كنت بنتقم منك، بخونك بس أنا خيائتي كانت مشروعة!"

عن أي خيانة تتحدث؟، لا يدري؟! أيها خانت؟، هي خانتته هو، هو زوجها والآخر غريب بدرجة حبيب..

- سليم!

نادته ليرفع عينيه بعينها وتصدمها كلمته بهدوء قاتل:

- إنت طالق يا مها!

صمتت، تحاول أن تستوعب جملة، طلقها!

هكذا فجأة دون أي مبرر تراه من وجه نظرها، لكن كلماته التالية وضعت التفسير
أمامها:

- مفيش ست بتحترم نفسها تدي جسمها لراجل وقلبها لراجل تاني!
رفعت عينها إليه والدموع تتجمع بهما، هي أدركت الآن أنه سمع إعتافها كاملاً..
- س..سليم

كلماتها متقطعة ولا تجد حرفاً تنطق به سوى إعتذار واهي بدموعها:
- أنا آسفة

- حقوقك كلها هتوصلك كاملة!
وغادر ليعلن النهاية، فهو وإن أحبا يبقى كبرياءه وكرامته أهم من أي شيء آخر،
فآدم وإن عشق لا يحكمه الهوى ولا يقيد الغرام!

عادت من المشفى ووالدته لازالت تتذكر ما قاله الطبيب:
"الحمد لله ربنا ستر، بس حالة الجنين متطمئنش، خليها تتابعه لحد بكرة، لو مفيش حركة نعمل أشعة بس واضح إنها إتعرضت لضغط شديد ولازم إنها ترتاح".
دخلت إلى الغرفة لتجد والدته نورا بجوارها تمسح على رأسها وهي صامته تتساقط دموعها بآلم وهي تلوم نفسها أنها صاحت بأنها لا تريد الطفل بداخلها، فأقى عقابه لها بالصمت التام، حركته الدائمة سكنت ولم تنتبه سوى على كلمات والدتها المعاتبة:
- وهو مؤمن فين يا أم مؤمن؟ في حد يسبب مراته تعبانة كده وميقاش موجود؟
وقبل أن تنطق والدته كانت تجيب هي:

- سافر يا ماما...شغل
وتوقفت تبتلع دموعها وتجاهد أن تصبح قوية لتكمل:
- هيغيب...هيغيب كثير
والجملة ضربت بقلبها ألماً وبالكاد تماسكت حتى إنصرفت والدتها وبقيت هي بمفردها
تضع يدها على بطنها وتعتذر كأنها تحدث شخصاً أمامها:
- حقك عليا بس غصب عني، ماما بتحبك أوي يا روحي وعازية تشوفك قدامها،
مستتية بفارغ الصبر اليوم اللي هتقابلك فيه..
وكانت تقف بالباب تستمع لها بقلب مكسور ورغم صدمتها وألمها لكنها كانت تعلم أنها
يجب أن تكون قوية، فإن أردت أن ترى صرح لا يتهدم أنظر إلى حواء الأم!
جلست والدته بجوارها على السرير لتلقي نورا برأسها على صدرها وتجهش بكاء
مرير:

- بس يا حبييتي متعيطيش يا نور عيني
- أنا تعبانة أوي يا ماما، حاسة إن قلبي بينزف، عازية أكرهه، أنا نفسي أكرهه يا ماما
غصب عني لسه بحبه، مبقتش عازية أحبه!
وبكت بمرارة لترت على ظهرها بحنان:

- مستاهلش يا حبيبة ماما، إهدي، إهدي يا نورا عشان خاطر اللي في بطنك يا حبيبتى.

واحضنتها لتمسك بها كطفلة صغيرة تختبئ بأحضان والدتها، لكنها ليست والدتها بل والدته التي لم تجد الأمان سوى بين ذراعيها حيث سكنت وأغلقت جفونها تغيب عن واقعها بسبات عميق.

وهو هائم على وجهه لا وجهة ولا مكان ولا شيء، هو حقاً خسر كل شيء، خسر حبها، خسر والدته، منزله، مكانته، كرامته، ووجد نفسه يواجه حقيقة، هو عاهر ولو نعتن بالعاهرات، هو من أراد تلك الحياة، هو من أراد الفاكهة المحرمة فطرد من الجنة، ألم تكن تلك مشكلة آدم من البداية؟! ولم يجد ملجأ سوى صديق لم يحدثه منذ زمن، فكان أمام منزله قرابة الفجر وورين الهاتف أيقظه:

- أنا تحت البيت عندك!

والنبرة تختنق بمشجرة من يفقد الروح:

- أنا نازل لك!

أجابه وأغلق الخط لتستيقظ من بجواره:

- في إيه يا أنس؟ ماما وعيشة كويسين؟

- أيوه يا حبيبتى متخافيش، نامي إنت

وارتدى ملابسه على عجل وترجل ليجد صديقه في حال يرثى لها، ففور أن رآه إنهار باكياً والرجال يكون!

من جعل الدموع حكراً على بنات حواء ووصفها بالضعف؟!

بل تلك الدموع كانت جروحاً وربما كانت تغسل روحه مع إقراره بكل ذنوبه:

- نورا مصممة تتطلق يا أنس!

أخبره بضعف وانكسار ليصدمه رده بثبات:

- حقها يا مؤمن، من أول لحظة شكيت فيها كان لازم تسيبك، هي استحملت معاك كثير أوي!

هو أراد من يواسي لا من يذبح، لكنه عمق الجرح وهو محق، يدرك ذلك، لف وجهه بعيداً لا يريد أن يواجه الحقيقة، هو يريد من يخبره أنها ستسامحه، أن كل شيء سيعود إلى مكانه مجدداً!

- كنت عايزها تعمل إيه وهي شايفاك بعينها وانت بتخونها، انت مش قادر تحس بيها، عايزها تسامح...

وعاد ينظر إليه مجدداً، يشعر أنه يقرأ ما بداخله:

- مش هتسامح يا مؤمن، يوم ما كنت مكسور وأنا بوصلك شقتها خارجة من شقتهم، لهفتها ونظرة عينها كانت بتقول أنها بتحبك بجد.

واعترف لنفسه قبل أن ينطق بها والكلمة طعنة بقلبه:

- أنا خسرتها!

ولم يتوقع أن تؤلمه خسارتها إلى ذاك الحد مطلقاً، الأمر كله يعاد أمامه، زواجه منها بأمر والدته، رؤية مليكة لها كرهان، تلاعبها به وب عقله، جنونه، شكوكه وجراح أحدثها بهدوء قاتل ودقة متناهية وطعنة النهاية القاتلة وانطلق بحثاً عنها، الأمر كله بدأ معها وعليه إنهاؤه بل إنهاؤها، إندفع إلى الخارج متجاهلاً نداء صديقه، وهدفه واضح "هي"!
حواء التي حطمتها، أصبح هدفه أن يضع يده عليها لكنها سافرت، ولا يدري إلى أين؟!

وبين غواية حواء وغباؤها كانت هي الحائرة، فقد سلمت أمرها لوالدتها، رفعت الراية البيضاء واستلقت بسريرها وتركت الجميع يفعلون ما يحلو لهم، لم يعد لها رأي ولا كلمة، لم تعد تناقش أو حتى تتحدث، فهي تسمع والدتها تتوعد زوجها ولا تبالي، لم تعد تبالي بالحياة كلها، فرمى إن لم تكن تحمل ذلك الطفل لما إهتمت، لكنه روح بداخلها، وهربت منهم جميعاً إلى النوم عندما دخلت لها شقيقها الصغرى:

- هدير إلحقي!، أمك ناوية لعامر على نية سودة!

إلتفتت بلا أي فضول، فلطالما كانت تلك نية والدتها وهو لم يبالي، فهو رجل غادرته زوجته ولم يتبين حتى الأمر أو السبب الذي دفعها للعودة لمنزل أهلها، لا يدري أن العراك أنهبها، هو فقط يراها إختارت صفاً، إختارتهم ولتتحمل نتيجة إختيارها!

- بعد ما إنفقوا انهم هياخدوا كل حاجة في الشقة، أمك هتبهمة بالتبديد، توديه في داهية، يستاهل، هتخليه يحي لك زاحف، شفتي إيهاب جالي يصالحني ويتمنى لي الرضا إزاي، عامر كان هيبقى خاتم في صباك، بس هو محتاج يتربى!

وطالعتها بصمت قبل أن تسحب الغطاء فوقها وتدفن رأسهم بالوسادة، هم لا يدركون أن الأمر إنتهى، وحدها تعلم وتتألم!

ففي عالم الروايات الرومانسية طفلهم سيكون حلها السحري، فهو سيحضر لولادته ويرأها تحمله فيطبع قبلة طويلة على جبهتها وتذرف هي الدموع، تخبره أنه يشبهه وهو يصير أنه يحمل عينها وأن ملامحها إمتزجت بذلك الملاك الصغير ويعودا أسرة صغيرة سعيدة!

لكنه الواقع، حيث لم يحضر، فهو لا يريد مواجهة مع والدتها التي وصل بها العناد بعمل سبوع الصغير ودعوته بلقب عائلتها في مكبرات الصوت عناداً في والده الذي إستشاط غضباً بنسب صغيره لهم، وفقط لتأتي كلمة أخته لا تدري إن كانت تهدأ أم أنه غضبها ما دفعها لقولها:

- و انت زعلان ليه ؟ هيا يشتموا نفسهم وسمعتهم، أمه أدري بيه هو ابن مين!

ونظرة نارية ألقتها إليها لتدرك خطأها وتزفر بضيق قبل أن تناديه دون جدوى، لا يجد له وجهة، والأخرى تجلس تحمل الطفل وضجيج حفل السبوع حولها يتلاشى وسط زحمة أفكارها.

والعناد على حاله ولا حل، هي ضائعة كحاله وهو يجلس بشقته ويراهها فارغة، هو لم يدخلها منذ غادرتها، لكنه أتى ليأخذ بعضاً من ملابسه ووجد نفسه يتساءل أين ذهب الحب الذي عاشه؟

أين كل ذلك التحدي والإصرار على أن يكونا معاً؟!

هل الحب يخبو؟!

يبدو أنها الحقيقة، فكل ما حدث جعله يكره قرار زواجهم، فليعطهم كل شيء وينهي الأمر، الطلاق فكرة تؤلم حواء فهي تشعر أنه تم التخلي عنها، توجع آدم لأنه يشعره أنه عاد إلى نقطة الصفر مرة أخرى، ولتعترف، الرجل يميل إلى المحافظة على مؤسسة الزواج أكثر، فحواء دائماً ما تهدد بكلمتها الشهيرة: "طلقي"، ولا يفعل، فلو طلق كل رجل زوجته عندما طلبتها منه لما بقي أحدهم متزوجاً، لكنها الكرامة، تلك التي لا يتنازل عنها أي رجل، فوالدتها أتت إلى محل عمله تتشاجر وتسب وتلعن وتعلنها:

"ما تطلقها يا أخي، إنت جزمة وهدير قلعتها من زمان!"

وهل ظنت أنه لن يفعل؟، فما هي إلا أيام حتى وصلها الرد الوحيد الممكن لحفظ كرامته ورقة طلاقها!

لتبدأ جولة أخرى وتوعد آخر بأن يدفع الثمن غالياً، ذلك الذي أبا أن ينحني، فليدفع الثمن بمجموعة من القضايا وحقوقها كاملة..

نفقة، متعة، مؤخر والشقة من حقها فهي حاضنة!

وهل يوجد للتفاهم مكان؟! بالطبع لا، فنحن لا يمكننا الجلوس إلى طاولة المفاوضات، بالنهاية هو زوج مصري تقليدي للغاية بدأ بالمأذون وانتهى بالمحكمة!

وهل لحياتها من محكمة ؟!

حياة، هي أصبحت تكره الإسم، بل قاطعت حارثهم كلها وأصبحت لا تذهب لمنزلهم بسبب تلك الحياة، فهي إشتعلت غضباً وهي تراها معاً، تراقب من نافذتها القديمة وتراها تقف بالشرفة تتابعه وهو يعمل وتلك النظرة التي رمقتها بها وغمزة عابثة أهداها إياها لتبتسم بخجل وتشتعل هي بنيران غيرة لا تمت للحب بصلة.

تلك الجاهلة تحصل على دفء مشاعر هي لم تحصل عليه، ولن تفعل، فهي حصلت على كل شيء، الصورة الكاملة، فقد عادت لتوها من حفل تجمع به صفوة المجتمع وهي تبتسم بأنافة، تتحدث بلباقة وتتركه يقترب يحيط خصرها بيده ويقربها لتضع يدها على صدره وتبتسم بسعادة، فهم الثنائي الأكثر سعادة، وبالعودة إلى المنزل يتبدل الأمر، لا تريده أن يقترب منها ولو فعل وأغدق كلمات الحب التي لا يعني منها شيئاً سوى أنه يريد لها واعتادت أن تستلم له، فهي لا تهتم، هي بالنهاية زوجته وذلك جزء من الصفة التي وافقت عليها، لكن الشروط تصبح أكثر قسوة على نفسها:

- خدي الحباية ؟

سألها لتنتفض مبتعدة عنه، هي لم تعد تحتل، هي ليست زوجة، هي رغبة وحسب ولا يحق لها حتى حمل طفل ولا حتى تعويض عن طفلها الذي قتله، واقترب يضمها لتزفر في ضيق وتنتفض:

- قاسم، أنا عايزة أناام

- دي مبقتش عيشة

صاح غاضباً لتواجهه بعصبية:

- صوتك، أهلك في البيت والشغالين كمان

- ما تخليهم يسمعوا عن الست الدكتوراة المحترمة اللي حارمة جوزها من حقوقه!

إرتدت مئزرها وتركت له الغرفة، فهي تعلم أنه لن يصمت وتوجهت لغرفة مكتبها وبها ظلت تدور وتدور والذكرى لا تتركها، كم كان رقيقاً، ودوداً، كان وسيظل الأسطى أنس الميكانيكي ولم يكن ذلك ليتغير، لكنها كانت سعيدة معه، كانت إبتسامتها تنبع

من قلبها، كان هناك شيء حقيقي بدلاً من زيف حياتها، لكنها قررت وسط إعتناق
الزيف خلق شيئاً حقيقياً، مشاعر تنتمي لها وحدها، أن تكمل الصورة الكاملة وعادت
لحجرتها بمطلب واحد:

- أنا عايزة أخلف يا قاسم!

نبرة مصممة لن تتراجع عنها، عاقدة يديها لصدرها لينظر إليها وهو يحسب الأمر،
فماذا قد يضره وجود طفل؟ بالتأكد لن يقيدته، إن كانت تريد ذلك فلا بأس:

- براحتك يا حبيبتي!

الحب، ذلك الذي كان سبب ضياعها، فهي تقف بالمطبخ تقلب الطعام بشرود تام، تتذكر ما حدث منذ عدة أيام عندما جاء إلى المنزل ولم تكن والدته هنا، برر، إعتذر بل جلس أمامها كطفل مذنب يطلب السماح ويسمعها كلمات الغرام، لكنها رغماً عنها تحبه ولا تستطيع أن تعود إليه، فهي صامته ليقرب منها:

- ردي عليا يا نورا

طالعه بشرود، ترى به عودة لمن عشقت سابقاً:

- عايزني أسامحك يا مؤمن؟

أوماً برأسه لتبتسم بألم:

- حاضر حسامحك بس بشرط....

وهو مستعد لتلبية كل ما تطلب مهما كان طلبها:

- طلقني يا مؤمن، طلقني وأنا أسامحك!

وغادر يخبرها أنه لن يفعل، وهي لازالت تتألم والألم يزداد لتشعر بالدماء تسير على قدميها مجدداً.

- مالك يا نورا؟!

تساءلت والدته بقلق وهي تدخل إلى المطبخ:

- مش عارفة يا ماما، تعبانة أوي

والألم مرسوم على ملامح وجهها الشاحب، وتوجهت بها إلى المشفى ليخبرها الطبيب أنها ولادة متعسرة بالشهر السابع وحالتها والجنين خطيرة ولابد من إجراء عملية قيصرية، وهي وقت تدعو وتبهل خوفاً هي ووالدتها، ولا يستطيع أحد أن يفرق من منها الأم ومن الحماة، لكنها فوجئت به يتقدم نحوها:

- نورا فين؟

إقتربت منه تسحبه بعيداً عن والدته زوجته وهمست بغضب:

- إيه اللي جابك؟!

قاسية وهو يعلم أن والدته لطالما كانت كذلك رغم حبها له لكنها حادة، صلبة وحازمة، وخرج الطبيب معلناً أنها بخير والصغيرة بالحضانة واتجهت والدته ووالدتها إليها بينما بقي هو بالخارج لكن والدته عادت إليه بأمر أوجعه:

- إمشي انت ملكش حاجة هنا!

وتقدمت منهم الممرضة بسؤال:

- مبروك هتسموها إيه؟

- رحمة...

نطق بها مقاطعاً كلام والدته قبل أن تتفوه به وألقى جملته بقوة:

- يمكن هي تكون أرحم عليا من أي حد!

وغادر ينتظر بالخارج حتى غادرت والدتها تحضر بعض ما يحتاجون من المنزل وبقيت هي معها إلى أن أفافت:

- ماما، البنث فين؟

- في الحضانة يا حبيبتي متخافيش الدكتور بس بيتطمن عليها

أخبرتها وهي تسمح على شعرها بخنان وترى السؤال بعينها ولن تسأله وهي لن تجربها، فهي تريد منها أن تنساه لكن النسيان شيء لم تعتاده ولم تقدر عليه، فبعد عدة ساعات كانت تسير ببطء ناحية الحضانة ولأول مرة تحتضن صغيرتها لتسيل دموعها فرحاً:

- ازيك؟ أنا ماما...إنت حلوة أوي

أخبرتها وهي تحملها، والصغيرة تقبض على إصبعها بيدها والعشق هنا أضحي معناه مختلفاً، فهي تذوب بتفاصيلها وانتبهت على صوت الممرضة:

- ممنوع يا أستاذ!

رفعت عينها لتجده، فهو تسلل لرؤية الصغيرة ونظرة عينيه كانت حزينة، نادمة، فرحة اختلطت بها كل المشاعر الممكنة فوجدت نفسها تصيح:

- سيبيه!

إلتفتت لها الممرضة بينما صدمته كلمتها، فهي لازالت رقيقة القلب كما اعتادها وجملتها
التالية كانت مؤلمة رغم جمال كل حرف بها:

- ده أبوها!

أب! صفة لم يرى نفسه بها لكنه شعور غامر جعل الندم يتدفق إلى أوصاله، فلولا ما
فعل لم يكن إفترق عن صاحبة القلب الأبيض ولم يكن يطلق سراحها وكان الآن
يحمل ابنته، لو لم يكن !

جملة لا محل لها من الواقع، مؤلمة بدنيا الخيال!

وأخيراً هي على موعد معه في مكانهم المعتاد والقلب يقفز رغماً عنها ولو إدعت عكس ذلك، لكنها توقفت وهي تدخل إلى المكان وتراه يجلس بمكانهم المفضل يلاعب صغيرة تبدو بعمر الثلاثة سنوات وصوت النادل صفعها:

- رينا يخليها لك يا فندم!

وها هي تواجه الحقيقة وقد تأكدت شكوكها تماماً، فاندفعت نحوه لبيتسم وهو يحمل الصغيرة:

- رحاب، نـ.....

- إنت مؤمن!

صاحت به مقاطعة لكل كلماته، وفي عالم حواء الصدمات تقوي آدم، الصدمات تُغيّر!

الفصل الرابع والعشرون

آدم وحواء، لطالما كانت معضلتهم الأبدية أن.....
من فضلك حواء وآدم، حواء أولاً!، إنها القاعدة الأهم، "السيدات أولاً!"
الرجال قوامون عزيزتي!
أحقاً تود خوض ذلك النقاش؟
هات ما عندك!
ولم يكن هنالك حل سوى الصراخ بهم ليتوقف الجميع وساد الصمت!

- إنت مؤمن! أنا كنت حاسة، كنت شاكّة، وكذب نفسي!
واندفعت الدموع من عينيها وهو مصدوم، والنبرة مشبعة بدموع الغدر، فها هي
جرحت مجدداً:
- كنت بتحكي لي حكايتك صح؟! ولا اللعبة مستمرة وأنا كنت رهان؟
- رحاب!
حاول أن يشرح يوقفها حتى يتحاور لتصبح به:
- كداب من قبل ما تقول أي حاجة!
وكادت أن تغادر عندما جذبها من ذراعها وأجلسها بالقوة وقد إفتعل كلاهما فضيحة
بالمكان، والأدهى أن كلاهما لا يهتم!
والهمهمات حولهما تتحدث عن أنه خائن ومع وجود الطفلة تطورت القصة لمتزوجين
وبينهما طفلة، "وربنا يهدي لهم الحال!"
فلطالما كانت الدراما مطلوبة ويدخل كل منا كاتب ينسج قصة من مشهد يراه، وعادة
لا يكون لها أساس من الصحة، ولكنها عادة بشرية متأصلة، فهي إخترت قصتها
حيث كان هو مؤمن وهي رهانه وبالطبع الصغيرة إبنته!

- يعني، أنا مؤمن وانب رهان ودي بنته؟، أقصد بنتي وفين بقى نورا؟!
تساءل وهو يتكئ على ظهر الكرسي بينما عيناها تحقق به كالخناجر الغاضبة:
- معرفش عملت فيها إيه؟ نهايتها زي نهاية الرواية، ولا ماتت من القهر وكسرة القلب!

بدا الغضب على وجهه لكنه سرعان ما تمالك أعصابه التي صار يفقدها سريعاً:
- أنا مش مؤمن، أنا آدم الخطيب
- إسم مستعار، عادي، مش معقول هتكتب قصتك بإسمك الحقيقي، بس دي قصتك، إسم مؤمن في حد ذاته إسقاط على حالته، مؤمن الفاسق!
وضيقت عيناها تحقق به بغضب يحتل كيانها وتصميم صم عقلها تماماً:
- أنا متأكدة

وهو على نظرتة الباردة وهدوءه وتلك الصغيرة التي تجلس على ساقه وتلعب بأصابعه:
- متأكدة ليه؟
- كل حاجة فيكم شبه بعض، المرسوم، رجلك، السجاير حتى القصص، مؤمن كان بيكتب، وأخيراً بنتك!
وعندها إرسمت إبتسامة على وجهه وقبل وجنة الصغيرة بحب شديد:
- سها!

تراجعت النظرة الغاضبة وحلت محلها نظرة حانية مشفقة على أن تكون تلك الملاك الصغيرة إبنة لتلك الشيطان، فهي حقاً تكرهه:
- أنا بس عايزة اعرف، أمها فين؟
- في المستشفى
أجاب بأسى لتختلط ملامحها بين الصدمة والحزن، مصير نورا الرقيقة أصبح المشفى، ولكنها قبل أن ترد قرر إخبارها:
- دي سها بنت أختي الصغيرة فريدة!

قالها وهو يتنسم للصغيرة التي تعبت بالأيس كريم أمامها، وقرر أن يقص عليها القصة كاملة:

- أنا مش مؤمن يا رحاب، بس فريدة زي نورا، وده اللي كان بيخليني دائماً أقول على نورا غيبة واتغاظ منها، عايز اضربها بالقلم وبعدها أحضنها، فريدة ضحية حب أعمرى زي نورا بالضبط، إتجوزته غصب عننا!

وزفرة غادرت صدره وهو يتذكر رفضهم وتصميمها، دموعها، خضوعهم وخداعه:

- أنا وماما الله يرحمها مكناش موافقين بس ضغطت علينا بحبها ليه، إتجوزها وسافروا يشغل برة، مكنتش بأقدر أروح لها كثير وهي بمقتش تنزل بعد وفاة أي.

نبرة مشبعة بالأسى من تلك الذكرى التي تطرق عقله وقلبه بقسوة:

- طول الوقت اللي فات كنت لما بتصل بيها بلاقيها حزينة وأوقات صوتها معيط وفي الآخر الحيوان ضربها لحد ما راحت المستشفى، بقيت هتجنن، سافرت ومش شايف قدامي غير إني أقتله وبالعافية قدرت أرجعها هي وبناتها هنا!

وقلها تألم بأسى لقصة شقيقته وحاله وهو يقص عليها، وترى الدموع تتحجر بعينيه، تأبى أن تغادر:

- وهي فين؟

عندها إنبهار عصبي، تعبانة أوي، فريدة رقيقة، وردة وهو قطفها وداس عليها، والورد مش يتصلح يا رحاب!

وهي حقاً شعرت بالشفقة على حاله لكنها إبتسمت له:

- مشكلة الرجالة إنهم دائماً شايفينا كده، ورد!، في اللي بيقطعه وفي اللي بيتم بيه بس الحقيقة إننا مش بهشاشة الورد يا آدم، إحنا يمكن أقوى منكم، الست بتشتغل وبتمم بالبيت والولاد، ييفرق معاها الكلمة الحلوة وإنك تحسها بجبك ليها، إنها مهمة عندك، إحنا لما بنتكسر بنقوم أقوى!

وابتسمت وهي تكمل مطمئنة:

- الرجالة صليين، كسرتهم صعبة إنما إحنا مرزبن بنقدر نرجع!

تلك المرة الأولى التي تفحمه بمنطقها أو ربما يجد بها مواساة حقيقية، أمل في عودة زهرته الرقيقة للحياة.

- وبعدين ثانية واحدة، أختك يحصل لها كل ده وتكتب رواية بتنصف الرجال؟!
وحواء دائماً تصر على رأيها، ولكن هل تعتقد أن آدم يلين؟!
وضع ذراعيه على الطاولة واقترب محققاً بغضب:
- لسه شايفها كده؟

ولم تجب، هي حائرة، فالنهاية هي من جعلتها تتأرجح، فلا زالت تتذكر كلمات النهاية!

في عالم آدم وحواء كل شيء بسيط لو كنت تقرأ، تشاهد، تسمع، أما إن كنت طرفاً للمعادلة فكل شيء معقد للغاية، معقد لتداخل المشاعر، خفقات القلب وتضاربات العقل، والمواقف متشابكة وحلها بمنتهى السهولة إن أردت، لكن عندها تجد الست تشدو بعقلك صارخة:

"وعزة نفسي منعاني!"

وهذا هو حالهما عشق وعناد، هي لم تغفر زلته وانتقمت، وهو لم يسامحها مطلقاً، حاول، يقسم أنه حاول لكن كلماتها كانت طعنات لرجولته، كيف يعود وهي كانت ملكاً لآخر بتعمد إذلال لكرامته وجرح لكل ذرة رجولة بداخله؟
- مها عايزة يزن يعيش معاها يا عمرو.

قالها شقيقها لبيتسم هو بتهكم:

- هو إيه؟ يزن ده لعبة عندها؟ شوية عايزاه وشوية ترميه، أنا ابني هيعيش معايا يا عامر.

هو مصمم، فليكن هذا إنتقامه منها، هي إنتقمت فلم لا يحق له هو الآخر الإنتقام؟
- مفيش واحد يمنع إن من أمه ولا أب من ابنه.
ونبرته متألمة فهو لم يرى صغيره منذ أن ولد.
- عامر.....

قاطع كلامه قبل أن يكمل:

- إنت بتأذي يزن يا عمرو، خليك عاقل، إنت مش هتتعرف تهتم بيه زي أمه وهو هيبقى بينك وبينها، إوصلوا لصيغة تفاهم عشان خاطره.

وغادر يفكر، لم لم يستطع هو أن يصل لصيغة تفاهم؟ وما الخطأ؟!
الخطأ في حالته بالبداية، البداية الخاطئة دوماً تؤدي إلى نهايات تعيسة، فنهاية قصة زواجهم محكم، قضايا، إستئناف محامين، دموع تذرّفها هي ليلاً وحيرة تمزقه هو الآخر، فكلّاهما شريكا فشل وألم.

- عروسة!

قالها بدهشة لتعترض والدته:

- أيوا ولا هتفضل من غير جواز، ولا انت هترجع لهدير؟
يعود! لم يعد هنالك سبيل للعودة، فهو لن يرتكب الخطأ مرتين وحبّه لها غابت شمسّه وسكن الظلام قلبه، فمن يتوقع أن يصمد الحب أمام كل ما حدث هو بالتأكيد فقد عقله!

- حمد الله ع السلامة يا أم زين
قالها وهو يحمل الصغير بين يديه وهي مستلقية على سرير المستشفى بعد أن
وضعت الصغير، فقد هاجمتها آلام الوضع فجراً ليحضر الصغير إلى العالم مع بداية
النهار.

- شبهك أوي يا أبله حياة
قالتها شقيقته بفرحة وهي تلاعب الصغير بين يدي والده ليقرب من زوجته ويجعلها
تحمله:

- لا يا عيشة ملكيش حق ده شبه أبوه
ضحك الجميع منها واقترب هو هامساً في أذنها:

- وشقي زي أبوه!
إحمرت وجنتها وهي تهرب بنظراتها بعيداً، هي لم تعتقد يوماً أنها ستعيش تلك
السعادة بينما هو يندم على أيام ضاعت مع سواها، مع من لا تستحق، ويدرك أنه لم
يكن خطؤها وحدها، هو من أعماه الحب، فإن كانت قد خدعته فهو شريكها بتلك
الخدعة!

خديعة أصبحت تحياها بكل ما حولها، زيف إحترفته رغم أنها تأمل في الحصول على شيء حقيقي، فها هي بأحد المحافل الطبية بعيداً وذلك الطبيب الشاب يراقبها ويراقب شجارها مع زوجها الذي ابتعد وترك عينيها تصارع دموع تأبى النزول، ووجدتها فرصة، زوجة حزينة ومجروحة، هي فرصته الذهبية، فقد وجدت منديلاً أمام عينيها لتلتفت للواقف خلفها:

- إمسحي دموعك!

أخبرها لترد بصرامة:

- أنا مبعيطش!

إبتسم بعبث وهو ينظر لعينيها قبل أن يجيب:

- دموعك جوا عيونك رافضة إنها تنزل، ميستاهلهاش، اللي يكون السبب في دموع عيونك ميستحقش نظرتهم!

وغادر وتركها رائحة محرمته الورقية المعطرة عالقة بذهنها، هو بالكلية، أصبح يطارها وأصبح هاجسها، غاب العشق عن عالمها ليكون هو من يدغدغ أنوثتها بمشاعر حقيقية تخيفها، فهل زلة الخيانة هي ما تبقى لها من خطايا؟

والخيانة لها ثمنها، ولو غابت خيانة الجسد فتبقى خيانتها له تؤلمه كل يوم، والخبر الذي تلقاه ببسالة الفرسان، هي أنجبت من زوجها، خاتنه وحصلت على مكافأة، غريب حال تلك الدنيا!

هو يتأمل كل ما حولهن حتى جارتهم القديمة عادت إبنتها الشابة لمنزلهم مع طفل يبلغ شهوراً فقط، أرملة قُتلت فرحتها بعد زواجهما بما يزيد عن العام قليلاً، واليوم هو عاد من المدرسة ليجدها حائرة، الصغير مريض وهي تهوول على درجات السلم لإحضار الدواء ووالدتها تناديهما فكادت أن تسقط لولا أنه أمسك بها فطالعتة بخجل:

- مالك يا مدام شيء؟

- إسلام تعبان جداً، جبت له دكتور وطالب العلاج ده وأنا مش لاقياه في أي حنة قريبة.

أوقف كلماتها التي تندفع ببكاء، هي يتيمة الأب، أرملة الزوج، وذات حظ عاثر.

- أنا هجييه.

وغادر يحضر الدواء وأصبح يهتم بالسؤال عنهم وعرض والدته عليه لأول مرة يلتقى قبولاً لدى قلبه:

- إيه رأيك في شيء؟ غلبانة؟

- تفتكري هتوافق؟!

وسؤاله صدم والدته لكنه أسعدها لتتدخل زوجة أخيه التي طالما أرادت أن تراه سعيداً، فهو حقاً طيب القلب:

- طبعاً ومتوافقش ليه يا أبيه منير؟ ده إنت ألفت واحدة تتمناك.

وهو يراها تعويضاً عن حياته السابقة وصغيرها أصبح بمثابة ابن له، وهي وافقت بزواج قرر كلاهما أنه زواج عقل ولو كان به الكثير من القبول، هو شهيم وطيب القلب وهي هادئة جميلة، طيبة المعشر، وليكن كلاهما تعويضاً للآخر عن حياته،

وخياتها التي كانت تؤلمه لم يعد يتذكرها، فهو تركها لحالها، وحالها كان رائعاً كما تراه هي، زوج محب حنون وصغير كالملائكة، طبع قبلة على وجتها وهو يغلق حقيبة سفره:

- برضو هتسافر يا سعيد؟

- شغل يا علا يا حبيبي والا هتغيري من الشغل كمان يا لولو؟

قالها وهو يمسك بذقتها بأطراف أنامله لتبتسم:

- لا يا حبيبي، ربنا يوفقك في شغلك.

وغادر إلى الإسكندرية مصحوباً بدعواتها وحبها، فهي تشفق عليه من إنهاكه في العمل، وفي عرف آدم يقع كل شيء تحت مبدأ العمل، أو بمعنى أكثر دقة، "أهو كله شغل"!

فزوجها المحب خائن، ذو علاقات متعددة وهي لا تدري!

فهو خائن بدرجة قدير وهي غافلة بدرجة جاهلة.

فالحياة عادلة حتى وإن لم نرى عدلها أو نعلم عنه شيئاً!

- لا مش عدل!، مش عدل إنك تفضلي كده من غير جواز، لازم تشوفي حياتك يا نورا.

وهي تطلعها بدهشة، والدته تطلب منها أن تقبل بالعريس الذي تقدم لها، والدته، وليست والدتها:

- إنت اللي بتقولي كده يا ماما؟!

- أيوا أنا يا نورا، لإني أنا اللي ظلمتك يوم ما جوزتك مؤمن وتوقفت تبلع مرارة قلبها بحقيقة أخطاؤه التي كانت يجب أن تدركها، أن تصلحها قبل أن تفكر في تزويجه.

- أنا فكرت أجوزه لإني كنت عايزة أحميه من الغلط، غلط مكنتش أعرف إنه واقع فيه، سامحيني يا نورا.

ريبت على كتفها بحنان وقبلت رأسها:

- أسامحك إيه بس يا ماما، ده كفاية وقفنك جنبي أنا ورحمة، أنا فعلاً بحس إني بنتك.

إحضنتها بحب كأنها أم وإبنتها لتسألها مجدداً:

- هتبليغيهم موافقتك؟

حركت رأسها نافية، فهي لن تتزوج، القلب الأحمر لازال عالقاً به لكن العودة مستحيلة!

- ماما سامحي مؤمن بقي

- أنا مريتوش يا نورا، لازم أربيه

وهي تتذكر آخر لقاء بينهم عندما جاء يحضر المال من أجل إبنته لتقف بالباب تمنعه من الدخول:

- هتريها إزاي ومنين؟

إبتسمت بهكم غاضب قبل أن تجيبه:

- حريها زي ما ربيتك من مرتبي، ولا صحيح، أنا معرفتش أربيك!

زفر في ضيق، فهو إعتذر منها مراراً، أقسم أنه تراجع، أن قدمه زلت ولن يعود،
وفعل، رغم بقاؤه وحيداً مطروداً قرر ألا يرجع، أن تكون توبته بلا عودة:

- أنا بنتي مش هتتربى إلا بفلوسي
قالها وترك المال وانصرف، يراها قاسية ولا يعلم أن قسوتها حنان، فهي قررت تقويمه
وها هي تفعل!

ولكن ماذنها هي؟!

هي من تأملت وعاشت وجع هتك سترها الذي كان يضح مضجعها منذ أن رأت ما
رأت لينتهي الأمر بوصول طرد إليها، طرد رأتة مسبقاً وأخافها لكنها تلك المرة وجدت
رسالة وكارت ذاكرة خافت أن تفتحه، فقرأت الرسالة أولاً:

"بصراحة فكرت في صيغ كثير أكتب لك بيها الرسالة بس ملقتش غير إني اقولك إن
الفيديو بتاعك على الكارت ده، دي النسخة الوحيدة، أنا مش هستفيد حاجة منه،
أنا كنت بعاقب مؤمن، إنما إنت ملكيش ذنب!"

وأمسكت بكارت الذاكرة وتأكدت من الأمر قبل أن تحطمه وتشعر أنه يجررها،
ووقف تنظر إليه لا تدري أتكون شاكرة أم لا؟!
فهي امرأة حطمت عالماً وأهدتها حريتها!

وهي تعشق الحرية، هي حرة ولا تتقيد، فهي وقفت ترقص على الطاولات وهي
تتناول أكواب الشراب واحداً تلو الآخر وسط صياح الموجودين من أصدقائها باسمها،
يتردد في أذنها كأنها موسيقى، خلعت قميصها ذو الأكرام وألقت به إليه!
ومن هو؟!

هو شخص أرادته منذ مدة، يلعب دور صعب المنال واللعبة تعجها، وقررت أن
تحصل عليه مهما كان الثمن وستفعل، فهي لا تخسر رهاناً ولو مع نفسها!

الخاتمة

حفل توقيع روايته الأولى ..
"للرجال فقط" ..

الرواية التي أشاد بها النقاد واعتبرها البعض مجحفة في حق المرأة، رواية رائعة، بل هي عبث لا يرقى لدرجة الأدب!
والأمم بالنسبة إليه أنه وجدها تمسك بالرواية وتضعها أمامه لتحصل على توقيعه، فإبتسم لها وقبل أن يتحدث عاجلته فتاة تود إلتقاط صورة معه وفور أن عاد يبحث عنها وجدها قد إختفت، وهو ظل بحفل التوقيع الذي ما أن إنتهى حتى توجه إلى الكافيتريا التي إفتتحها عامر، مشروعه الذي لطالما أراده بشدة!
وهو إتجه يجلس مع عامر وعمرو الذي كان شاردًا يتابع ركن الأطفال، حيث يقام عيد ميلاد يزن ومما تقف معه وسط الأطفال، هي قصة عشق إنتهت وللأبد.
- وانت عامل إيه يا عامر في الخطوبة؟
سأل آدم ليجيبه بضيق:

- ماشية، بس أم هدير مجنناني، كل ما نخلص من قضية تدخلني في الثانية!
وهكذا كان حاله، لكنه كان سعيداً برؤيته لصغيره أخيراً، فهدير أحضرته له ليراه رغم مرور السنوات، وقد كان سعيداً بذلك، مشفقاً على حالها أيضاً، " فلو" بينها مستحيلة وكحال غيره هي نقطة اللاعودة!
- إيه يا أنوس رايح فين؟

سأل عامر أنس الذي قام من مكانه وأمسك آدم من ذراعه:
- ما تقعد يا ابني؟
- لا يا عم أنا عايز ألحق اللعب مع الواد زين شوية قبل ما ينام، وإلا أنا صايع زيكم؟
سلام!!

وغادر سعيداً بالعودة إلى منزله حيث الدفء والحنان، حيث ستكون هي حياة، حياته التي لا يفتنى سواها، وآدم يتسم من داخله، أنس هو الوحيد الذي نجا من فوضاهم، بينما الآخر لا يستطيع أن يحتوي فوضاه، فهو إلتفت ليجده جالساً على الجانب الآخر بعيداً عن الجميع، فقام يتجه نحوه وضربه على كتفه:

- إيه يا مؤ؟

- ازيك يا آدم؟

أجابه متجهماً وهو يدري تلك النظرة، هو رأى ابنته اليوم وتكرر رفض نوراه.

- رفضت؟

أوماً برأسه بأسى، لا يدري متى وكيف تمكن عشقها من قلبه لتلك الدرجة؟، فلم يكن لإمرأة أن تحل مكانها محم حدث.

- معاها حق

- هي بتحبك يا مؤمن

إبتسم بسخرية مؤلمة، تحبه! وهو ضيع ذلك الحب، فكلمتها تمزقه:

- أنا لسه بحبك وهفضل أحبك بس صعب أوي، مستحيل تقدر نبقى مع بعض تاني!

وتوقفت تستجمع كل شجاعتهما لتستمر على قرارها:

- نورا، سأليني

وابتلعت الدموع وفرضت إبتسامة على وجهها:

- والله سألحتك، انت أبو رحمة، أجمل حاجة في الدنيا دي كلها، وجودها بيغفر لك كل حاجة بس.....

رفعت عينيها تهرب من نظرائه وأخذت نفساً عميقاً يؤلمها لكنها تعلم أنه الصواب:

- احنا كده أحسن صدقي، مبقاش ينفع!

إصرارها يقتله ويعلم أنه يدفع الثمن، هي رقيقة كالملاك، صفت عنه، وتحضر له ابنته ليراها في الخفاء دون أن تخبر والدته لكنها قررت أن لا عودة، وذلك عقابه ولكن يظل يؤلمه رفض والدته:

- أنا نفسي أُمي تسامحي يا آدم، فات سنين ريت على يده مواسياً:

- هتسامحك، هي بس بتعاقب!

ويوماً ما ستفعل، هي تشتاقه، تدعو له بالهداية وقلبا يقلق بشأنه، تبقي نورا وابنته معها لتبقيه هو بجوارها، لكنها تريد توبته أن تكون خالصة لله وحده.

وفي الليل كانت جالسة على سريرها، طالعت الرواية على المنضدة، والتقطتها تقرأ الإهداء مجدداً:

"إلى تلك التي حاولت أن أجعلها ترى الأمور بعيناي"
إبتسمت للإهداء مجدداً عندما رن هاتفها فالتقطته لتجده يتحدث إليها:
- آدم؟!

- عندي فكرة رواية جديدة!
إبتسمت وهي تستمع إليه وأجابت:
- إحكي لي!

ففي النهاية الحياة منصفة، فلا يوجد شيء للرجال فقط !

"تمت بحمد الله"

٢٠١٨ / ١ / ١١

عن الكاتبة ...

سها رباح سيف الدين

- روائية مصرية، مواليد ١٩٨٩
- تخرجت من جامعة المنصورة، كلية الآداب، قسم إعلام عام ٢٠١١

صدر لها ورقياً:

- النوايا الشريرة، ضمن المجموعة القصصية " حب في زمن الثورة "
- عام ٢٠١٦، (عمل جماعي لدار الفؤاد للنشر والتوزيع.
- رواية داليدا، بالإشتراك مع الكاتبة أحلام سعد.

مؤلفات للكاتبة تم نشرها إلكترونياً:

- رواية قدر
- رواية قيود
- رواية عالم من الأكاذيب
- رواية وللقلم رأي آخر
- رواية أسير عشقها
- رواية سيف الغرام
- رواية بلا رحمة

وما زال العطاء الأدبي مستمراً

